

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية وآدابها
قسم الدراسات العليا

التشاؤم عند عبد الرحمن شكري

دراسة تحليلية نقدية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة

ثريا بنت بشير بن محمد الكعكي

الرقم الجامعي (٤٢٠٨٤٦٥٨)

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد سيد أحمد ربيع

١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم ملخص الرسالة

التشاؤم عند عبد الرحمن شكري دراسة تحليلية نقدية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من أهداف دراستي للتشاؤم كمرض نفسي له أسبابه ودوافعه ونتائجه السلبية في حياة عبد الرحمن شكري وشعره أن أوضح مدى الاختلاط بين مفهوم التشاؤم المرضي الملازم للمرء، وبين مفهوم التشاؤم العرضي الوقتي الذي يصيب الإنسان، وأن أناقش قضية اتهام شاعرنا عبد الرحمن شكري شاعر الوجدان بالتشاؤم فما هو أساس هذا الاتهام؟ وعلى أي شيء بني؟، والحقيقة أنه من الصعب أن نصدر الأحكام، ونرفع الرايات ضد شاعرنا عبد الرحمن شكري ونتهمه بالتشاؤم، أو عدمه فديوانه كبير، وأغراضه متنوعة فهو شاعر مفكر خيالي ومثقف، وفي نفس الوقت رومانسي العاطفة ولن يستطيع من قرأ ديوان الشاعر بأكمله أن ينكر أضواء الأمل والتفاؤل التي شاطرت جوانب التشاؤم الملحوظ في قصائده الشعرية

قد جاءت دراستي في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة. حيث تناول التمهيد تعريف التشاؤم كمرض نفسي والأسباب الداعية للإصابة به، ومظاهر هذا المرض الدالة عليه..

كما استطاع التمهيد التوصل من خلال شعر الشعراء إلى صور تشاؤمية لدى شعرائنا العرب منذ العصر الجاهلي متصلاً بصدر الإسلام إلى العصر الأموي والعباسي، ثم عصر الدويلات إلى العصر الحديث. فكان للعوامل البيئية والاجتماعية والسياسية والدينية الأثر في تميز ملامح الشخصيات،

وتناول الفصل الأول حياة الشاعر وسيرته والدوافع النفسية لديه التي دفعته إلى إنتاج زاده الثقافي؛ وذلك بتحليل دواعي التشاؤم وتداعياته عند الشاعر، فتحدثت عن الأسباب التي كانت حجر عثرة في حياة شكري العلمية والأدبية والوجدانية وأهم انعكاساتها عليه التي أدت إلى تنوع شعره وتباين ألوانه.

وفي الفصل الثاني تتبع البحث أهم مظاهر التشاؤم لدى الشاعر وتنوعها من خوف يرقبه في كل شيء، وسوء ظن بالناس، وبالنفس، وحب للموت وتفضيله على الحياة. واعتزال الحياة وجميع ملذاتها.

وقد حلل الفصل الثالث الدراسة الفنية حيث تذوقت شعر الشاعر، والتناغم بين الفكرة والأسلوب والصورة، فكانت صورته معبرة عن دخيلة الشاعر وذاته، وترتبط بوجدان القارئ وأحاسيسه، ومن أعظم ما يميز شعر شكري التوافق الفكري والوجداني واللفظي.

كما خلصت دراستي إلى أن تشاؤم شكري نسبي ولم يكن كلياً حيث أن التشاؤم لم يكن طبيعة الشاعر بل أثر الظروف والقيود من حوله وعبد الرحمن شكري من الناس الذين جمعوا بين التفاؤل والتشاؤم بنسب متفاوتة إذ نحكم على شخصياتهم من خلال الصبغة العامة للحياة والظروف التي مروا بها، فكانت تجربته الشعرية في قصيدة التشاؤم متشعبة من خلال تجاربه الذاتية، وتأملاته الفكرية، ومراقبته لنماذج الطبيعة الكونية التي راقبت بعين تشاؤمية سوداء تندب الحظ وقسوة الأقدار، وشكري رجل وشاعر قدير كافح في حياته العلمية والعملية والأدبية، وتذوق طعم الفرح كما اعتاد طعم الألم، فشاعرنا نافذ البصيرة راقب البدايات وتأمل النهايات وحلل مأساوية الأشياء ثم تغنى بها وبشخصه وبمعاناته بطريقة خاصة تميزت بالسوداوية في أحيان كثيرة جعلت تلك التشاؤمية ظاهرة في شعره.

***In the name of Allah the most gracious the
most merciful
Abstract***

Pessimism according to Abdul Rahman Shoukry **(Critical study)**

Thanks God and peace be upon our prophet Mohamed and his companions

The objective of my study about pessimism as a psychological disease having its own reasons, motives and negative results in the life of Abdul Rahman Shokry and his poetry, is to make a distinction between permanent pessimism and temporary pessimism, and to discuss the case accusing our poet Abdul Rahman Shokry, that he suffered from pessimism-What's the basis of that accusation? Upon which was it based? In fact, it's difficult to make a judgment and accuse him of pessimism; his collection of poems are large and his objectives are various. He is an educated, thankful and imaginative poet and at the same he is romantic. No one can deny that his poems are characterized by optimism as well as pessimism.

My study comprises an introduction, 3 chapters and a conclusion. The introduction presents the definition of pessimism as a psychological disease, causes of the disease and its symptoms.

The introduction also shows pessimistic images in our Arab poets starting from the Pre-Islamic era through the Umayyad era, the Abbasid era to the modern era. Environmental, social, political and religious factors have its effects on the characters' features.

The first chapter presents the poet's life, his biography and the psychological motives by analyzing the causes of pessimism. So, I talked about the reasons that hindered Shokry's scientific, literary and conscious life and its reflection on him and resulted in the diversity of his poems.

In the second chapter, the research follows the best features of pessimism and its diversity from fear of everything, mistrust of people, loving death and hating life and retiring from life and all its pleasures.

Chapter three analyses the technical study as I enjoyed the poet's poetry and the harmonizing between the idea, the technique and the image. It was an expressing image about the feelings of the poet. What characterize Shokry's poetry is its ideological, emotional and verbal harmony.

My study comes to a conclusion that the pessimism of Shokry is relative and isn't absolute as pessimism isn't the poet's nature but it was as a result of conditions and restrictions around Abdul Rahman Shokry. Abdul Rahman Shokry is one of those who combine between optimism and pessimism at varying degrees. We can judge their characters through general nature of life and conditions. His poetry experience in the pessimistic poem is branching through his personal experience, thoughtful reflections, his observation of the models of the universal nature. His observations was pessimistic. Shokry is a famous poet who struggled in his scientific, practical and literary life. He enjoyed happiness and suffered from pain. Our poet is shrewd, he witnessed beginnings and observed endings. He analyzed tragic things, then sang his sufferings in a special way characterized by tragedy in many occasions made this pessimism a phenomenon of his poetry

إهداء وشكر

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً ملؤه السموات والأرض ،
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الهادي الأمين .
وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

إهدائي معطراً بأطيب الدعوات وأرق النسيمات إلى أُمي الحبيبة رفع الله
عنها كل ضرر^١ ونقى جسدها من كل داء ، إلى أختي الراحلة الدكتورة / فوزية
كعكي رحمها الله وأسكنها فسيح جناته ، إلى زوجي العزيز الدكتور / عبد العزيز
مؤذن من ساندني ودعمني خلال رحلتي الدراسية .

كما أسطر أفضل الاعترافات بالفضل والامتنان إلى ما قدمه لي أستاذي
المشرف الدكتور / محمد سيد أحمد ربيع أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية
بجامعة أم القرى ، له خالص الدعوات بأن يجعل ما قدم في موازين حسناته .
كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذين الفاضلين الأستاذ الدكتور /
صلاح شحاته ، والأستاذ الدكتور / سعيد النوتي ، أستاذي البلاغة والنقد في
كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ؛ لتفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث
وجزاهما عني خير الجزاء .

كما أتوجه بالشكر الجزيل لعمادة كلية اللغة العربية ممثلة في عميد الكلية
الأستاذ الدكتور / عبد الله القرني ، ووكيل الكلية الأستاذ الدكتور / عبد الله
الزهراني ، ورئيس قسم الدراسات العليا العربية بالكلية الأستاذ الدكتور /
صالح الزهراني على الجهد المبذول لتيسير دراستنا ، والشكر موصول إلى كل
الأيدي البيضاء التي تسهم في نجاحي لهم مني أصدق الشكر والامتنان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،

المقدمة

الحمد لله الذي جعل أدبنا بالقرآن ، وأنطقنا بروائع البيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله أفصح العرب لسانا وأشرفهم منطقا .
وبعد:

فالتشاؤم مرض نفسي يحيط العقل بغشاوة مظلمة والنفس بروح الكآبة، له نتائج سلبية على الأفراد قد تغير مجرى حياتهم، وتكاد تهوى بها إلى القاع. والحقيقة أنه من الصعب أن نصدر الأحكام، ونرفع الرايات ضد شاعرنا عبدالرحمن شكري ونتهمه بالتشاؤم، أو عدمه فديوانه كبير، وأغراضه متنوعة فهو شاعر مفكر خيالي ومثقف، وفي نفس الوقت رومانسي العاطفة ولن يستطيع من قرأ ديوان الشاعر بأكمله أن ينكر أضواء الأمل والتفاؤل التي شاطرت جوانب التشاؤم الملحوظ في قصائده الشعرية.

وقد تحدث الكثير عن التشاؤم لدى عبد الرحمن شكري وأن شعره توشح ثوب السواد قال عنه شوقي ضيف (لعل مصر لم تعرف في عصورها المختلفة شاعراً متشائماً ضاق بكل ما حوله حتى بنفسه كما عرفت في عبد الرحمن شكري، وقد نشر سبعة دواوين بدأ بأولها، وانتهى بآخرها ١٩١٩، وكلها تصور لنا قصة سوداء من التشاؤم الحزين الممرض)^(١).

ويقول نقولا يوسف متحدثاً عن خيبة آمال شكري ويأسه من تحقيق آماله وأهدافه يقولك (فقد كانت لديه آمال عريضة تقابلها خيبة آمال فينشد المثل العليا فلا يلقي غير الجحود والنكران)^(٢)

(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر / شوقي ضيف / دار المعارف. ط٨ / ١٠٩ ص

(٢) أعلام الإسكندرية / نقولا يوسف / دار المعارف / ص ٣٥. بالاسكندرية، (ط.ب)

نتج عن تلك الخيبة حزن وقلق عميقان قال
عنها د. أحمد غراب (أن هذا الحزن والقلق يبلغان درجة التشاؤم في كثير من
قصائده^(١)).

وبعد

فقد عاش شكري في عصر حافل بالاضطرابات والأحداث الكبرى في
تاريخ مصر والعالم وخاصة المدة ما بين الحربين العالميتين التي اصطلت بنا وهما ،
كما عانت مصر كثيراً من ويلاتها وما نتج عنها من آثار سيئة اجتماعية وثقافية في
تاريخنا الحديث^(٢).

وقد كثرت الدراسات الأدبية والنقدية التي تناولت عبد الرحمن شكري منها
عبد الرحمن شكري للدكتور أحمد غراب وقد تناول الشاعر من جوانب عديدة
كان أحدها الجانب النفسي ، وأهم معالمه الشره العقلي عند شكري وحركة
التجديد ، وأهم صفاته الشخصية التشاؤم، المرأة، الموت. ومن الدراسات التي
تناولت شكري أيضاً أعلام الأدب المعاصر للدكتور/ حمدي سكوت والدكتور/
مارس دن وهي دراسة بيوجرافية معتمدة على الكلمة ودلالاتها في الكشف عن
أسلوب الشاعر ومعانيه. ودراسة ليسري سلامة بعنوان/ عبد الرحمن شكري

(١) عبد الرحمن شكري/ أحمد عبد الحميد غراب/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م
، ص ٧٦.٠ ط.ب)

(٢) دراسات أدبية/ عبد الرحمن شكري شاعراً د/ عبدالفتاح الشطي/ الهيئة المصرية
العامة للكتاب ١٩٩٤م / ص ١٧٥.

شاعر الوجدان . التي عنيت بدراسة قضايا وجدان الشاعر ، وتأثره بالطبيعة ، والموت ، والمرأة ، وأخلاق الأمة ، وحلل فيها الناقد بعض روائع شكري التشاؤمية . وهناك الناقد أنس داود وكتابه عبدالرحمن شكري ونظرات في شعره وهو مؤلف تناول أهم القضايا في حياة شكري، وتكلم عن خمس قصائد عدّها مختارات من شعر الشاعر.

كما قدم محمد السعدي فرهود دراسات عديدة لشكري منها (شعر عبدالرحمن شكري) حلل تشاؤم شكري ووصل بتحليله إلى إثبات الرؤية التعادلية بين التفاؤل والتشاؤم و(التيار الفكري في شعر عبدالرحمن شكري، الاتجاهات الفنية لدى عبدالرحمن شكري) (لحق ديوان شكري) ، أما الدكتور شوقي ضيف فقد تناول التشاؤم لدى شكري في مؤلفه (دراسات في الشعر العربي المعاصر) بطريقة مختصرة ناقدة ، والحق أنه قد كتب الكثير حول شكري وتشاؤمه وقد استعنت كثيرا من هذه الدراسات وسأحاول أن تكون هذه الدراسة إضافة إلى ما كتب حول هذا الشاعر الرائد العاطفي العقلاني.

ومن خلال تلك الدراسات استوقفني الحكم الذي أصدره بعض النقاد على ذلك الشاعر بالتشاؤم مما دعاني إلى قراءات متكررة لدواوين الشاعر تخلل هذه القراءة نوع من الإعجاب والتعجب ! دفعني إلى إجراء تلك الدراسة حول هذا الجانب من شعر الشاعر.

ومما شدني إلى قصائده إحساسه الشديد ، والسريع التأثر بما حوله ، وقدرته العجيبة على تحليل الأمور عقلا نياً ونفسياً ، والحكم عليها من منظور الحقائق



الديوية المعاشة التي اصطدمت بخياله العذب الحالم أنه يحكم على كينونته
كشاعر عندما يقول: فلقد كان بالأمس نديم الملوك.. ولكن اليوم رسول
الطبيعة، ترسله مزوداً بالنغمات العذاب كما يصقل النفوس ويحركها ويزيدها
نوراً وناراً^(١).

ولعل هذه الرؤية تكشف لنا عن حقيقة هي أن الشعر تعبير عن حياة الشاعر
ومجتمعه، فهو المعبر عن آماله وآلامه وأحلامه عن شخصيته وذاته، وفيه نرى
صور واضحة لمجتمعه وكما قيل الشعر مرآة المجتمع..

(١) ديوان الشاعر/ عبد الرحمن شكري / ج، ت نقولا يوسف ح ٤ / ص ٢٨٧. / ن المعارف

أهداف البحث:

تساؤل يفرضه العقل كيف يكون هذا الشاعر رسول الطبيعة التي ترسل نغماتها العذبة كي يصقل النفوس ويوجهها للخير أو الشر!!.. ثم تعرف عن هذا الشاعر تلك السوداوية والتشاؤمية التي رماه بها نقاد وكتاب لهم ثقلهم وقدرهم.

هل صحيح أن:

أ - معظم ما قدمه الشاعر قد صدم أذواق الجماهير كما ذهب إليه أحد الباحثين؟^(١) وإذا صح ذلك فما أبرز دواعي التشاؤم وتداعياته في حياة شكري؟ وما هي أهم مظاهر التشاؤم في شعر الشاعر؟ وما مدى صدق التجربة العاطفية الشعرية لدى شكري؟ وما سمات بنية القصيدة التشاؤمية لديه؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعت في منهج البحث المنهج الوصفي التحليلي وقد جرى بمشيئة الله توزيع فصول البحث على النحو الآتي:

التمهيد حيث تضمن مبحثين هي التشاؤم وأسبابه كمرض نفسي- وعن الأسباب الداعية للإصابة به ومظاهر هذا المرض الدالة عليه.

وتناول المبحث الثاني تتبع ظاهرة التشاؤم لدى شعرائنا العرب منذ العصر-

(١) انظر الرؤية الجديدة للنقد والشعر عند عبدالرحمن شكري / ص ١٣ / رسالة ماجستير للطالب /

أبو طويله - بكلية اللغة العربية - جامعة أم القرى.

الجاهلي متصلاً بصدر الإسلام والعصر الأموي والعباسي وعصر الدويلات إلى العصر الحديث.

كما سيتناول الفصل الأول الحديث عن حياة الشاعر وسيرته والدوافع النفسية لديه التي دفعته إلى إنتاج و أنتج وما قدم من زاد ثقافي وعلمه وأدبه. تحليل دواعي التشاؤم وتداعياته لدى الشاعر والعوامل التي كان لها الأثر في حياة شكري علمياً وأديباً ووجدانياً وأهم انعكاساتها عليه.

وفي الفصل الثاني تتبع البحث أهم مظاهر التشاؤم لدى الشاعر الذي قد تنوعت مظاهر التشاؤم لديه من خوف يرقبه في كل شيء ، وسوء ظن بالناس ، وحتى بالنفس ، وحب للموت وتفضيله على الحياة. واعتزال الحياة وجميع ملذاتها.

وقد عالج الفصل الثالث: الدراسة الفنية في حيث درست شعر الشاعر فوجدت الأفكار المعبرة عن رغبة المبدع المتلقي ، ولما كان التناغم بين الفكرة والأسلوب ، فلا مندوحة من استقرارها في ذهن القارئ وإثراء وجدانه ، لاسيما اذا خلع عليها الشاعر من مواطن الحسن والجمال مع تغليفها بألوان الموسيقى العذبة التي تؤثر في النفس وتخالط الحسن ، فتعبر عن دخيلة الشاعر وذلتها وترتبط بوجدان القارئ وأحاسيسه.

الخاتمة :

وستحوي ملخصاً لأهم النتائج التي توصل اليها البحث إليها .

التمهيد

المبحث الأول: التشاؤم مرض نفسي، أسبابه ومظاهره

المبحث الثاني: مظاهر التشاؤم في الموروث الشعري العربي

المبحث الأول: التشاؤم مرض نفسي -أسبابه ومظاهره

حتى يتحقق الاتزان الذي يدفع عجلة الحياة إلى الأمام. لابد من تفاعل الإنسان مع من حوله. تفاعلا سليما يدل على (قدرة الإنسان على تكوين العلاقات المرضية بينه وبين البيئة)^(١). وللإنسان طاقات نفسية، وجسدية، لكل منها دوره الفعال في إدارة هذه العملية الدينامية التي قد تكون نتائجها إيجابية فتزني حياة الفرد، أو تكون سلبية فتحدث الاضطرابات للنفس الإنسانية. والتشاؤم نوع من أنواع هذه الاضطرابات فالتشاؤم لغة (المتطير، ومن يسيئ الظن بالحياة (محدث) لشؤم يعني الشر، وشأْمُهم شَأْمٌ ما جر عليهم الشؤم وفي التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾^(٢). وقد ورد في القاموس المحيط أن الشؤم ضد اليمن. والتطير معنى يلزم التشاؤم.

فيقال: هو إنسان متطير بمعنى أنه متشائم. فالتطير لغة (تفاءل به ومنه تشاءم. وأصله التفاؤل بالطير، ثم استعمل في كل ما يتفاءل به ويتشاءم وفي التنزيل الكريم (فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه)^(٣).

(١) التكيف النفسي، د. مصطفى فهمي، ناشر مكتبة مصر- الفجالة، دار الطباعة الحديثة، الأردن، ط [بدون].، ص ١١

(٢) المعجم الوسيط، أخرج الطبعة د. إبراهيم عبد الحلیم منتصر—، محمد خلف الله، مطبعة الصوالحي. ج ١ ص ٤٦٩، ط ٢

(٣) القاموس المحيط للفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ناشر دار إحياء التراث العربي ٧٢٩٠،

ومما قيل حول تطير العرب تفاؤلاً وتشاؤماً قولهم: (وجرى لهم الطائر
الأشائم والطير الأشائم

فإذا الأشائم كالأيام من والأيام من كالأشائم
وفي معنى التطير تشاؤماً قال زهير:

فتنتج لكم غلمان أشام كلهم كأحمر عاد تم نرضع فتفطم^(١)
وعندما يستعمل التطير تفاؤلاً يقال: (مجازاً طائر الله لا طائر ك وقال
تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ وفي قول الطماح.

وإذ دهرنا فيه اغترار وطيرنا سواكن في أوكارهن وقوع^(٢)
بمعنى أن الطيور سواكن إذ كانوا قارين .

وفي معجم المعاني للمترادف والمتوارد يُفَسَّرُ الفرق بين الكلمتين. فالتشاؤم
يعني (الميل إلى توقع الضرر وأسوأ النتائج في كل أمر، والنظر إلى الجانب الأسود
من الأشياء. كما تعني الاعتقاد بأن العالم القائم هو أسوأ ما يمكن، وأن الشر- في
الحياة يفوق الخير.)^(٣). وأما عن التطير فهو (التشاؤم من رؤية أو سماع شيء

٨١٧هـ، ح ٤ ص ٥٧٤ ،

(١) أساس البلاغة للإمام جار الله محمد بن عمر الزنجشري، حققه وقدم له د. شوقي الحصري. د/ عزيز

نعيم، مكتبة لبنان ط ١. ٤٦٧ / ٥٣٨ / ١٧٠٧٥ / ١١٤٢ / ص ٤٠٥

(٢) المصدر السابق / ص ٥١٧.

(٣) معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض. من أسماء وأفعال وأدوات وتعابير / نجيب اسكندر، ،

معين)^(١). فمثال المرئي التطير بأصحاب العاهات، والمعلوم التشاؤم ببعض الأيام والشهور والمسموع التشاؤم بسماع كلمة* كما أن لعلماء النفس مفهوماً يوضح الرؤية ويحددها فإن (التشاؤم نزعة اعتبارية في الذهن إلى رؤية كل شيء أسود قائماً وأخذ الجانب السيئ من كل شيء. وإهمال كل ما عداه ذلك أنه يتألف جوهرًا... من عادة ذهنية شاملة دائمة. فلا يصح الخلط بينه وبين نوبات الكآبة الطارئة وضيق الخلق الذي يهاجم الإنسان العادي فجأة يميل به في فترات نحو التبرم بالحياة والتذمر من تصاريدها^(٢)). والذي يفهم هنا أن التشاؤم ليس حالة وقتية بل هو حالة مرضية نفسية ملازمة للشخص مدى الحياة فيكون المتشائم ذا (تركيز مقاوم امتداد العمر على الجوانب السلبية للحياة (الأم، الموت، فقدان، الإحباط، الصراع، مشاعر الذنب، الاستياء، المشكلات التي لا حلول لها، الأخطاء الممكنة، الخيانة، الأشياء الخاطئة التي يمكن أن تحدث مع الإقلال من شأن الجوانب الإيجابية أو المتفائلة أو إنكارها. وقد يتضمن ذلك مشاعر فقدان الحيلة، أو فقدان القدرة على التحكم بناء على توقع أن المرء لا يستطيع منع الأحداث السلبية في الحياة^(٣)). ومن خلال ما تقدم نلمس الفرق بين التشاؤم

دار الآفاق العربية. ط ١، ١٤٢١ / ٢٠٠١ / ص ٩٢

(١) المرجع السابق / الصفحة نفسها.* انظر مقال التشاؤم عادة الجاهلية / ٢٢ / ٨ / ١٤٢٥ / الشبكة الإسلامية www.islam.net.

(٢) تغلب على التشاؤم وسلطان الإرادة / الموسوعة النفسية / دار إحياء العلوم / بيروت / عبداللطيف شرارة / ط ٥، ١٤١٧ هـ. ص ١١

(٣) مرجع اكلينيكي في الاضطرابات النفسية / دليل علاجي تفصيلي / تحرير د/ يفيدة بارلوا. أشرف =

والتطير فالتشاؤم مرض يصيب المرء ويلزمه يقوقع حياته ، وأما إيجابياتها معتمدة مظلمة.

أما التطير فأصل استخدام الكلمة للتفاؤل، ثم خضع المصطلح لمعنى التشاؤم ولكن ليس تشاؤماً من السلبيات اليومية. بل هو تشاؤم من رؤية شيء، أو سماع صوت، أو الدخول في شهر معين.

والمتشائم شخص له اقتناعاته الشخصية تأثرت بعوامل بيئة اجتماعية وسياسية فكانت لها سمات خاصة بها، والشخصية بشكل عام هي (مجموعة سمات الفرد كما تبدو في عاداته الفكرية، وتعبيراته، واتجاهاته، واهتماماته، وأسلوبه في العمل وفلسفته في الحياة^(١)). ويعرف مورتن برتس الشخصية بأنها (مجموعة الاستعدادات والميول والدوافع والقوى الفطرية الموروثة بالإضافة إلى الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة^(٢)). وسمات كل شخصية تتشكل وتنمو معها مكتسبة ميزاتها الخاصة بها من خلال تأثرها بالعوامل المحيطة بها والتي تتلخص في عوامل أولية وثنائية^(٣).

=

على الترجمة صفوت فرح / مكتبة انجلوا المصرية. ط / بدون. ص ٥٨٨
(١) المدخل إلى علم النفس / عبدالله عبدالحى موسى / ٣٤٨ ط / ١٩٨٨ / حقوق الطبع والنشر-
محفوظة للمؤلف.

(٢) المرجع السابق / الصفحة نفسها.

(٣) للإطلاع على هذه العوامل بالتفصيل انظر كتاب الصحة النفسية والعلاج النفسي- حامد زهران/
ص ٥٥ / ط ٣ / ن / عالم الكتاب ١٩٩٧ م ، علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام / محمد محمود

=

العوامل الأولية تتمثل في الآتي:

١ - الوراثة تنتقل إلى الفرد من والديه وأجداده عن طريق الموروثات والجينات... وتلعب الوراثة دورها في تحديد الخصائص الجسمية للفرد. وفي تكوين الجهاز العصبي. والإنسان يرث الاستعدادات والخصائص الأولية للسلوك بشكل معين.

٢ - العوامل الحيوية: التوازن في افرازات الغدد التي تجعل الإنسان سليماً نشطاً وتؤدي اضطرابات الغدد إلى الاضطراب النفسي.

٣ - الجهاز العصبي: ويشرف على جميع الوظائف العضوية فإذا أصيب الجهاز العصبي بتلف يؤدي ذلك إلى اضطرابات ملحوظة في الشخصية.

٤ - البيئة: وهي عامل مهم المقصود به جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الشخص منذ بدء نموه، وتتأثر خبرات الطفل البيئية بعدة عوامل: الأسرة، الأخوة، الثقافة.

من ناحية الأسرة فالطفل يتأثر بأمه وبأبيه في المقام الأول ثم أخوته وأقاربه وهكذا تتشابك هذه المؤثرات حتى تصبح نسيجاً نفسياً واجتماعياً يحيا الطفل في إطاره.

وللثقافة تأثير فكمما يولد الطفل داخل مجتمع. فهو يولد داخل ثقافة خاصة

بهذا المجتمع يؤثر فيها كما يتأثر بها. فيمتص عنها العادات والتقاليد، والعرف والقيم^(١).

العوامل الثانوية تتلخص في التالي^(٢):

١ - أثبتت الدراسات التي أجراها العالم ويروس أن الانفعالات الحادة تؤخر سرعة نمو الأطفال وأن القلق النفسي والضعف الشديد للمرأة ومدة الحمل يؤثران في الطفل.

٢ - الأمراض التي تصيب الأطفال وتؤثر في نموهم الطبيعي. كذلك يتفاوت نمو الطفل تبعاً للسلالة القصرية التي ينتمي إليها الطفل.

٣ - الولادة المبكرة. أي الولادة دون اكتمال نمو الطفل. أو اكتمال مدة الحمل.

٤ - الهواء النفسي وأشعة الشمس.

ومن الطبيعي أن تعمل كل هذه العوامل متفاعلة مع بعضها في تكوين الشخصية رغم أنه قد تطفئ جوانب على أخرى لكنها لا تعمل منفردة، فهاذا عن مكونات الشخصية الداخلية حسب ما ورد في نظريات التحليل النفسي لفرويد

(١) راجع / علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام / محمد محمود / ص ٢١٤ + المدخل إلى علم النفس /

عبدالله عبدالحى موسى / ٣٦٢.

(٢) انظر علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام / محمد محمود / ص ٢١٦.

فإن النفس تتكون من^(١) (الهو. ومضمونه كل ما هو موروث... وهناك الأنا الذي ينشأ نتيجة تأثير العالم الخارجي الواقعي على الهو فيطراً تغير خاص عليه ، ويسيطر الأنا على الحركات الإرادية كما يقوم بمهمة حفظ الذات كذلك، يتعلم معالجة المتغيرات الخارجية ، وكراسب من رواسب الطفولة يتكون في الأنا منظمة متأثرة بالوالدين يطلق عليها الأنا الأعلى، وهذا الأنا الأعلى قوة ثلاثة، وعلى أنا أن يكون مصيباً في فعله إذا أشبع مطالب الهوم الأنا الأعلى. ويمكنه حينئذ التوفيق بين مقتضياتها)^(٢). ولكي يسود الوفاق داخل النفس الإنسانية على هذه المكونات التوازن، فلا يطغى أحدها على الآخر (فيقوم الأنا بمهمة شاقة ودقيقة إذ عليه مراعاة السلطات الثلاثة وهي العالم الخارجي، والهو في الأنا الأعلى... وفشله يؤدي إلى ظهور أعراض الأمراض والاضطرابات العصبية)^(٣).

ونلاحظ فيمن حولنا اختلاف مزاجية كل فرد عن الآخر ، فهناك العصبي المزاج وهادئه والمتفائل والمتشائم، والمنطوي والمنبسط، تلك الأنماط تمثل

(١) للإطلاع على مكونات الشخصية الداخلية بالتفصيل راجع الموجز في التحليل النفسي / سيجموند فرويد/. ترجمة سامي محمود محمد ، علي عبدالسلام القفاس / مراجعة مصطفى زيوز، ط ٢ / دار المعارف بمصر. ص ١٦ - ١٧

(٢) انظر الموجز في التحليل النفسي- / سيجموند فرويد/ ص ١٦ - ١٧ ترجمة سامي محمد علي / عبدالسلام القفاس / مراجعة مصطفى زيوز / ط ٢.

(٣) انظر الذات والغرائز / سيجموند فرويد/ ترجمة عثمان نجاتي / مكتبة النهضة بمصر. ص ١٩

أشخاصاً يختلفون في أشكالهم النفسية والعقلية، ومن أقدم من حاول تحديد الأنماط أو تقسيم الناس إلى أنماط^(١) (الطبيب اليوناني هيوقراط. وله نظرية يقسم الناس فيها إلى أربعة أنماط.

١ - المزاج السوداوي. وهو الشخص الذي يغلب عليه المزاج السوداوي الحزين المكتئب.

٢ - المزاج الدموي وهو الشخص السهل الاستثارة في غير عمق أو اتساع.

٣ - المزاج الصفراوي الشخص شديد الانفعال مع تغلب الجانب الجدي وقلة السرور.

٤ - المزاج البلغمي. وهو المتبلد الشعور قليل الانفعال.

إذ اختلطت هذه الأمزجة بنسب متكافئة كان الشخص سليماً من الناحية النفسية وينشأ المرض النفسي عندما يغلب أحدها على الآخر.

ولقد تطورت نظرية هيوقراط ومرت بتحويلات كثيرة وبنظريات باختصار هي:^(٢)

١ - نظرية كرتشمر :

وتعتمد على مفهوم أن هناك علاقة بين السمات الجسمية والشخصية فهناك

(١) انظر المدخل إلى علم النفس / عبدالله عبدالحى موسى / ص ٣٦٨.

(٢) راجع المدخل إلى علم النفس / عبدالله عبدالحى موسى / ص ٣٧٠.

النوع البدين أو القصير، النوع النحيل أو النحيل الطويل النوع الثالث الواهن والرياضي.

٢- نظرية شلدون:

ويرى أن سمات الشخصية ترتبط بنمو مناطق محدودة في الجسم: النمط الداخلي التركيب، المتوسط التركيب، الخارجي التركيب.

٣- نظرية سيبر يتجر:

تصنف هذه النظرية الأشخاص تبعاً لاهتماماتهم.

٤- نظرية يونج:

ميز يونج اتجاهين في الشخصية اتجاه منبسط واتجاه منطوي. فالمنبسط يولي اهتمامه الأساسي إلى العالم الخارجي الموضوعي، والشخص المنطوي هو الذي يولي اهتمامه نحو العالم الداخلي الذاتي.

حسب ما تقدم نجد أن علماء النفس قد اعتمدوا في تحليلاتهم لمزاجية الأفراد على الزوايا الجسمية، أو زوايا داخلية تكوينية في الجسم، أو على الهرمونات الداخلية، أو على السلوك الاجتماعي للأفراد. ومنهم من وجد أن (العواطف نوع هام من الدوافع المكتسبة للسلوك، ويترتب على تكوينها تعديل السلوك وتنظيم الدوافع الفطرية وتوجيهها وجهات معينة مقيدة بالبيئة المحيطة، ويعتبر

تكوينها من أهم أنواع ملائمة عقل الفرد للبيئة المحيطة به^(١). وفي كل الأحوال لابد من توازن تلك الركائز الجسمية والنفسية والسلوكية العاطفية، حتى يصل الإنسان إلى درجة التكيف السليم بينه وبين مجتمعه، ويصف د/ عبدالعزيز القوسي هذا التوازن بالصحة النفسية وهي (مجموع الشروط اللازم توافرها حتى يتم التكيف بين المرء ونفسه كذلك بينه وبين العالم الخارجي تكيف يؤدي إلى أفضل ما يمكن من الكفاية والسعادة لكل من الفرد والمجتمع)^(٢). وإن لم تتحقق هذه الكفاية الشخصية النفسية للفرد والسعادة الزوجية بالشكل المناسب يحدث ما يُخْشى منه وهو السلوك غير السوي وهذا ما أوضحه علماء النفس (فقد اعتبروا التكيف شرطاً أساسياً للسلوك الخالي من السوداوية والعقد)^(٣).

وبالتالي إن لم يتم هذا التكيف بالطريقة السليمة يحدث ما يسمى بالاضطرابات النفسية، والتأزم. فهل يرث الإنسان تلك الاضطرابات والأمراض العصبية إن الذي (يرثه الإنسان هو الاستعداد، أو القابلية نحو الإصابة نتيجة عوامل تكوينية من نوع خاص أهمها الحساسية الانفعالية، سرعة التأثير، عدم الاتزان الانفعالي بسبب ما يصيب الجهاز الغدي من اضطرابات في إفرازات الهرمونات)^(٤).

(١) أسس الصحة النفسية/ عبدالعزيز القوسي، / مكتبة النهضة المصرية/ ط ١ / ١٩٨٢. ص ٩٣

(٢) أسس الصحة النفسية/ د/ عبدالعزيز القوسي، ص ٧٥.

(٣) الإنسان وصحته النفسية/ مصطفى فهمي / مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ط (بدون). ص ٤٢

(٤) المرجع السابق، ص ٧١.

ويميز د/ مصطفى فهمي الأفراد من حيث مواقفهم تجاه الأمراض النفسية إلى أصحاء في التكوين وإلى مرهفي الحس (فالأصحاء يسلكون الطريق الطبيعي إذا ما اضطروا إلى مواجهة مواقف تدفع بهم إلى الإحباط والصراع. أما مرهفي الإحساس فسرعان ما تضطرب حياتهم، وتنهار مقاومتهم)^(١).

وعن دور الطفولة في حياة الفرد، إذ تعتبر الطفولة لبنات البناء الأساسية في كيان الشخصية، وتركيباتها، فأحداثها أكثر رسوخاً، وتأثيراً في ذاكرة المرء بكل معالمها السعيدة والحزينة، لذلك إذا ما صادف علماء النفس مشكلة في سلوكيات مريض، رجعوا إلى طفولته، والمؤثرات التي أحاطت بها فإذا (مر الطفل بخبرات نابعة من مواقف الحرمان والشعور بالتهديد وتعددت هذه المواقف وازدادت حدتها أدى ذلك إلى تمهيد الطريق لتكوين شخصية تعاني من الاضطرابات والقلق والصراعات الانفعالية وهذه كلها عوامل تؤدي إلى المرض)^(٢).

ويبدو مما سبق أن الطفولة المهددة بعدم الكفاية والسعادة وعدم الأمان قد تولد شخصية غير متكيفة قابلة للوقوع في شرك الانطواء والعدوان (فإذا لم يتقبل المرء نفسه، والجماعة التي يعيش فيها. فإنه يتعرض للمواقف الاحباطية التي تجعله يشعر بالعجز والفشل، وعندها تسوء درجة التكيف الاجتماعي،

(١) الإنسان وصحته النفسية / مصطفى فهمي، ص ٧١.

(٢) الإنسان وصحته النفسية / مصطفى فهمي، ص ١٠٧.

وهذا ما يدفعه إلى الانطواء والعدوان^(١). وإلى النظرة السوداوية المتشائمة نحو المجتمع ونفسه.

ومن أشهر قدماء المفكرين الذين غرقوا بنظرتهم السوداوية نحو الحياة المفكر شوبنهاور يوضح في كتابه (العالم إرادة وفكر) رأيه د/ عفيف عبدالرحمن. فهو يرى أن طبيعة الإنسان لا تتفق مع الخير، وأنها تنسجم مع الشر، وهو يرى أن كل شخص بعد أن يدرس خبراته وخبرة الآخرين يستطيع أن يصل إلى نتيجة هي أن العالم كله مملكة الحظ والخطيئة. تتحكم فيها بدون رحمة سواء في صغار الأمور أو العظام منها وأن الجيد يجد صعوبة في شق طريقه على العكس فالشرير يصل بسهولة إلى مرحلة السيادة^(٢). والنتيجة التي وصل إليها شوبنهاور تعني أن الشر يغلب الخير ويسوده لأن الشر يوافق طبيعة الإنسان لا الخير. وهذا مفهوم شديد العتمة فقد يغلب الشر أحياناً لكنه لا يسود الخير أبداً.

وخلاصة رأي شوبنهاور حول الحياة (أن الإنسان إن كان واقعياً وموضوعياً مع نفسه، وفي كامل قواه العقلية. لن يتمنى أن يعيشها مرة أخرى، بل يتمنى الفناء المطلق الذي لا حياة بعده)^(٣). وقد يعني هذا أن العاقل لن يتمنى حياة

(١) انظر المرجع السابق، ص ٥٢.

(٢) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى أبي العلاء / د/ عفيف عبدالرحمن / دار العلوم الرياض ١٤٠٣ / ط ١ / ص ١٧ بتصرف.

(٣) عن المرجع السابق / ص ١٨ نقلاً.

أخرى لأنها لن تكون أفضل من الأولى بل أن الراحة في نظر شوبنهاور، أو العاقل الحصيف الذي جاء إلى هذه الدنيا أن يفنى بعد حياته الأولى، ويباد فلا يعاود الكرة مرة أخرى بل ويذهب في آرائه إلى (أن الوجود الإنساني بعيد أن يكون هدية من أحد بل هو دين قد تم الاتفاق عليه من قبل، وأن ما يدفعه الإنسان في حياته ليس هو الدين بل الفائدة المترتبة عليه، وأن دفع رأس المال لا يتأتى إلا بالموت)^(١). فالحياة في نظر المفكر كالدين بالربا. فهي ليست هبة الله يجازى عليها من أحسن استخدام هبته ثواباً، ومن أساء استخدامها عقاباً، بل هي دين فائدته تلك المعاناة والأشغال التي نحياها، ونتذوقها، أما عن دفع رأس المال، وهو قيمة الدين فهذا لا يتأتى إلا بمعاناة نزاع الروح الموصول بالموت على أشكاله المأساوية المختلفة في الحياة. وليس شوبنهاور الوحيد في أفكاره التشاؤمية بل تشاركه الأمر الفلسفة البراجماتية وهي فلسفة ليس لديها عقائد يقينية أو جزمية وليس لديها هدف تسعى إليه مثل إله (العقل أو الحق أن ما تسعى إليه هو المنفعة الشخصية باستخدام كل الوسائل والأدوات للحصول إلى السعادة والإشباع والرضا والسرور)^(٢). ومن مفكري هذه الفلسفة وليم جيمس الذي يتساءل (هل تستحق الحياة أن نحياها؟ وهل التشاؤم صفة دائمة ملازمة للإنسان أم هو مزاج عارض؟ وهو يقرر أنه توجد في أعماق كل منا زاوية حيث

(١) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى أبي العلاء / عفيف عبدالرحمن، ص ١٩.

(٢) راجع مقال / الفلسفة الغربية بين معاودة الإيمان والحق إلى نسيانها (أحمد إبراهيم مبارك) إسلام

يعمل بها السر النهائي للأشياء بحزن وأسى، وأن هناك نفوساً ليست بقادرة على السعادة حيث يبدو العالم لها كوكر دائم الخوف أكثر منه ينبوعاً دائماً للسعادة^(١) والحزن والأسى في نظر وليم جيمس سر دفين في زاوية النفس الإنسانية يسكن النفوس ويتعمقها ويجعلها تهاب الحياة وتخشاها، فالحياة بالنسبة لها مخبأ للخوف والألم فهي ينبوع تتدفق الأحزان فيه، وتغلب ينابيع السعادة.

ولفرويد عالم التحليل النفسي رأي آخر في مسألة التفاؤل والتشاؤم فهو (يعتبر التفاؤل هو القاعدة العامة في الحياة، وأن التشاؤم لا يقع في حياة المرء إلا إذا كان لديه ما يعرف بالعقدة النفسية، وهي ارتباط وجداني سلبي شديد التعقيد والتمسك بإزاء موضوع من الموضوعات الخارجية أو الداخلية فتجد نفسك غير قادر على حل أي عملية حسابية مهما كانت سهلة، ولا يكون عجزك نابعاً عن ضعف في الذكاء... وإنما هو مردود إلى العقدة النفسية التي تجعلك كارهاً لحل المسألة... ونستطيع أن نحكم عليك بأنك صرت متشائماً إزاء العمليات الحسابية)^(٢). والأصل لدى فرويد التفاؤل في الحياة، وهو يختلف عمن سبقوه في مفهوم التشاؤم إذ أن التشاؤم عقدة نفسية مهيمنة على النفس تحدث نتيجة فشل ما في زاوية معينة لكنه لا يرفض الحياة أو أحقية العيش فيها كما أنه لا يجد النفس الإنسانية ميالة للتشاؤم أكثر منها للتفاؤل طبيعة وأصلاً.

(١) انظر ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي / عفيف عبدالرحمن / ص ٢١.

(٢) عن التفاؤل والتشاؤم / يوسف ميخائيل أسعد / دار النهضة مصر الفجالة / ص ١٧ ط [بدون]

ومن الأسباب التي تؤدي بالإنسان إلى معاناة قد تصل به إلى أمراض نفسية وجسدية. ما يسمى بسوء التكيف وقد يكون سوء التكيف هذا اجتماعياً، أو مهنياً، أو ذاتياً و(سوء التكيف الاجتماعي يتمثل في عجز الفرد عن مجاراة قوانين الجماعة، ومعاييرها أو عن عجز عقد اتصالات اجتماعية مرضية مع والديه، أخوته، مدرسيه، أو رؤسائه، أو مرؤوسيه. وسوء التكيف المهني يتمثل في إخفاق الفرد في عمله لعدم تناسب قدراته مع عمله، أو لأنه يجد عسراً في صلاته بزملائه ورؤسائه في العمل، وسوء التكيف الذاتي يبدو في عدم رضا الفرد عن نفسه... أو عدم الثقة بها)^(١). وقد يكون المزاج الشخصي أحد أسباب الإصابة بالتشاؤم (إذ يعتقد أن أنماط المزاج تجعل الفرد أكثر ميلاً إلى الحساسية الزائدة مما قد يجد من قدراته على تحمل الضغوط وبيئته لأن يتجه نحو المرض النفسي)^(٢). فصاحب المزاج الحساس يميل إلى الاعتقاد السيء وسوء الظن في أمور كثيرة قد لا يكون لها أصل، فتمنعه من ممارسة أجمل الصلات وعقد الصداقات وتخطي الأزمات. وهذا قد يؤدي به إلى الإحباط .

والتبذل أحد نتائج الإحباط الذي يجعل الفرد غير آبه لانجازاته الشخصية مما يقوده إلى حالة معينة (تلك الحالة تعاف فيها الرغبات الإنسانية أو الحوافز أو

(١) التكيف النفسي / مصطفى فهمي / ص ٣٠٩.

* بما أن التشاؤم مرض نفسي كان أصحاب الأمزجة السوداوي والصفراوي معرضون للإصابة، راجع ص ٦.

(٢) الصحة النفسية والعلاج النفسي / حامد زهران / ص ١١٤.

المصالح الخاصة بالفرد من تحقيق أهدافه^(١). فتركه فريسة للهموم والأوهام التي تأكل الهمة، وتقضي على الدافع الإنساني للفرد.

كذلك ضعف الإرادة وانخفاض الهمة، وتهتك الهزيمة من أسباب تشاؤم الفرد (فالإرادة الواهية تضاعف من تشاؤمه... أنه المحروم من الشجاعة... فتجره الدوامة إلى أسفل إن استسلم غرق وإن قاوم بإرادة وبصلابة نجاة)^(٢). وقد تكون الأحداث العام منها والخاص. والعالم يزخر من حولنا بها من أهم الأسباب المؤدية إلى التشاؤم (فالحياة تحمل في طياتها الحوادث... منها المؤلم الذي يثقل الكاهل... فبعضنا ينزعج قليلاً وبعضنا ينزعج كثيراً ولا ينسى)^(٣).

والأحداث المفاجئة... سواء كانت أحداثاً طبيعية كالزلازل أو البراكين أم كانت أحداثاً عالمية كالحروب أو المجاعات أم غير ذلك... ولا شك أن مثل هذه الظروف تؤدي إلى انتشار التشاؤم في القلوب وتجعل الناس ينظرون إلى من حولهم بمنظار أسود حالك)^(٤). نظراً لما يعود على الأفراد من جراء تلك الحوادث من اضطرابات صحية ونفسية وتفشي الفقر والعادات السيئة والأخلاق الذميمة في التعاملات الفردية، فالحاجة قد تؤدي إلى مسالك سوداء

(١) الصحة النفسية والعلاج النفسي / د. حامد زهران / ص ١١٧.

(٢) "السيكولوجية المبسطة الخجل والتشاؤم" / دار الآفاق الجديدة / بيروت ط ١ / ١٩٧٨ نقلاً. ص ٨٩-٩١

(٣) المرجع السابق / ص ٩٠ نقلاً.

(٤) التفاؤل والتشاؤم / ميخائيل أسعد / ص ٣٠-٣٢ نقلاً.

تعمي البصائر وتصم القلوب، فتهاجم الحسرات أصحاب النفوس السوية الحساسة فتصيبها بالقلق والخوف من المجهول ومفاجآته والحاضر المليئ بسواد تعاملاته.

وتقدمت الإشارة إلى أن التربية أحد العوامل النفسية التي تشرق على النمو النفسي للطفل، فصلاحها يؤدي إلى تكوين نفسية سليمة والعكس واقع وتؤثر في تكوين شخصيته فا (التربية التي يتبعها المجتمع تحدد مدى تمتع الناشئة بالطمأنينة أو عكسها فالتربية التي تأخذ باستذلال الناشئة من الأبناء والتلاميذ وضربهم ضرباً مبرحاً... إنما تؤدي إلى هروب الطمأنينة من قلوبهم وتلاشي السعادة من أفقهم النفسي)^(١).

ونعم الله لا تعد ولا تحصى، لكن الصحة نعمة كبرى من نعمه في الحياة بدونها لا يستطيع الإنسان الاستمتاع بالحياة، وملذاتها أو ممارسة أحب العبادات، ولا أبسط الرغبات، وضعف الصحة سبب رئيسي- من أسباب التشاؤم لأن الصحة (تلعب دوراً مهماً في توجيه سلوك الإنسان، فقد أجمع الأطباء على أن التشاؤم صدى اعتلال صحي يظهر في أخلاق المريض، ويتمثل في أفكاره وتصرفاته)^(٢). كما يؤثر المظهر الجسماني تأثيراً كبيراً على اتجاهات الشخص. بل كثيراً ما نجد شخصاً ابتعد عن بيئته بسبب فروق ملحوظة في

(١) التفاؤم والتشاؤم ميخائيل أسعد/ ص ٣١-٣٢.

(٢) ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي/ ص ٢٢ نقلاً عن لطفي خميس/ الإرهاق العصبي/ ص ٩٥ نقلاً.

تكوينه أو مظهره... ومن أمثلة هذه الفروق ظروف العجز الجسماني، أو انعدام التوازن في تأدية وظائف الغدد أو العمى أو الصمم، كل هذا العمل تعمل على عزل الفرد عن غيره من أفراد مجتمعه، وبالتالي قد تؤدي إلى التشاؤم^(١).

وللتشاؤم صفات، ومظاهر مختلفة ومتنوعة من شخص إلى آخر، حسب شخصية المتشاؤم وجنسه من ذكر وأنثى، وليس من الضروري أن تجتمع كل الصفات لدى شخص بعينه لكن صفات المتشاؤم ترجع إلى حالته البيئية، وتكوينه النفسي والجسدي وظروفه المحيطة به^(٢). ومن هذه المظاهر.

أ) التردد وعدم الثقة أو الانطواء والاستمتاع بالألم تلك الصفات تؤثر عليه وتجعله فاقد الثقة بحاضره ومستقبله، فهو منطوي الدخيلة متقوقع الشخصية دائم الإحساس بالجمود الفكري والانطواء على الذات والاستمتاع بالألم أو التعاضم الباطني^(٣). ومن المعتاد أن يلتذ الإنسان طعم السعادة لكن الغريب في الأمر أن المتشاؤم يلتذ الألم ف (تراه يحبس نفسه طوعاً في كآبة غير حقيقية من صنع خياله، ثم يتنفخ ويتعاضم موهماً نفسه أنها تتعالى بانطوائها واحتباسها، وما ذاك إلى إلا تعاضم باطني، كما أن المتشاؤم يلتذ بتصوير آلام الإنسانية، وتجسيمها

(١) عن ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى ابن الرومي / ص ٢٤ نقلاً.

(٢) تغلب على التشاؤم سلطان الإرادة الموسوعة النفسية // عرض تلخيص عبداللطيف شراره /

ط ٥ / دار إحياء العلوم بيروت ص ١٨ / بتصرف.

(٣) المرجع السابق / ص ١٧ - ١٨.

ليُنفّر الناس من هذه الحياة على نحو ما فعل شوبنهاور حينما رد على لينزر داعية التفاؤل^(١).

ب) السلبية الروحية والغيرة والحسد تهيج للمتشائم رؤية دونيته النفسية، فيلجأ إلى حالات الحقد والكراهية والغيرة، والتي لا تدفعه إلى تحسين وضعه بل تبقى حبيس مكانه يصبو نحو هدف وصل إليه غيره بذكاء وتفاعل مع البيئة.

ج) وعن سيطرة العقل والتفكير السلبي على صحة الجسد وسبب اعتلاله يذكر د/مصطفى فهمي أن الجسد والعقل يؤثران على بعضهما تأثيراً واقعياً مثلاً (إذا انفعّل الإنسان وشعر بالخوف تزداد ضربات القلب وأن معظم الأمراض السيكوسوماتية وهي عضوية إلا أن مصادرها ترجع إلى أسباب انفعالية مثل الإمساك الشديد، وجع الرأس، الحساسية)^(٢). كذلك أن سيطرة العقل على الجسد قوية إذ أن (المتشائم يظل يهزل ويضعف لأنه يضع في ذهنه سلفاً أن لا فائدة ترجى من المعالجة أو من مقاومة أدواء النفس)^(٣) لأن الحياة شر لا خير فيها، فإن عدمت الراحة النفسية كان (عدم الاتزان النفسي- للفرد واضطرابه الانفعالي المتكرر، والذي يعتبر المصدر الأساسي لأدواء النفس التي تتخذ مظاهر جسمية أو نفسية)^(٤).

(١) عن ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي/ ص ٢٩ - ٣٠ بتصرف

(٢) انظر الإنسان وصحته النفسية/ مصطفى فهمي/ ص ١٠.

(٣) التفاؤل والتشاؤم/ ميخائيل أسعد/ ص ١٧.

(٤) الإنسان وصحته النفسية/ مصطفى فهمي/ ص ١١ نقلاً.

ونستطيع اختيار الشاعر ابن الرومي كنموذج تنطبق عليه أكثر من صفة من صفات المتشائم فقد جمع ابن الرومي بين التشاؤم من مرئي أو مسموع وبين التشاؤم كحالة ذهنية مرضية وخصوصاً في المرحلة الأخيرة من حياته^(١) فكان التردد، وسوء الظن من أبرز صفاته إذ كان متطيراً يتشاءم من الأسماء والصفات والأشكال، وقد وصل به الحال إلى أن يحبس نفسه وأهله في بيته (فقد منع نفسه من الخروج من بيته حتى كان يقضي هو وأهله من شدة الجوع لأنه قعد بباب داره رجل أحذب فكان كلما حاول الخروج وفتح الباب رآه فيغلق الباب)^(٢) وقد قست عليه الأقدار وسلب (الموت الأهل من أم وأب وأخ، والخلان من ابن وزوج)^(٣) كما أن وصفه الجسماني كما وصفه العقاد كفيل أن يبين عن عيوب جسديه وعقليه لها تأثير واضح على نفسيته فقد كان (ابن الرومي صغير الرأس مستدير أعلاه أبيض الوجه، يخالط لونه شحوب في بعض الأحيان، وتغير ساهم كث اللحية أصلع بادر إليه الصلع والشيب في شبابه، وأدركته الشيخوخة البكرة فاعتل جسمه، وضعف نظره وسمعه، ولم يكن قط قوي البنية في شباب ولا شيخوخة)^(٤).

(١) انظر الهجاء عند ابن الرومي [رسالة ماجستير في الأدب العربي. عبد الحميد محمد حيدرة] ص ٦٩ -

٧٠، ناشر المكتب العالمي / بيروت ١٩٧٤.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب / ح ٢ / ص ٥٣٣ / لأبي اسحاق إبراهيم بن علي الحصري / شروح د/ زكي مبارك/ دار الجيل بيروت.

(٣) راجع ابن الرومي / عباس العقاد / ص ٩٣ - ١٠١ / ناشر دار الكتاب العربي / بيروت / ط ٧ / ١٩٦٨.

(٤) المرجع السابق / ص ١١٤.

كما تميز باختلال الأعصاب وشدوذ الأطوار وشواهد ذلك كثيرة مما وصف بها نفسه في شعره^(١). وابن الرومي في صراع دائم مع مجتمعه لا يستطيع التكيف فيه، فهو بين فقر وغنى، وتعفف وسؤال، وزهد وإقبال، لكنه دائم السخط نائر على حظه من الحياة ومن هذا المجتمع الذي لا يرتفع فيه إلا الأوغاد^(٢). وهناك رأي للدكتور/ محمد النويهي أن نقائص ابن الرومي واختلالاته، وغرابة أطواره وسرعة تأثيره وعظم نهجه، وشدة تخوفه، وإفراط طيرته خليف بأن يكره الناس وينفرهم منه متغيراً شديداً).

هذا ابن الرومي شخصية مشهورة اجتمعت فيها أكثر من صفة ليكون الرجل الذي انتهى حياته من شاعر نائر إلى شاعر متجول... فالأسباب كانت فوق طاقته هدمته وحطمت أعصابه وجعلته يؤمن بأنه قد فشل في حياته ودفعته الحاجة إلى التسكع على الأبواب، وسؤال الناس في أواخر حياته^(٣).

د) عدم اتزان الرؤية لدى المتشائم أحد مظاهر تشاؤمه إذ أن ما يجري من متناقضات وصراعات بين الفضيلة والرذيلة في المجتمع تجعل من المرء دائم الإحساس بالحزن والكآبة و(الانقباض والتوجس من المجهول... يستشعر

(١) المرجع السابق/ ص ١٣٤.

(٢) انظر الهجاء عند ابن الرومي [رسالة ماجستير عبد الحميد محمد حيدر/ ص ٥٨

(٣) عن ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي/ ص ٢٢٤ نقلاً.

الأخطار الغامضة، والمصائب الموهومة تتربص به وتكاد تطبق على رقبتة^(١).

هـ) سوء الظن والوساوس والشك في ثبات عواطف ومرامى الآخرين.

و) عدم التبلور الوجداني حول موضوع من الموضوعات مدة طويلة. وعدم قدرة المتشائم على الوثوق بموضوع معين ، أو إيجابيته ذلك يجعل منه دائم الشكوك والارتياب ، فينتقل من موضوع لآخر دون الثبات على واحد، وأخذ الفائدة منه^(٢).

ي) ظهور بعض المخاوف المرضية كالخوف من الأماكن المغلقة أو المرتفعة، أو الخوف من الحيوانات أو الحشرات التي لا تضر ولا تفتك بالإنسان. وفي هذه الحالة يلقي المتشائم اللوم فيها على الأشياء بصفة عامة المتشائم لا يحب الحياة ولا يرى إيجابياتها، وكل رؤياه طلاس سوداء لا تسمح له بالإقبال عليها إلا بالقدر الضيق الذي يسع فكره المحاط بأشباح من أوهامه النفسية والعقلية.

(١) التفاؤل والتشاؤم / ميخائيل أسعد / ص ١٤٢ - ١٤٦ .

(٢) المرجع السابق / الصفحة نفسها.

المبحث الثاني: مظاهر التشاؤم في الموروث الشعري العربي:

صوّر الشعر الجاهلي حياة العرب في ذلك العصر. فكانت معالم تلك الصور حية توحى لقارئها بكثير من طبيعة تلك الحياة، وتكشف عن حقائقها (ونظراً لقسوة الحياة البدوية، وما يحيط بها من عوامل جغرافية، وسياسية، واقتصادية دينية)^(١) لكثُر الشغل وقلّ الكسب، وانتشر الفقر، وسادت الحروب، والسلب والنهب، وضعف الوازع الديني أو انعدامه أدى إلى انتشار عادات سيئة مثل وأد البنات، وشرب الخمر، وتجارة الرق، والتطير، ويعد التشاؤم ملموساً في أشعار الجاهلين مثل قول النابغة الذبياني^(٢):

زعم الغداف أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغراب الأسود
مرحبا بغد ولا أهلاً به إن كان تفريق الأحبة في غد
نوعاً من التطير تشاؤماً بالطير، فرؤية الغراب جعلت الرجل يشاء من غد
ويكره لقياه، لأن فراق الأحبة فيه آت كذا قول عنتره بن شداد^(٣):

ظن الذين فراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأيقع
حرق الجناح كأن لحى رأسه حليمات بأخبار هش مولع

(١) راجع العصر الجاهلي / ص ٦٧ - ٧٨ شوقي ضيف / دار المعارف ١٩٦٠ / المفصل في تاريخ الأدب العربي ح ١ ص ٣٠ - ٣٦ لأحمد الاسكندراني / علي جارم / أحمد أمين / عبدالعزيز البشري / أحمد ضيف / مكتبة الأدب القاهرة.

(٢) ديوان الشاعر / ص ٩٣ / جمعه محمد طاهر بن عاشور / نشر فوشيه للتوزيع / ١٩٩٦.

(٣) ديوان الشاعر / ص ٤٨ / شرح الديوان أكرم البستاني.

وهذا النوع من التشاؤم بالطير متعارف عليه في الجاهلية كما تشاءم الجاهليون من الناس ذوي العاهات، فإذا ولدت الأم ابنتها، وكانت ذات عاهة جسدية (أو مرض أو قبح كأن تكون زرقاء، أو يرشاء، أو كسحاء)^(١) دعاهم ذلك إلى وأد الطفلة المعاقة، ولا يختص الوأد بذوات العاهات - بل كون المولود فتاة قد يكون ذلك سبباً كافياً لوأدها، والتخلص من عارها عند الكبر، وقد يكون هذا النوع من التشاؤم لدى الجاهلين نوعاً من العادات والتقاليد المتبعة، لكنه ليس التشاؤم المرضي تلك الحالة الملازمة للفرد، التي تحيط عقله ونفسه برؤى سوداوية معتمدة، وسلبية تضيق عليه خناق الحياة. ومن الممكن عد الفقر وانتشاره بين العرب لأسباب عدة مظهر من مظاهر التشاؤم. فانتشار الحزن والكآبة وضيق الحال يخلق التعاسة. ويفرق بين أقرب المقربين بين الزوج وزوجه (فقد كان الفقراء يؤلفون سواد العرب، وقد سجل الشعر الجاهلي الكثير من الفقراء الذين عبروا بشعرهم عن الحرمان فهذا عروة بن الورد يحس بازدراء الناس للفقير)^(٢) ويحض نفسه للسعي خلف المال لأن الفقر أصبح في نظر قومه سبب الذل والهوان. وإن كان من أصابه ذا حسب ونسب وفعل كريم يقول:

(١) عن المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ جواد علي/ ح ٥ ص ٨٩ / ١٩٧٠ / دار العلم للملايين / بيروت ط ١ نقلاً .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام/ السيد عبدالعزيز سالم. ح ١ / ص ٣٨٧ - ٣٨٨ مؤسسة شباب الجامعة / الاسكندرية.

ذريني للغنى أسع فإنني رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير^(١)

وهذا عبيد بن الأبرص لا يحفل لفراق زوجه التي لم تعد تهتم به لفقره،
وساءت معاملتها نظراً لذلك الفقر بل وسبب ذلك فراقها يقول:

تلك عرسي غضبي تريد زبالي ألبين تريد أم الدلال
أن يكن طبعك الفراق فلا أحفـ ل إن تعطفي صدور الجـمال
فاتركي مط حاجبيك وعيشي معنا بالرجاء والتأمال^(٢)

فالاستفهام الإنكاري " ألبين تريد أم الدلال " دعوة من الشاعر امرأته أن
تترك الدلال ، فهي تعلم حاله وحال الواقع الذي يعيشه ، ولكن إذا كان طبعها
الفراق " فلا أحفل " ثم اتركي وعيشي " بالأمر بالإنشاء وغرضه الحث على أن
تحيا معه ولا تفارقه ، بالأمل في أن تتبدل الأحوال فتصيب هدفها وتناد مرادها .

وهنا يعرض أن هذا القول من باب الشكوى، والشكوى ليست مظهراً
تشاؤمياً، فنقول شكاً بمعنى (تألم ما به من مرض ونحوه والشكوة فتحها وأظهر
ما فيها، وتعني أن أظهر همه وأبداه متوجعاً يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي
وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾^(٣). وهذا صحيح لكن النظرة الفاحصة للوضع حين ينتشر-
الفقر ويعم العباد ، ويجوب الحرمان كل البلاد، ويزداد طلب الحاجة ليست

(١) ديوان عروة بين الورد / ص ٤٠ / دار صادر بيروت.

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص / ص ١١٣ - ١١٤ / نشر دار صادر / بيروت / ١٩٧٦م - ١٣٩٩هـ

(٣) أساس البلاغة، الزنجشري / ص ٤٠٥.



الحاجة إلى الملذات بل إلى ضروريات الحياة، كيف تكون الأحوال؟ هل يعمّ الرخاء والطمأنينة النفوس أم يجوبها القلق والبؤس الذي يجعل القوم يرمون الفقير بينهم بالأشر والأهون حتى إن كان ذا نسب وحسب، لدرجة أن يهدم الفقر أعظم المواثيق بين المرء وزوجه ألا تعم الكآبة والسوداوية. خصوصاً إن كانت الشكوى موصولة بالقنوط وعدم الرضا، والضجر الدائم من بؤس الحياة، وشقاء الظروف. عندها تصطبغ الشكوى بلون من ألوان التشاؤم وإن لم تُعدّ مظهرًا في حد ذاتها.

وقد تشاءم القوم من الحرب، وهي حرب مريرة دامت لسنوات طوال بين قبيلتي عبس وذبيان، كانت كالنار تأكل الأخضر واليابس قال فيها زهير تشاؤماً منها^(١):

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة	وتضر- إذا ضر يتموها فتضر-م
فتعرككم عرك الرحى بثقالها	وتلقح كشافاً ثم تنتج فتئم
فتنتج لكم غلمان أشائم كلهم	كأحمر عاد ثم ترضع فنقطم

انظر إلى قوله " متى تبعثوها فإنها تنتج لكم غلمان أشام " فالشاعر ينفر من الحرب ويدعو إلى السلام وتحقيق العدل .

يقول زهير أن هذه الحرب حقيرة ذميمة وأنها كالنار تثقد وتشتد، وتقضي- على الأخضر واليابس، فتكون هي الشؤم بعينه عليهم لأنها تطحنهم كما تفعل

(١) معلقة زهير بن أبي سلمى / شرح المعلقات العشر- وأخبار شعرائها/ الشيخ أحمد بن أمين



الرحى بالطحين فتهلكهم ولشدة بأس تلك الحرب يدفعه تشاؤمه منها إلى تشبيهها بصورة قاسية منها أنها كالناقة التي تلد توأمين شؤم يتيمن، كما أنها كأحمر عاد، وهذا هو قدار بن سالف عاقر الناقة وأحمر لقيه^(١). فقد جلب الشؤم على قومه، وهو عذاب الله وغضبه، حين حذرهم نبهم من إيذاء الناقة فعقرها هذا الرجل، فجاء عذاب الله وأباد القوم عن وجه الأرض وتعتبر هذه الحرب صورة من صور التشاؤم لأن القوم ظلوا يعانون منها لسنوات طوال وظل الشؤم والحزن ملازماً للقبيلتين لا ينفك يتركها بسلام، حتى كان الصلح ودفع الديات الذي قشع الغمة وأرعى الأحوال... ولقد عد د/ عفيف عبدالرحمن شعراء من المشاهير أمثال امرؤ القيس، وطرفة بن العبد، وعروة بن الورد شعراء أصيوا بالتشاؤم نتيجة لظروفهم القاسية التي مروا بها^(٢).

(١) انظر شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها/ أحمد أمين الشنقيطي / ص ١١٧

(٢) لقد بحث في ظاهرة تشاؤم الشاعر امرؤ القيس د/ عفيف عبدالرحمن في مؤلفه ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي حيث قال عنه: يأتي امرؤ القيس في طليعة المتشائمين فقد عاش هذا الشاعر حياتين تميزت أولاهما باللهو والترف، وتميزت الثانية بالسعي والفشل في الحصول على تأييد خارجي لإعادة ملك أبيه حجر. الذي قتل من قبل بعض الثائرين من بني أسد على حكمه. ولقد أحدث مقتل أبيه انقلاباً في حياته هجر اللهو والمجون وسعى للحصول على عون لإعادة ملك أبيه وقصد الروم لذلك وفي تلك الفترة انفض عنه معظم أصحابه فشكا الدهر وتحدث عن مصيره قائلاً:

وقد طوقت في الأفاق حتى رضيت من الغنيمه بالإياب
أبعد الحارث بن عمرو وبعد الخير حجر ذي قباب

وعندما مني الشاعر بالفشل بعد رحلته استسلم للواقع، ورضخ وانشغل في التفكير في نفسه

ومصيرها واستمر بندب أباه وأجداده ويتحسر عليهم قائلاً:

أياعين بكى لي شنيئاً وبلى لي الملوكة ألهينا

وقد شعر بالغبرة وهو يتوغل في أماكن مجهولة وانفض عنه الإخوان وتغير الزمان وكان رد الشاعر العنيف حقداً على الزمان وشكاً في الناس وقاده التفكير في النتيجة الحتمية وهي الموت، ولم يجد في عقيدته ما يجيب على أسئلته فعاقبه الموت غير معروفة لديه... ويعلم شاعرنا أن مصيره الموت، وعملاً قليل يلحق بأصله مسلوباً من كل قوة وعزة، ومن كل شيء سعى جاهداً في طلبه، هنا يدب اليأس في نفسه، ويقطع الأمل، ويموت طموحه ويخيل إليه أنه يموت كل يوم مرة بل مرات.

فلو أنها نفس تموت جميعاً لكنها نفس تساقط أنفسنا
وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة لعل منا ياناً تحولن أبؤساً

وقد أعتبر طرفة بن العبد متشائماً، لظروف نشأته الصعبة، فقد نشأ يتيم الأب حيث قسا عليه أعماله، وعلى والدته الغريبة عنهم، وذلك ولد لديه شعور بالأسى والبؤس، فنشأ يبذل أمواله حتى شعر بالحسرة على فقره، وغني غيره فقال في ذلك:

ولو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرشد
فأصبحت ذا مال كثير وزارني بنون كرام سادته لمسود

وقد شغله التفكير في الموت فلا دليل يهديه سواء السبيل وإلى أين المصير، ولا يشعره بقيم الحياة، والموت كأس يتجرعه الجميع يقول في ذلك:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكأ لطلول المرخى، وثناه باليد
أرى قبر نحام بخيل بهاله كقبر غوى في البطالة مفسد

والموت قريب، والعيش كنز ينقص كل ليلة يقول:

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً، ما أقرب اليوم من غد
أرى العيش كنز ناقص كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر بنفد

فطرفة عانى من ظروف الحياة، وقسوة الأهل والأقارب، وعسر الحال وقد زاد همه الخوف من المجهول فالحياة ألم مستمر، يخالطها هو ينتهي بموت مجهول المصير، هذا ما دفع بطرفة في نظر

وقد انطوت صفحة الجاهلية بعد أن بعث الله تعالى رسوله الكريم صلوات الله عليه وسلامه بخير رسالة للأمة جمعاء، وتلك الرسالة كانت النور الذي أقصى ظلمات الجاهلية وأبادها (فقد كان للإسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء، والأخلاق في نظر العرب، فارتفعت قيمة أشياء، وانخفضت قيمة أخرى وأصبحت مقومات الحياة في نظرهم غيرها بالأمس)^(١).

ومن أعظم مبادئ الإسلام أنه جاء ليوحد بين الناس وليصلح من أحوالهم ويبطل كثيراً من عاداتهم السيئة، والهجاء واحد من هذه العادات المنتشرة في الجاهلية أي هجاء الذي يسلخ الجلد عن اللحم. وشاعر مخضرم مثل الحطيئة شهد الجاهلية والإسلام (ولد في بني عبس دعيًا لا يُعرف له نسب ولا يصله بالشرف سبب، فشب محروماً مظلوماً مذموماً لا يجد مدداً من أهله، ولا سنداً من قومه، فاضطر إلى الشعر يجلب به القوت ويدفع به العدوان، ويتنقم به لنفسه من بيئة ظلمته وطاردته)^(٢). أحاطت بهذا الشاعر عوامل جسدية، أثرت في تكوين نفسه، إذ كان الحطيئة قصير القامة قبيح الشكل (لقب بذلك لقصره، وقربه من الأرض ولذمامته)^(٣). كما كان الحطيئة مجهول الأب فأمه جارية. بعد أن حررتها

=
د/ عفيف إلى هاوية التشاؤم، والمعاناة، ص ٤٤ - ٤٥.

راجع ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي / د. عفيف عبدالرحمن / ص ٤١ - ٤٦.

(١) فجر الإسلام / أحمد أمين / ص ٧٥ / نشر دار الكتاب العربي بيروت / ط ١ / ١٩٦٣.

(٢) عن تاريخ الأدب العربي / أحمد حسن الزيات / ص ١١٣ / نشر دار المعرفة بيروت لبنان / ط ٥ / ١٩٩٩ م نقلاً.

(٣) خزانة الأدب / عبدالقادر الغدادي / تحقيق عبدالسلام هارون / نشر - مكتبة الخانجي / ح ٢ /

سيدها تزوجت من ابن أمة من قبيلة عبس^(١). كان شعوره الدائم بعدم الأمان يرجع إلى أنه "ل ينسب إلى قبيلة وكان إذا غضب منها انتمى إلى أخرى"^(٢). عاش الخطيئة طفولة مريرة يطلب الأمان والكفاية، فلا يجدها، فكان ذلك كفيلاً بأن يزعزع وجدان هذا الرجل بل ويشعره بالحق على كل من يلجأ إليه ولا يرضيه، فشب متصفاً بصفات شنيعة قال عنها الأصمعي (كان الخطيئة جشعاً سوءاً ملحفاً دنى النفس كثير الشر، بخيلاً، قبيح المنظر رث الهيئة، مغمور النسب، فاسد الدين)^(٣). وإذ يستشهد بالخطيئة فقد انطبقت عليه سمات التشاؤم، وتحلى بأكثر من صفة من صفاتها، ولكن ما علاقة تشاؤمه بهجائه اللاذع؟ هل الهجاء من مظاهر التشاؤم ودليل من دلائله؟ ليس الهجاء سمة من سمات التشاؤم وإلا عددنا كل شعراء الهجاء في الشعر العربي متشائمين، وإنما لأن هجاء الخطيئة يثير الأحزان في الصدور، فيطبق الهم على النفوس، فيسبب هذا تشاؤماً لصاحب تلك الحالة. مثلاً ما فعله حين هجا الزبرقان فقال:

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلاً	ذا حاجة عاش في مستوعر شاس
جار لقوم أطالوا هون منزله	وغادروه مقيماً بين أرماس
ملوقراه وهرتة كلابهم	وجرحوه بأنياب وأضراس

=

ص ٤٠٦.

(١) المصدر السابق / ح ٢ / ص ٤٠٧.

(٢) المصدر السابق / ص ٤٠٦.

(٣) خزانة الأدب / ص ٤٠٨ / البغدادي

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
و حين استعدى الزبرقان عليه عمر بن الخطاب لم يتبين عمر موطن الهجاء
لخفائه بل أرسل في طلب حسان بن ثابت الذي أجاب أن الخطيئة لم يهجو به بل
سلح عليه فحبسه عمر ليشغله عن أعراض المسلمين^(١) ولم ينل بشعره الغرباء
من القوم بل نال من هم أقرب الناس إليه أمه وأباه وعمه. أيعقل أن يكون
الخطيئة، سليم النفس صالح السريرة، فيهجو الأهل والخلان. إلا أن يكون
شرس الطباع قاتم النظر حقوق النفس يقول في أمه^(٢):

ننحي فاقعدي مني بعيداً	أراح الله منك العالمينا
ألم أوضح لك البغضاء مني	ولكن لا إخالك تفعلينا
أغربا لا إذا استودعت سراً	وكانوناً على المتحدثينا
جزاك الله شراً من عجز	ولقاك العقوق من البنينا
حياتك ما علمت حياة سوء	موتك قد يسر ^٥ - الصالحينا

أيهجو المرء أمه ؟ هل هذا جزاء سنهار ؟ هل يرد جميلها وعظيم فعلها بالسب
والشتم ؟ أيكون جزاء المعروف الجحود والإنكار ؟ أيطلب من الله أن يريح
العالمين منها ؟ أي عقوق هذا ؟! أيظهر لها البغضاء والكراهية " ألم أوضح لك
البغضاء مني " فالاستفهام تقرير ففقد اعترف بحقده وكرهه، ولكنها لا تبالي ،

(١) الشعر والشعراء / ابن قتيبة / دار الأحياء للعلوم / بيروت / ط ٤ / ١٩٩١م / ص ٢٠٧ / مراجعة

محمد العريان.

(٢) الشعر والشعراء / ابن قتيبة / ص ٢٠٤.

أيدعو عليها بالعقوق من الآخرين ؟ أبلغت هذه الدرجة من السوء فيكون موتها
يسر^٦ الصالحينا.

ولم يترك الخطيئة الأب دون هجاء ، فلا يظن القارئ أن هناك خلافاً بين
أمه وأبيه ، فهما قد بلغا من السوء درجة - في نظر الابن - جعلته يقسو عليهما في
هجاء فيقول في أبيه :

لحاك الله ثم لحاك حقا	أبا لحاك من عم وخال ^(١)
فنعم الشيخ أنت لدى المخازي	وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
جمعت اللؤم لا حياءا لربي	وأبواب السفاهة والضلال ^(٢)

وها هو يجمع الأب، والعم، والخال. فلم يبق ولم يذر له من أصناف
المقربين إلا الأبناء، فأبوه شيخ فاضل متى يرى فضله وأين ؟ إنه استفهام التهكم،
فلا فضل للرجل في الصغر ولا في الكبر ، " نعم الشيخ لدى المخازي " ، " بئس
الشيخ لدى المعالي " فالطباق يوضح التناقض في أفعال أبيه ، فبينما يبحث عنه في
موضع العلا يجده في مواضع الخزي ، فيجلب العار له ولأسرته من بعده ، فقد
جمع السفاهة وحاز الضلال ، فكأنما صاروا قاصرين عليه دون غيره من الناس .

فقد شمله اللؤم والخبث في شيخوخته. فيدعو عليه أن لا حياه الله لما يطرق
من أبواب السفاهة والضلال. ما هذا المنطق السوداوي النكهة، أن يدعوا المرء

(١) المصدر السابق / الصفحة نفسها.

(٢) الشعر والشعراء / ابن قتيبة، ص ٢٠٤.



على والديه ليس إلا رجل فقد كل الأحاسيس الإنسانية الطبيعية، وليس المكتسب رجل تدثر بدثار من التشاؤمية جعلته يرى كل أفعال والديه سلبية متقاعسة عن تقديم الخير له ومن حوله حتى وصل به الأمر إلى البغض والحقد وتمنى زوال الوالدين وفنائهما .

ولا تزال عوامل الحياة على مر العصور، وما تحمله في طياتها من مظاهر ترف ونعيم لعلية القوم وبؤس وشقاء لعامة الشعب^(١). تعمل على قلب الموازين واضطرابها، فتصبح النفوس حزينة، والقلوب باكية والألسن ناطقة، والمظهر الذي يبدو فيه تشاؤم الشاعر الكندي فيه نصح وإرشاد، بأن تختار الوحدة أنيساً، والعزلة رقيقاً^(٢).

أناف التتابي على الأروس	فغمض جفونك أونكس
وضائل سوادك وأفيض يديك	وفي قصر — بيتك فاستجلس
وعند ملكك نابغ العلو	وبالوحدة اليوم فاستأنس
وكان ترى من أخي عسرة	غنى وذو ثررة مفلس
ومن قائم شخص ميت	على أنه بعد لم ير مس

ففي نظره ونظر كل عاقل حصيف أن الناس أموات ، لا يدركون شيئاً مما حولهم وحقيقة موتهم أنهم أحياء أموات لم يدفنوا بعد في قبورهم ، وهذه نظرة حالكة لكنها ربما تكون صدق الواقع المرير بالنسبة لفيلسوف يرى الأوضاع قد

(١) راجع العصر العباسي الأول / شوقي ضيف / ص ٤٥ / نشر دار المعارف ١٩٩٦م / ط بدون.

(٢) انظر العصر العباسي الثاني / شوقي ضيق / ص ٢٤١ / نشر دار المعارف.

قلبت ، حيث لبس العمام من لا يستحقها وجلس على المناصب من لا يعرف حقها، وعلم العلم من لا علم لديه، فأثر العزلة حيث هي خير من ذلك الحال. وليس الكندي وحده من كانت لديه تلك المشاعر السوداء بل شملت تلك النظرة (ممن عاشوا في بيوت الترف والنعيم أمثال ابن المعتز)^(١) حين قال:

لم يبق في العيش غير البؤس والنكد فاهرب إلى الموت من هم ومن نكد
ملأت يادهر عيني من مكارهها يادهر حسبك قد أسرفت فاقصد^(٢)

وابن المعتز يرى أن الدنيا قد أفلست إلا من النكد والبؤس وعلى الإنسان أن يختار الموت بل ويهرب إليه حتى يريجه من نكد الحياة، ونظرته التشاؤمية تؤدي به إلى تشبيه الدهر بالمسرف الذي يدعوه إلى الاقتصاد فقد أسرف في صرف المكاره والمصائب بين الناس وعلى شخصه. ثم نخبرنا أن لا خير في الناس أجمعين، أو منفردين وأن المرء لا يسلم من الذم وهو صالح الحال أو فاسده.

وتلك نظرة تشاؤمية شملت فكر ابن المعتز وسيطرت عليه لفترة فقال:

لا خير في العالمين كلهم ولا من العالمين منفرداً
لا يسلم المرء حين يصلح من ذم الحسود فكيف إن فسد^(٣)

ولا بد من ذكر أبي العلاء المعري الشاعر الفيلسوف له نظريات وفلسفة

(١) العصر العباسي الثاني / شوقي ضيف / ص ٢٤١ / بتصرف.

(٢) ديوان ابن المعتز / ص ١٨٦ / نشر دار صادر بيروت.

(٣) ديوان ابن المعتز، ص ١٨٦ / نشر دار صادر بيروت.

خاصة بأمور الحياة. أدت إلى تشاؤمه ، فكان لها مظاهر عدة تكمن في (نقمته على الدنيا وأهلها واعتزاله الزواج والناس والمجتمع، والشك وسوء الظن اللذين واكباه طوال حياته، والزهد والتقشف اللذين اتخذهما مسلكاً في حياته)^(١).

يقول عبدالرحمن شكري أن أبا العلاء قد تجاوز مرحلة اليأس من الحياة إلى مرحلة أشد منها وهي اليأس من الفن وبلاغته وعلومه في قوله :

لما نحن فيه من عنت فكلنا في تحيل ودلس
ما النحو ما الشعر والكلام وما مرقش والمتسبب بن علس
طالت على ساهر دجته والصبح فاء فمن لنا بفلس

وهذه الأبيات في نظر الشاعر عبدالرحمن شكري من أشد النظرات
يأساً من الحياة إذ أن الإنسان سواءً شاعراً كان أم غير شاعر إذ داهمه الهم
في الحياة لجأ إلى الفنون كي يجد لذة أو عزاء وسلوى ومهرباً وقوة لاستئناف
الحياة^(٢).

وعن سوء ظنه بالناس وطباعهم يقول:

إن مازت الناس أخلاق يقاس بها فإنهم عند سوء الطبع أسواء

(١) انظر ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي / د. عفيف عبدالرحمن / ص ٤٨٥.

(٢) دراسات في الشعر العربي / عبدالرحمن شكري / جمعها وحققها د. محمد رجب بيومي / الدار

المصرية اللبنانية / ص ١٤١ / ط ١ / ١٩٩٤م نقلاً.

أو كان كل بني حواء يشبهني فبئس ما ولدت للناس حواء^(١)

بل ويزيد فهو يسيئ الظن حتى بنفسه فإن الناس سواء في خبث الخلق وسوءه حتى وإن كانوا يشبهونه في ذلك فالبؤس والتعاسة لمن ولدوا جميعاً .

وعن عزوفه عن الزواج، بل ونظرته التشاؤمية عن فكرة الزواج والنسل قال:

فليت حواء عقيماً غدت لا تلد الناس ولا تحبل^(٢)

- هو تمنى العقم لحواء، أو المرأة عامة ليكون الزواج بلا فائدة حينئذ إذ لا يتوالد الناس ولا تحبل النساء ولا يستمر النسل على وجه الأرض وهذا ما يرضي فكر أبي العلاء ونفسيته، ويخالف شريعة الحياة ومنهاجها. هذا أبو العلاء وبعض أفكاره السوداء حول الحياة ومظاهرها. ونتقل إلى حكم عالم مثل عبدالقاهر الجرجاني أطلقه على من يدعون العلم وهم دونه ويعلمونه رثيلاً في نعيم الحياة يقول^(٣):

هذا زمان ليس فيه ————— هـ سوى النذالة والجهالة
لم يرق فيه صاعد ————— إلا وسلمه النذالة

(١) لزوميات أبي العلاء المعري/ ح ١ ص ٤٠ تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي ، مكتبة الهلال بيروت ، مطبعة الجمهور بجوار دار الكتب خانة ، مكتبة الخانجي القاهرة .

(٢) المصدر السابق ج ٢ / ص ١٩٤ .

(٣) انظر عصر الدول والامارات الجزيرة العربية/ ألبرت ليزت/ شوقي ضيف/ ص ٥٩٦ / ط ٤ / ١٩٩٦م/ نشر وزارة المعارف.

فالتشاؤم من هذا الزمان الذي يعيش فيه الشاعر ، إذ سيطر عليه لثام الطبع والجهال ، " وسلمه النذالة " فهو لاء يصلون إلى المراتب والدرجات العلى ، لا عن طريق الجد والاجتهاد وتحصيل العلوم ، وإنما عن طريق النفاق والخسة والنذالة وشراء المناصب عن طريق توزيع الهبات والأموال . وإذا عبرنا دهاeliz الزمن ، وسارت بنا سفينة الحياة ، وعبرت العصور ومرت بالأزمان والدهور ، واستقرت بنا في العصر الحديث ، نجد امتداد لظاهرة التشاؤم ، وكل ظاهرة لا بد لها من حذور ^(١) . فهذا أبو القاسم الشابي يستصرخ الأمة آلامه فهي نظرة متفائلة تشوبها نظرة متشائمة لتحرر الأمة قيودها في قصيدة الطاغية إذ قال :

الويل يا صرح المظالم من غد ،	إذا نهض المستضعفون وصمموا
إذا حطم المستعبدون قيودهم	وصبوا حميم السخط أيان تعلم
أنمر ك أن الشعب مغمض على قذى	وأن الفضاء الرحب و سنان مظلم
ولكن سيأتي بعد لأي نشورها	وينشق اليوم الذي يترنم ^(٢)

فهو يرى شعبه مستضعفاً مقهوراً مستعبداً ، وأي ذل في ذلك لشعب حر أبى لم يعهد الظلم ولن يطيقه ، لذلك سوف ينهض ويحطم أغلاله ويصب جام سخطه على ذلك المعتدي الغاشم ، وحين ينعت الغاصب بالغرور ، لأنه اعتقد أن الشعب العربي سيظل مغمض عينيه على الأذى ، وأن ظلام عدوانه لن ينقشع ، ثم تأتي النظرة المتفائلة نحو الأمة التي سوف تبعث النصر من بعد الهزيمة ، وأن اليوم لآت ليتغنى بالنصر المبين .

(١) انظر مقدمة ديوان انما في الحياة / أبو القاسم الشابي / ضبط وشرح إميل / نشر دار الجليل .

(٢) المرجع السابق / ص ٤٧ .

ولقد ولدت معاناة الوطن المستعبد لدى الشاعر أحزاناً تكالبت عليه متحدة مع معاناة الجسد إذ كان يعاني من آلام في الجسد (فجسده مريض، بتضخم القلب وروحه مريضة من ألم فراق الأحبة وفراق الأب للابن البكر، وقد وصف نفسه بالغرابة والكآبة)^(١). مهما تراقصت الحياة حوله بهجة قال في ذلك:

فإنني أبداً كئيب	مهما تضاحكت الحياة
والكآبة لا تذيب	أصغي لأوجاع الكآبة
البلوى ويعتلج النحيب	في مهجتي تتأوه
وتجيش أمواج الكروب	ويضج جبار الأسى
سيظل في الدنيا غريب ^(٢)	إني أنا الروح الذي

فقد اجتمعت آلام الروح والجسد لدى الشابي وكان ذلك فوق طاقته مما جعله يرى الحياة بنظرة كئيبة ينصت من خلالها لأوجاعها دون أن يعير مباهجها أي اهتمام، فقلبه يئن من بلواه، ويشتد البكاء وتعتليه أمواج الحزن والمشقة، وتطوف جنباته مشاعر الغربة والوحدة في هذه الدنيا إلى أن توصله إلى طريق مسدود سوداوي النهاية يرى فيه أن لا خير في الحياة فيرسل تحية معطرة إلى الموت. يصف فيها أفضاله فهو المهد الحاضن المريح لكل الكائنات يقول:

إلى الموت يابن الحياة التعيس ففي الموت صوت الحياة الرحيم

(١) انظر موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين / خليل أحمد خليل / ح ١، ص ٥٧٦ / نشر-

نشر المؤسسة العربية للدراسات.

(٢) ديوان الشاعر قصيدة ونشيد الأسى / ص ٣.

إلى الموت فالموت جام روى لمن أظمأته سموم الفلاة
ولست براو إذا ما ظمئت من المنبع العذب قبل الممات
إلى الموت فالموت مهد وثير تنام بأحضان الكائنات^(١)

فالموت في نظره ينبوع الرحمة والارتواء لمن أظمأته رزايا الحياة ولن يرتوي
إلا بعد أن يذوق الموت ، فهو النبع العذب بالنسبة إليه ، وهو المهد اللين الذي
ترتاح لأحضانها . وتأوى إليه جميع الكائنات .

وهو يندد في موطن آخر من شعره بنضوب سحر الحياة، وزوال جمالها فيعلل
قلبه الباكي بل ويدعوه إلى تجربة أكثر جمالاً وسحراً من الحياة يقول:

قد رقصنا مع الحياة طويلاً وشدونا مع الشباب سنينا
وعدونا مع الليالي حفاة في شعاب الحياة حتى دمينا
جف سحر الحياة يا قلبي الباكي فها نجرب الموت هيا^(٢)

ففي مرحلة التفاؤل تجد الألفاظ المعبرة الموحية " رقصنا مع الحيات " فهي
امرأة جميلة تدفع الإنسان أن يتعلق بها ويدور في فلكها / " وشدونا مع الشباب
" فهي مرحلة الغناء الجميل الذي يطرب النفس ويسعد الروح " وعدونا مع
الليالي " فالليل مبعث سعادة النفس العاشق المحب ، فلما أن " جف سحر الحياة
" كانت مرحلة التشاؤم بألفاظها المعبرة عنها " يا قلبي الباكي " ، " نجرب
الموت " يئسا من الحياة والعيش فيها .

(١) المرجع السابق / ص ٨٥ .

(٢) ديوان الشاعر / ص ١٥٣ .

ومن خلال ما سبق وبعد متابعة ظاهرة التشاؤم من القديم إلى الجديد فإنه يمكن استنباط بعض مظاهر التشاؤم التي بدت من خلال أشعار الشعراء من حب للعزلة ، وكره لمخالطة الناس وغساة الظن بهم ، ومعاناة الفقر والعبث وفساد المجتمعات واعتزال النساء، وتفضيل الموت على الحياة خلال عرض سريع لصور شعرية مختلفة لشعراء ينتمون إلى أحقاب تاريخية مختلفة فقد أصاب شعرهم الشؤم أحياناً، واليأس والحزن أحياناً أخرى كما أنهم أبانوا من خلال صورهم عن معاناتهم الشخصية ومعاناة شعوبهم، وأوطانهم، وكان في ذلك خير دليل على وجود التشاؤم لدى شعرائنا في موروثنا الشعري القديم متصلاً بالحديث.



أولاً : حياة شكري وأدبه :

ترجع أصول شاعرنا عبد الرحمن شكري إلى أسرة (مغربية) الأصل ،
قدّمت مصر واستقرت في بني سويف ، واندجّت في الفلاحين ، وعاشت ألامهم
المريّة في حفر قناة السويس ، وفي الكفاح البطولي للشعب المصري ضد الغزاة
الانجليز^(١).

وقد ولد الشاعر (بمدينة بورسعيد في الثاني عشر من أكتوبر عام ١٨٨٦ م ،
وتوفي بالإسكندرية في الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٨ م ، وبين هذين المكانين ،
وهذين الزمانين تدور قصة حياته التي دامت اثنين وسبعين عاماً)^(٢) .

خاض أجداد هذا الشاعر معاناة تعكس صورة واقعية لطفولة الشاعر
وأحداثها الحزينة ، فقد اغتربت الأسرة عن أرض الوطن ، ثم استقرت بمصر -
وشعبها ينزف دماً من آثار الاحتلال ، ثم تفاعلت هذه الأسرة مع أفراد المجتمع
الذي أصبح بمثابة وطن ثان لها تحزن لآلامه ، وتغضب عند اغتصاب حقوقه ،
وتشاركه الدفاع عن مظلّمه . فقد كانت لدى والد الشاعر محمد شكري نزعات
وطنية أصيلة تجاه مصر حيث (شهد ثورة عرابي وأمدّها بالمساعدة ، مما دفع

(١) شاعر الوجدان عبد الرحمن شكري / يسري سلامة / ن / المجلس الأعلى لرعاية الفنون

والآداب / الكتاب الأول / مكتبة حامد القاهرة . ص ٣٧

(٢) مقدمة ديون الشاعر / حياته وآثاره / نقولا يوسف / ط ١ / ن توزيع / المعارف بالإسكندرية ،

١٩٦٠ طبع على نفقة عبد العزيز مخيون . ج ١ / ص ٢

المحتلين إلى إلقاء القبض عليه لاتهامه بصدقة عبد الله النديم خطيب الثورة
العراقية ، وذهب محمد شكري إلى غيابات السجون وحيداً مفصولاً عن
عمله^(١).

وقد عانت أسرة هذا الوطني تجاه ما أصاب قائدها من سجن، وتعذيب
وفصل ، الأحزان والآلام، مثلها مثل كل الأسرة المصرية التي دافع رجالها عن
حقوق وطنهم. في محاولة لاستعادتها وقد أضيفت الى محن تلك الأسرة محن كثيرة
زادت همها وأحزانها فأثناء سجن رب الأسرة وعائلها الوحيد (إذ مات بعض
أبنائه ثم ولد له أبناء غير أشداء العود ، ومنهم عبد الرحمن شكري)^(٢) كما اثبتت
الدراسات ان القلق النفسي والضعف الشديد للمرأة أثناء الحمل يؤثران في
الطفل ، وربما كان لهذه الأحداث أعظم الأثر في طفولة الشاعر، التي تعرضت
لخبرات نابغة من الحرمان والشعور بالتهديد، فكانت طفولته مهددة بعدم الكفاية
والسعادة وعدم الأمان ، وبما أن أحداث الطفولة أكثر رسوخاً في ذاكرة الطفل
بكل معالمها السعيدة والحزينة ، نستطيع أن نحكم تلك الطفولة أورثته (حزناً
دام حتى الكبر ، وقد أشار إلى هذا الحزن في آخر كتابه الاعترافات بأنه حزن لحقه
عن طريق الوراثة)^(٣) ولربما تولد من هذه الطفولة شخصية غير متكيفة قابلة

(١) شاعر الوجدان / يسري سلامة / ص ٣٨ .

(٢) مقدمة الديوان م حياته وآثاره / نقولا يوسف / ج ١ ، ص ١٢ .

(٣) انظر / أعلام الأدب المعاصر في مصر- / حمدي سكوت / د جونز ص ١٤ / ن دار الكتاب

المصري / ط ١ ، ١٤٠٠ هـ.



للوقوع في شرك الانطواء والعدوان ، ونتيجة لفقد والد شكري معظم ابنائه فقد صبَّ اهتمامه على ولده عبد الرحمن فبدأ بتعليمه ، والاهتمام بتثقيفه^(١). وقد نشأ شكري طفلاً ضعيف البنية تخالطه صفات الحياء وهو لا يُرجعُ حياءه إلى هيئته الناس، أو احترامه لهم، بقدر ما يجد في نفسه ذكاء وعلماً يفضل به عن الغير ، لكنه لا يمنعه من الخجل منهم، وكان هذا طبعه حتى الكبر^(٢).

لقد كان الحياء من أسباب عدم أنسه الناس يقول في ذلك: (صرت لا آنس بالناس، وأحس قلقاً شديداً عند رؤيتهم فيه شيء من المقت والاحتقار . فلا أحضر مجالس الناس ولا أتخذ صاحباً جديداً، إلا في القليل ، وصرت أُحب الوحدة فأتجول في الأماكن الخالية)^(٣). وهو رغم حبه للوحدة، لا يجد سلوته في ذلك الانفراد، حيث يقول: (لا تحسب أني أجد لذة في الوحدة بل أحس فيها وحشة وغربة)^(٤).

أيّ تناقض هذا الذي فيه يجب الانفراد، ولا يجد سلوة في الوحدة؟! فشكري ينفر من الناس ولا يجد صاحب إلا في النادر ، وفي الوقت نفسه لا يجد سلوى

(١) انظر عبد الرحمن شكري / أحمد بعد الحميد وغراب / ص ١٩ / ن / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٧٧ م .

(٢) انظر الاعترافات / عبد الرحمن شكري / ج ١ / ص ٥٤ / تحرير د/ أحمد الهواري / ن / المجلس الأعلى للثقافة.

(٣) الاعترافات / عبد الرحمن شكري / ص ٥٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

في الوحدة ويحس " بالغرابة! عن أى تبحث نفس هذا الشاعر ، وبماذا تطيب
وحدثها؟!!

وإن دلت صفته التالية على شيء فإنما تدل على شدة حساسيته وخوفه من
إيلام الناس له حيث يقول: (إن الرجل الذي يخشى إيلام الناس إياه ، مثل
النبات الذي لا يعيش إلا في بيوت الزجاج)^(١) حيث يعلل هذا التشبيه بقوله:
(إن خوف المرء أن يؤلمه مؤلم يُضعف عزيمته ويمنعه من العلم ... ويعوده اليأس
من الناس ، ويورثه العي ، ويغطي على فصاحته ، ويلبسه ثوب الغباوة ، فيخفي
ذكاءه خشية أن يكون في كل قول يقوله أو عمل يعمل ما يبعث بإهانة الناس
إياه)^(٢).

وقد تميزت طفولة شكري بخيال خصب أذكى بتلك القصص والخرفات
الخيالية التي كانت تحكيها له النساء العجائز ، فقد كان شكري يعتقد بالخرافات ،
ويُعبر عن خوفه منها لدرجة أنها أصبحت تملأ عقله ، يقول : " لقد كنت في
صغري كثير الاعتقاد بالخرافات وكنت ألتمس العجائز من الناس ، وأسمع
قصصهن الخرافية حتى صارت هذه القصص تملأ كل ناحية من نواحي عقلي ،
وحتى صارت عالماً كبيراً ملؤه السحر والعفاريت من حولي)^(٣) . وقد كان تأثر شكري

(١) الاعترافات / عبد الرحمن شكري / ص ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

بهذه القصص كبير لدرجة أنه رأى مرة عفريتاً على سقف منزله^(١). إن الخوف الذي تميزت به طفولة شكري ناتج عن ذلك الخوف الذي ملأ عقله من تلك القصص والخرافات القديمة.

كذلك كان للأمني والأطماع دور كبير في طفولة شكري ، حيث كانت مصدراً من مصادر السعادة ، وهي في الوقت نفسه سبب من أسباب الشقاء لديه ، فقد (كان يظهر إلى سطح منزله طالباً ليلة القدر ، ولكنه يختار في مطلبه ، ماذا يختار ، ثم يطلب من الله تأجيل ليلة القدر إلى أن يصل إلى قرار حول بطلوهكذا حتى صارت الأطماع تعظم كلما كبر^٢ حتى جاءت رياح الحوادث التي أطفأت نور هذه الأطماع وأصبح شكري لا يستضيء إلا بنار اليأس^(٢) هذا التضاد بين الرغبات الذي يطبق على مشاعر المرء وأحاسيسه ، ويشدها في اتجاهين متعاكسين يسبب الألم لها ، فشكري يسعى للسعادة والآمال العظيمة لكنه حين يطلب تحقيقها لا يرضى ولا يقنع ، بل يطلب دائماً المزيد ، وعندها تذوب لذة السعادة في وعاء الألم ، لعدم تحقق المراد ، ويشعر الإنسان بذلك الخذلان واليأس من عدم تحقق ما تصبو اليه النفس ، يدفعه ذلك الى الاحباط والصراع ، فتضطرب الحياة وتنهار المقاومة .

يقول د/ يسري سلامة عن اعترافات شكري : (لقد أجاد عبد الرحمن

(١) الاعترافات / عبد الرحمن شكري / ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق / ص ٣٧ - ٣٨ .

شكري في كتابه الاعترافات تصوير أيام طفولته ، ومراتع صباه ، وكتابه هذا الذي صدر عام ١٩١٦م يضارع أرقى كتب الاعترافات مثل اعترافات روسوما وتشاتوبريان ، وهو يحتوي على أفكار ، وتأملات ، وفحص دقيق لحقائق الحياة ^(١) تلك هي صفات شكري التي ميزت شخصيته وأحاطتها بجدار من العزلة عن مجتمعه ، وعدم الانفتاح على الحياة .

وقد حصل شكري على (الابتدائية عام ١٩٠٠م ، وفي هذه المدرسة ذاق الضرب الذي لم يتعرض له في الكتّاب ، ويبدو أن الضرب كان وسيلة شائعة من وسائل التربية في مصر) ^(٢) . فالتربية واستذلال الناشئة نوع من أنواع السلوك الخاطئ الذي يؤدي الى هروب الطمأنينة من قلوب الناشئة ومن قلب شاعرنا، ويؤدي الى تلاشي السعادة من أفقهم النفسي .

ويتهيئ شكري من المرحلة الابتدائية التي يبدو أنها تركت صدى في نفسه حيث أنه يذكر حوادث الضرب تلك في رسائله للدكتور / أحمد غراب بعد أن صار رجلاً ناضجاً . وبعد انتهاء المرحلة الابتدائية انتقل شكري إلى الإسكندرية حيث حصل على شهادة الثانوية عام ١٩٠٤م ثم درس الحقوق لمدة لم تطل حيث لم يلبث أن فصل منها ^(٣) .

(١) شاعر الوجدان / يسري سلامة / ص ٤١ .

(٢) عبد الرحمن شكري / أحمد غراب / رسالة بتاريخ ٨ / ٤ / ١٩٥٧م / ص ٢٠ .

(٣) انظر حياته وآثاره / عبد الرحمن شكري / مقدمة الديوان / ج ١ ، نقولا يوسف . ص ٣

ولقد شبَّ شكري وترعرع وغيره من شباب مصر في تلك المدة العصبية على
أوضاع سياسية واجتماعية مريرة ، حيث الاحتلال الإنكليزي ، وقيام الثورات ،
وأهمها ثورة العرايين ، فقد كانت (سنة ١٨٨٠ م فترة ثورة ناضل فيها الشعب
في معركة دائمة متأرجحة بين النصر والهزيمة)^(١) . وقد كانت نتيجة هذه الثورة
الشعبية (هزيمة للطبقة المتوسطة أفضت إلى تحالف بين الاستعمار والإقطاع .
ولذلك كان ردّ الفعل تنكيلاً لكل من كانت لديه بالثورة صلة نفياً ، أو قتلاً ، أو
سجناً . وقد رأينا ما أصاب أسرة عبد الرحمن شكري ... وقد شاهد بعينه قادة
الثورة يعانون المرارة ويحملون الهم ، ووعى ما وعى من تشرد والده وسجنه .
فكانت صدمة لم تغب عن ذاكرته)^(٢)

وعن أوضاع مصر الاجتماعية فقد كانت في أسوأ حال حيث يصف د/
شوقي ضيف تلك الحقبة (بأنها من اسوأ الحقب في حياة مصر ، حتى أنها لم تترك
للشباب الطامح غير الشعور بالألم العميق بالحياة التي يحياها وطنه ، ويرى فساد
تلك الحياة ، وقسوة تلك القيود والأغلال حول الأيدي والأعناق)^(٣) . فماذا يترك
الغاصب لصاحب الحق غير الحسرة والألم ، حيث يقيد به بقيود ويستغله ، بل
يستنزف دمه إن استطاع حتى يخدم مصالحه الخاصة غير آبه بمصلحة الشعب

(١) المرجع السابق ص ٢ .

(٢) عبد الرحمن شكري ، حياته وآثاره / نقولا يوسف / يدون الشاعر ، ص ٢ .

(٣) انظر دراسات في الشعر العربي المعاصر / شوقي ضيف / ص ١١١ / ط ٨ / ن دار المعارف .

المستعمر أو مطالبه ، وقد عبر شكري عن أوضاع شباب مصر، وصفاتهم في كتابه الاعترافات، وعن مدى بؤسهم ، وترددهم بين شجاعة وجبن ، ويأس وأمل، وبين خوف وإقدام . فرغم كون شكري مثقف وشاعر فهو يجد في نفسه ما يجد في نفس غيره من أبناء الأمة ^(١). ورغم ذلك الإحباط الذي كان يشعر به شباب مصر إلا أن شكري كان من الفئة التي استضاءت طريقها، وعرفت ما يتناسب وميولها ، فاتجه إلى دراسة الأدب حيث التحق بمدرسة المعلمين ، وتخرج فيها سنة ١٩٠٨م، وفي السنة نفسها أرسل إلى جامعة شفيلد انجلترا حيث قضى ثلاث سنوات درس خلالها تاريخ الأدب الإنجليزي ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والفلسفة ، والسياسة ، إلى جانب اللغة الإنجليزية وآدابها . وفي سنة ١٩١٢م حصل على درجة البكالوريوس من تلك الجامعة ^(٢).

وبعد حصول شكري على درجة البكالوريوس ، وعودته من البعثة الخارجية ، عُيِّن مدرساً للتاريخ، واللغة الإنجليزية في ثلاث مدارس ثانوية، ثم انتقل إلى درجة ناظر مدرسة ، وزاول هذه المهمة في ثمان ثانويات ، ثم رُقِيَ إلى مرتبة مفتش بالتعليم الثانوي قسم الأدب، القاهرة ، وظل كذلك لمدة ثلاث سنوات طلب بعدها

(١) انظر الاعترافات / عبد الرحمن شكري ، ص ٣١.

(٢) أعلام الأدب المعاصر في مصر / حمدي السكوت / دجونز / ص ١٢٩ / مشاهير شعراء العصر /

أحمد عبيد / ط ١ ، ١٩٢٣م / ن / المكتبة العربية ، مطبعة الترقى في دمشق .

إحالاته على المعاش)^(١).

ولعل أهم الروافد التي استقى منها شكري ثقافته (رافد الثقافة العربية الذي يُستمد من تراثنا الأدبي، وخصائصه الأصيلة، التي وجدها في كتاب الأغاني، وديوان الحماسة، والشريف الرضي، وديوان مهيار، وربما في رجوعه إلى الوسيلة الأدبية أثر كبير في ثقافته التراثية العربية، فقد قرأ للبارودي والبهاء زهير)^(٢) ومن الشعراء العباسيون الذين قرأ لهم شكري ويبدو أنه تأثر بنزعاتهم النفسية، وأمزجتهم المتشائمة، التي صورتها أشعارهم ودواوينهم هما ابن الرومي وأبو العلاء المعري (ويبدو أن الذي شدّه إليها ما كان ينزع إليه الشاعران من شكوك فكرية، ومن خلق اجتماعي، ومن سيطرة لأوهام الشك وهواجس الظن عند ابن الرومي، وشك في طبيعة الإنسان ... وما كان شاعرنا يجد في نفسه من هذه النزاع والهواجس)^(٣)

وقد استقى شكري ثقافته من بعثته الى انجلترا فهذه الثقافة الإنجليزية، التي تعد من أهم الروافد الثقافية لديه فقد اطلع على الأدب الإنجليزي (منذ المرحلة الثانوية، حيث كانت العلوم كلها تدرس بالإنجليزية نتيجة بسط الاستعمار

(١) انظر عبد الرحمن شكري / أحمد غراب / ص ٣٠ .

(٢) الأدب العربي الحديث / سالم حمدان / فائق أحمد / ص ١٤٨ / ن / وزارة التعليم العالي للجد العلمي، جامعة الموصل.

(٣) نظرات في شعر عبد الرحمن شكري / أنس داود / الهيئة المصرية العامة للتأليف / ١٩٧٠ .

سلطانه) ^(١)، وكان لمدرسة المعلمين دور في إرفاد ثقافة شكري الأدبية فقد التحق بها عام ١٩٠٦ م إلى ١٩٠٩ م حين (كانت مسر-حاً للنشاط العلمي الأدبي. وقد اهتم معلمو المدرسة بدراسة كتاب الذخيرة الذهبية " وهو مجموعة مختارات من أحسن الشعر الإنجليزي) ^(٢)، ولا بد أن الشاعر قد وجد لديه نوعاً من الانجذاب تجاه أشعار هذه المجموعة حيث (دفعه ذلك إلى قراءة وبيرون وشيلي وكيثس وتيسون ، وورد ، ووسورت ، وغيرهم) ^(٣) وما يميز هؤلاء الرومانسية الغنائية .

(وقد كتب عبد الرحمن شكري في صحف تحمل لواء التجديد ، وقد كانت مقالاته تدل على أنه يفهم الشعر في ضوء آراء النقاد الغربيين ، وقد كانت موضوعاته تعدّ جديدة بل بدعاً جديداً حيثئذ) ^(٤).

وخلال سفره في بعثته العلمية إلى شفيلد ، وانتقاله إلى بلد يختلف عن وطنه في عاداته وتقاليده وتاريخه ، ودراسته لمختلف أنواع العلوم هناك لا بد أن يكون لذلك كله أثر كبير في اتساع مدارك الشاعر واستيعابه لثقافات الأمم الغربية القديم منها والجديد ، ورغم انشغال عبد الرحمن شكري بكل تلك المعارف ، إلا

(١) أعلام الأدب العربي المعاصر / ص ١٠ / حمدي مسكون / دجونز .

(٢) أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر / ص ١٠ .

(٣) شاعر الوجدان / يسري سلامة / ص ٤٦ - ٤٧ .

(٤) انظر الأدب العربي المعاصر في مصر- / شوقي ضيف / ط ٦ / ن / دار المعارف بمصر- /

أنه كان يشعر بحنين وشوق جارف للوطن ، حيث نظم قصيدة (شاعر في القرية) يقول فيها^(١):

كنت مثل الغريد جيء به من روضة والزمان غير ذميم
يث وجه النهار جذلان بسّام ووجه الظلام غير بهيم
فالشاعر يشبه نفسه بالطائر الذي كان يعيش في روض فرح مبتهج بما لديه ،
ثم انقلب الزمان، وتحول الحال ، حيث انتقل من روضة الجنان إلى أرض كلها
دخان ، وأمطار تحجب ضياء الشمس ، فهي مثل القبر الذي أُسرف فيه وعانى من
الوحدة ، والظلمة ، تحت سماء تلك البلاد ،م رغم قسوة الطبيعة في تلك البلاد ،
فإن ذلك لم يمنع تقدمها في العلم والثقافة مما دفع شكري الى أن يغترف من
معينها ويستزيد من زادها .

وعبد الرحمن شكري شاعر ، وأديب متأمل ، له آراء ودراسات فلسفية ذات
قيم أدبية وفنية عالية ، لكنه قبل كل شيء شاعر بالدرجة الأولى ، حيث استطاع
أن يوظف شعره ليكون مرآة لوجدانه ، ذاتي المعاني ، واصفاً لمصادقية عواطفه
بكل مشاعرها من خير وشر وحزن ويأس ، ولذة وألم ، ومحللاً لأسرار الطبيعة ،
وعظمتها متلمساً لصلوات وجدانية تربط بينه وبين مخلوقات الكون بطريقة تمتزج
فيها روعة الطبيعة ، وأسرار نفسه البشرية وقد أثمر ذلك كله أن أنتج لنا

(١) ديوان الشاعر ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

عبدالرحمن شكري ثمانية دواوين شعرية نشرت كلها بالأسكندرية عدا الديوان الأول الذي نشر بالقاهرة.

- (١) ديوان "أضواء الفجر"، سنة ١٩٠٩ م.
- (٢) ديوان "لآلى الأفكار" سنة ١٩١٣ م.
- (٣) ديوان "أناشيد الصبار" سنة ١٩١٥ م.
- (٤) ديوان "زهر الربيع" سنة ١٩١٦ م.
- (٥) ديوان "الخطرات" سنة ١٩١٦ م.
- (٦) ديوان "الأفنان" سنة ١٩١٨ م.
- (٧) ديوان "أزهار الخريف" سنة ١٩١٩ م.
- (٨) الديوان الثامن نشر بدون عنوان، ويحتوي على مجموعة قصائد نشرت في الصحف والمجلات بين الفترة ١٩٣٥ - ١٩٣٩ م وقد نشر - مع مجموعة الدواوين السبعة في مجلد واحد^(١).

ومن أهم أعماله الثرية كتاب الاعترافات، الثمرات، حديث إبليس، الصحائف، قصة الحلاق المجنون، مجموعة قصص قصيرة، أيضاً له مقالات ودراسات عميقة وكثيرة في مجال النفس والحياة والتأملات في الكون وأسراره^(٢)

(١) انظر عبدالرحمن شكري، أحمد غراب، ص ٥٨٥٧.

(٢) انظر أعلام الأدب المعاصر في مصر / حمد سكوت / د جونز / ص ١٢١ - ١٤٥.

كتبها عبدالرحمن شكري بفلسفة عقلية تميز شخصه، وفكره بين أقرانه من شعراء ونقاد عصره.

والنظرة الفاحصة لشعر شكري تخصه بمذهب شعري يميّزه عن غيره من الشعراء المجددين، وهو ذلك المذهب الذي وصفه به د/ محمد مندور فقال عنه: (إن عبد الرحمن شكري قد صدر في دواوينه السبعة، وفي خواطره الثرية المتعددة... وفي مقالاته.. عن مذهب جمالي موحد هو مذهب التأمل أو مذهب الاستبطان الذاتي، وهو مذهب يجمع بين التأمل الفكري والإحساس العاطفي الحار... وعاطفته الحارة القلقة الجانحة في الأغلب الأعم إلى التشاؤم والتمرد العنيف)^(١). وأظن هذا هذا الرأي من أعمق الآراء حول شعر شكري وأدبه، إذ يلمس جوهر شخصيته، وهيكله أدبه، فالاستبطان بمفهومه العلمي يعني (ملاحظة الشخص ما يجري في شعوره من خبرات حسية، أو عقلية، أو انتقالية ملاحظة منظمة صريحة تستهدف وصف الحالات، وتحليلها، أو تأويلها سواء كانت هذه الحالات حاضرة كحالة الحزن والغضب... أو ماضية كأحلام النوم

(١) النقد والنقاد المعاصرون / محمد مندور / ص ٤٧ / ن / دار النهضة مصر- للطباعة والنشر-

وأحلام اليقظة^(١)، وتراه في قصيدته التالية ينظر بواقعية تحليلية إلى الموت فهو كأس سيشرب منه الجميع. وهو حقيقة ربما غفل عنها كثير من الناس الذين تهافتوا على الدنيا وملذاتها يقول في قصيدة "وعظ الموت"^(٢) :

نؤول إلى ورد الردى وتصير	نذكر شجي القلب أنا جميعاً
هل الدهر إلا أشهر وعصور	هل العيش إلا ساعة ثم تنقضي-
كأن ييوت العالمين قبور	نرى حولنا الهلاك في كل منزل
سنمضي- على آثارهم فنحور	ونعلم علماً ليس بالظن أننا
ليب بأحداث الزمان خير	ما عرف الأيام إلا مجرّب
منافع تغني في الخطوب وخير	ونبكي لموتانا لأن حياتهم
عيد بما جرّ الحمّام	أنشقى يفقد الميت والميت ناعم

و يشير د/ شوقي ضيف إلى تأثر شكري بالشعراء الرومانسيين ، وانطباع شعره بالحزن والتشاؤم حيث يقول : (إن أكثر النغم في الديوان نغم الحب وهو حب محروم يائس وشجي ووراء هذا الحب تصور واسع لنفسه البشرية ، وأحاسيسها إزاء الكون وهي أنغام استمدها مما قرأه في الشعر الإنجليزي ، وقد طبعت عنده كما طبعت عند أصحاب المنزع الرومانسي بالحزن والتشاؤم في تتبع

(١) أصول علم النفس / أحمد عزت راجح / راجع ص ٤٢ .

(٢) الديوان ، ج ٤ ، ص ٣٠٤ .

(٣) الديوان ، ج ٤ ، ص ٣٠٤ .

أنّات الشاعر ، ويأسه القاتل)^(١) ولعل جدة الصورة عند شكري وغرابتها ، والتحافها بثوب مختلف التصاوير عما دعى إليه شعراء الإحياء ، يتأتى من كونه واسع الخيال قوي التشخيص كما وصفه العقاد بذلك ، قال : (هو أقرب إلى الأفرنج في بيانه ، وأشبه بالأريين في مزاجه ، وإن كان عربياً مصرياً^(٢)). وقد ورد عن أحد الباحثين أن الغرابة والجدة في شعر شكري (جعلت الجمهور يرفض معظم ما قدّمه الشاعر ، ويصدم ذوقه)^(٣) . ويعلل د. شوقي ضيف عدم إقبال الجمهور على شعر شكري ، وبالتالي عدم فوزه بالهتافات ، التي كان من قبله يحصل^٤ عليها شوقي وحافظ إلى سببين رئيسيين (أولهما أن الجمهور لم يكن قد بلغ من النضج العقلي ما يمكنه من تذوق هذا اللون الجديد من الشعر . وثانيهما يرجع إلى شكري لأنه لم يستطع أن يوزان بين جديده ، وبين الصياغة القديمة كما وازن شعراء النهضة)^(٤) .

وعن إنتاج شكري الأدبي في الفترة ١٩١٢ - ١٩٢٠م كانت فترة حافلة ويقول عن هذا النتاج د/ أحمد غراب أن ظاهرة واضحة في إنتاج شكري خلال تلك الفترة وهي ظاهرة السخط والقلق بل أحياناً التشاؤم واليأس . ثم يعلل

(١) الأدب العربي المعاصر / شوقي ضيف / ص ١٣١ / ١٣٢ .

(٢) انظر مقدمة ديوان شكري ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٣) الرؤية الجديدة للنقد في الشعر عبد الرحمن شكري / ص ١٣ / دخيل الله أبو طويلة / رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية - جامعة أم القرى .

(٤) الأدب العربي المعاصر / شوقي ضيف / ص ١٣٥ / ١٣٦ .

أسباب ذلك القلق^(١) ثم تأتي فترة ١٩١٢ - ١٩٢٥ م فترة كان شكري يعمل خلالها في مهنة التعليم ، وقد كانت فترة ركود في نشاطه الأدبي الفكري ، ويعلل ذلك شكري بأسباب انشغاله بالمدارس عن طبع الدواوين والكتب ، وفي سنة ١٩٣٨ طلب شكري إحالته على المعاش ، وأجيب إلى طلبه بعد أن أمضى - ستة وعشرين عاماً في مهنة التعليم ، وقد عاد شكري إلى نشاطه الأدبي ونشر مقالات أدبية فلسفية في الفترة ١٩٤٧ م - ١٩٥١ م^(٢) ثم انتهى الأمر إلى اليأس المطلق ، وحرقت جميع ما لديه من نسخ ومؤلفات ودواوين وأصيب بضغط الدم ثم بالشلل في شقه الأيمن سنة ١٩٥٢ م ، وفي يوم الاثنين ١٥ ديسمبر ١٩٥٨ انتقل شكري إلى رحمة الله واستراح نهائياً من ظلم الحياة ولؤمها^(٣).

ومما سبق نستطيع أن نستخلص من حياة الشاعر ما أدى إلى تلك النزعة التشاؤمية لديه ، فلشخصية شاعرنا تميز فريد و فحساسيته المفرطة جعلته ما تهب الذهن ، قوى البيان ، ذكي التفكير ، وعميقه ، وذلك العمق كشف له عن معاني الحياة ، وأسرارها ، ومن ثم إبان عنها بأسلوب مميز خاص به وقد مال شكري في تذوقه للصورة في قصائد عدة إلى السوداوية والظلمة ، فما الذي دعاه إلى ذلك التذوق المرير ، وما هي تداعيات ذلك الأمر على الشاعر ؟

(١) عبد الرحمن شكري / أحمد غراب / ص ٣١.

(٢) المرجع السابق / ص ٣٨.

(٣) المرجع السابق / ص ٣٤ - ٤١ .

ثانياً : دواعي التشاؤم وتداعياته عند عبد الرحمن شكري :

لشخصية شاعرنا تميز فريد، فحساسيته المفرطة جعلته ملتهب الذهن، قوي البيان، ذكي التفكير وعميقه، وذلك العمق كشف له عن معاني الحياة وأسرارها، ومن ثم أبان عنها بأسلوب مميز خاص به وقد مال شكري في تذوقه للصورة في قصائد عدة إلى السوداوية والظلمة، فما الذي دعاه إلى ذلك التذوق المرير، وما هي تداعيات ذلك الأمر على الشاعر؟

أ/ إحساس يقوده التفكير :

إحساس شكري المرهف الذي يقوده التفكير المتأمل ، وخياله الخصب الذي نما باتساع مداركه المتأثرة بالثقافات، جعل منه شخصية متفردة في اتجاهاتها الشعرية، وآرائها الفلسفية، ولدى شاعرنا عبدالرحمن شكري (شره للتفكير مثله مثل شره الإنسان إلى الطعام، فهو يتمنى أن يجتني كل معنى، وأن يتخيل كل خيال، وأن يفكر كل فكر، وأن يعرف كل شيء)^(١).

وقد تكون سيطرة العقل والفكر السلبي على الجسد هو سبب الاعتلال والشعور فعندما يفكر عقل شكري المتأمل ويسعى بخياله الخصب ، يصطدم بالواقع المرير؛ فينتج عن ذلك خيبات وأجزاء ومشاعر تتراوح بين السعادة والألم وقلبا تتكسر أمواجه بين عظمة وإذلال، من معطيات الحياة، إحساس شكري

(١) انظر الاعترافات ، ص ٧٩١ ، عبد الرحمن شكري .



المتأجج يصل به قمة السعادة بلذات الحياة، وفي نفس الوقت يصل يصل به قمة الشقاء . يقول في ذلك إلا لذات الحس " قد تبلغ بالمرء جنون اللذة ، ولكنها تبلغ به أيضاً جنون الألم ، ومن كان كذلك لم ترج له سعادة . فإن السعادة أن لا يكون إحساسك شديداً)^(١) .

. وهكذا الحال لدى شكري الذي قال: (نعم لقد شربت كأس الشقاء حتى لم أدع فيه بقية ، ولكي جرعت أيضاً كأس اللذات حتى لم يبق فيها سؤر)^(٢) ولننظر إليه وهو يصف حال التذاذه بالألم والسرور فقال في قصيدة : الحزن والسرور :

إنما الحزن والسرور غداء لفؤاد الإنسان طول الحياة
فإذا أطاح بالسرور قضاء فارض بالحزن قبل أن لا يواقي
ولشكري آمال وأحلام عظيمة ، لكنه يتأوه حزناً من أجلها ، فكيف له أن يعيشها دون قيد أو شرط ، نجده يتحسر بقوله : (آه لو أمكن أن أعيش الأبد في دقيقة واحدة ، وأحس كل إحساس ، وأفكر كل تفكير ، ... وأجتني كل المعاني ، وألتذ كل اللذات ، وأتألم كل الآلام ... وأجني ثمار الحياة في دقيقة أجل " من الأبد لا أحسب نفسي ترضى غير هذه اللذات التي تجمع بين لذات الأبد)^(٣)

(١) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) الاعترافات ، ص ٤٤ .

(٣) الاعترافات ، ص ٧٦ ، عبد الرحمن شكري .

هل يمكن للمرء أن يجمع شتات كل تلك الأمور دون قيد أو شرط ؟ شكري
يحيى^١ بها ويتألم من وجودها وهي كثيرة دقيقة تكبله . يقول : (إن نفسي - لتحس
قيود الضرورة وتتألم منها كما يتألم الأسد المكبل)^(١)

فإحساسه القوي بهذه القيود يوصله إلى حالة الحزن واليأس لعدم تحقق
الآمال ، بل إلى حالة من الخوف والفرح . حيث يقول :

يا ويح نفسي - كلما لاح بارق	تطائر آمالي ويحتاج مطمعي
ويا ويح نفسي كلما جاء كارث	ظللت وقلبي كالبناء المقطع
في كل يوم حادث يستذلني	وفي كل يوم لي طماح مودعي ؟
وفي كل يوم خيبة إثر خيبة	ولوعة قلب ذي كلوم مفزع ؟
عالج في الأحشاء يأساً ومطمعاً	ويا بؤس أضاد وبؤس المجمع
فمن لي بعيش لا أبالي صروفه	أقول لدهري طر بصرفك أوقع ^(٢)

وبالإضافة إلى شدة الحساسية ذلك الحياء الذي لازم شكري حتى الكبر ،
وبسببه كان شكري يحب العزلة التي لم يجد فيها ضالته ، وأصبح يبكي إحساسه
بالغربة بين الناس ، وإن كانوا أهل له يقول :

بكائي أنني أغدو غريباً وحوالي معشري وبنو ودادي^(٣)
وقد واكبه هذا الإحساس بالغربة حتى المشيب إذ نهاه بقوله :

(١) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٢) قصيدة الخوف والفرح ن الديوان ، ج ٣ ، ص ٢٢١.

(٣) قصيدة كلمات عواطف ، ج ١ ، ص ٨٩.

أظّل غريباً بين أهلي ومعشري وكم أشيب في قومه كغريب
أصبح كلاً في العبرة مقعداً ترزقي أو يملّ قريبي
أصبح منسياً وإن كنت شاهداً كأني خفي الجسم ، وقريب
فزرنني في ليل الشباب كسارق ولا تتظري يا موت ذل مشيبي^(١)

ونراه يدعو الموت لزيارته وهو في ريعان الشباب لأنه لا يتحمل آلام ضعف المشيب ويذكر د/ أحمد غراب أن فردية شكري كانت سبب من أسباب تشاؤمه . حيث إيمانه الواضح بالفرد متفرد بمواهبه وأخلاقه ، وفي احتقاره للجماهير الجاهلة وشعوره بالغربة بينهم التي صاحبها سوء الظن بالغير^(٢) . وهو يرجع سوء ظن الشاعر إلى خيبة أمله في الصداقة ، والأصدقاء ، حيث يدلّل الشاعر بنفسه على ذلك يقول :

أعز صديق في الجفاء يكيديني وأصدق صحتي في الوداد يمين
وكل فؤاد في المحبة كاذب ولكل قلبي في هوائك أمين
ومن يصحب الأيام من بعد خبرة لـ لديه تافه وثمرين^(٣)

فلا وجود للمشاعر الصادقة ، وخبرته بالأيام تجعله يبخل الغالي والرخيص ، لأنه لا صدق في القلوب . لدرجة أنه يندب الأحياء لأنهم خذلوه وأودوا به فلا خير فيهم ، ويفضّل الأموات عليهم لإخلاصهم له ، يقول :

(١) قصيدة ذل المشيب ، ج ٥ ، ص ٤١٨ .

(٢) انظر أحمد غراب ، / عبد الرحمن شكري ، ص ١٦٦ .

(٣) قصيدة / الحياة والجمال / ج ٣ ، ص ٢١٢ .

لأي أمر خذتموني يا أهل ودي وأخوتي
كأنكم ما صحتموني إلا لنحسي — وشكوتي
أما كفى وقع نائبات يقرعن عودي ومروتي
كلكم كاذب حقود يشعل بأسي وحسرتي
أواه من وقع المنايا يقعن في خير نخبتي
كأنني بينكم غريب أنذب حظي وغربتني^(١)

ب/ الخيال الخصب:

خيال شكري الواسع أحد دواعي تشاؤمه فقد سبب له الألم والخوف حيث أن الخيال بالنسبة له (جنة الأحلام ، وجحيمها فهو أحياناً يرى أزاهير الأحلام ، وأشواكها . وقد يرى أحلاماً لا يقدر على وصفها من فرط جمالها ، ولكنه في بعض الأحيان يرى أحلاماً سوداء ، فيخشى كل مصائب الحياة التي يمكن أن يصورها الخيال بل وزيادة على ذلك فهو يحسّها ، ويتألمها كأنها وقعت به يقول : (فأخشى الكهرباء في السحاب ، وأخشى أخطار السلك الحديدية في الأسفار ، وأخشى الحريق كل ليلة أو نهار ، وأخشى وقوع المنازل ، وأخشى الكلاب والحشرات ، وأخشى البرق والصوص)^(٢) . ويصف خيال شكري د/ يسري سلامة بأنه محموم يهرب به شكري من الواقع الأليم . ذلك الخيال الذي يتوق إلى العيش فيه ، وسبب هروب الشاعر تلك الثورة الوجدانية التي اضطرت في

(١) قصيدة / صداقة الأموات والأحياء / ج ٣ ن ص ٢٣٣ .

(٢) انظر الاعترافات ، ص ٦٥ - ٦٦ / عبد الرحمن شكري .

نفس الشاعر ، وروحه منذ صباه ، وهي لم تكن إلا انعكاساً لروح القلق التي
تصحب فترات التغير في الحياة الاجتماعية^(١).

وإجلال الحياة أمر يُتَوَجَّح بالإيمان الذي يصل بنا إلى الغاية المنشودة ، الحياة
الخالدة، فجلال الحياة عظيم المكانة في نفس شكري يكاد يستحوذ على كل ذرات
روحه وجسده ، يقول مؤكداً : (خليق بالمرء أن يجتهد في أن يملأ روحه إحساساً
بعظم الحياة ، وأن يملأ عمره من ذلك الإحساس ، وأن منظر الغافل عن عظم
الحياة ، منظر يبعث البكاء ، واليأس من صلاح الناس)^(٢).

فتقدير شكري لعظم الحياة ليس الباعث على شقوته ، إنما إحساسه العميق
بغفلة من حوله . الذين يعيشون صغائر الأمور دون الاهتمام بالهدف الأسمى في
الحياة ، وفي رأيه إن غلبت سكينه النفس إحساس المرء بالشقاء وطال ذلك أدعى
إلى الغفلة ونوم الضمير، وإذا غلب إحساس الشقاء سكينه نفسه خيف عليه
اليأس ، والنظرة السوداء^(٣) وهو يرى أن الحياة والموت جهاد ، وشهادة
والطريقة لتلك العبادة بالجهاد والتفكير . يقول :

أعبد الله بالجهاد والتفـ	كير والعقل عابد ومعبود
خلق المرء كي يناهض أمراً	فهو في الموت والحياة شهيد

(١) شاعر الوجدان ، يسري سلامة ، ص ٤٣ .

(٢) الصحائف / عبد الرحمن شكري / المؤلفات الشعرية الكاملة / ج ١ / تحرير أحمد إبراهيم

الحواري ، ص ٢٢٨ / ن المجلس الأعلى للثقافة .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٦ .

كتب الصبر في الحياة علينا فالبس الصبر فالعظيم جليد^(١)

وشفافية شكري تظهر في طريقة تذوقه لكل لون ، ورائحة ، فيجد لها معنى
من معاني العواطف والألحان (التي قد تذكره بالحبيب الذي مضى والعهد الذي
انقضى ، والأمانى والأحلام حتى يسمع تغريد العصافير في صدره ، ويجد لذة في
النظر إلى الأشياء ، وكأن الله كساها وجود اجباه بنور من نوره ، وقد يحدث الضد
إذ تغلب الألوان في أيام الشقاء والتعاسة فتصير جمرات مختلفة الألوان فتحس
لهيها في العين والقلب^(٢) .

وهذه الشفافية كانت أحد دواعي حزنه الذي طوق شعره ، وكان سمة من
سماته ، أوجدت له مزية كشف القبح والحسن ، يقول في ذلك :

وإن صروف الدهر تأسو جراحها	ونظمي فيروى بالأوام أوام
لا تحسبن الحزن تبقى جروحه	فليس لحزن ما بقيت دوام
كأن وجيع الحزن حلم إذا مضى-	وذكرى دموع البائسين غمام
وإن شقيت بالعيش نفس كليلة	للرمد من لون المنون جمام
ولولا الأذى ما ذقت في العيش	لذة فكل نقيض بالنقيض يسام
ولا شر إلا فيه للخير مألّف	كما تألف الماء الطهور مدام ^(٣)

فهو يتجرع آلام الحياة ، وأحزانها ، ويشعر بوجيعها ، الذي إن مضى- فهو

(١) قصيدة / الحياة والعيادة / ج ٢ ، ص ١٠٩ .

(٢) انظر الاعترافات ، ص ٣٦ .

(٣) ديوان الشاكر ، ج ٥ ، ص ٣٩١ .

كالحلم والذكرى وبهذا يجد لذة العيش وحلاوته ؛ لأنه إن وجد الشر فلا بد من مكان للخير ، يخالطه كما يخالط الماء الخمرة ، هذه الشفافية في المشاعر والرقعة في الإحساس ملكة خاصة بشكري تجعله على رأس قمتين متضادتين ، هما التعاسة والسعادة وإذا أردنا الاستعانة بعلم النفس حتى يحلل لنا ذلك المفهوم الإحساس باللذة وفي نفس الوقت الإحساس بالألم (نراه يقارن بين اللذة والألم من حيث صداها في الشعور ، حيث يمكن القول بأن اللذة حالة وجدانية أقل تعييناً ، واضعف شدة من الألم ، وهي حالة معتدلة متوسطة بين الإحساس بالارتياح الفائض أو عدمه ، وبين الإحساس بالألم ، وهذا يفسر لنا إلى حد ما صعوبة دراسة اللذة ، وشروطها من الوجهة التشريحية ، فإن اللذة لا تستأثر بمشاعرنا بقدر ما يستأثر الألم)^(١).

أضف إلى ذلك الشره العقلي الذي يمتلكه شكري ، فيذكر علماء النفس أن لذة الحواس الباطنة أشد وأقوى من لذة الحواس الظاهرة كما أن اللذة العقلية أشد وأقوى من اللذة الحسية ، واللذات الباطنة مستعلية على اللذات الحسية)^(٢) ولعل ذلك التحليل يساعد في تفهم مسألة ميول شكري كشاعر مرهف الإحساس نحو الحزن واليأس ، رغم تذوقه طعم السعادة وملذاتها .

(١) انظر مبادئ علم النفس العام / يوسف مراد / ط ٦ / ص ٨١ / ن دار المعارف بمصر .

(٢) انظر في سبيل الموسعة نفسية (السلوك) ، ص ٩٣ . سيجموند فرويد ، جاتيه ، تبريك الفرداولز /

أرثر جيتس / كرتشمير / شيركو وستبرنج ، وكلر . عرض د/ مصطفى غالب / ط ٣ / ١٩٨٢ م /

ن دار الهلال .

جـ/ أوضاع الأمة :

إن الأمن والأمان مهمان استقرار الفرد النفسي والوجداني ، ولقد مرّت مصر كما مرّ غيرها من بلاد العرب بضغوط الاحتلال الأجنبي الذي كان له أثر كبير في جميع نواحي الحياة ، فقد كانت مصر قبل ١٨٨٢م دولة حرة مستقلة ، وصارت بعد الاحتلال دولة مغلوبة على أمرها ... إذ فقد الناس الطمأنينة على حياتهم وملئت السجون بالأبرياء بحجة أنهم من أنصار الثورة العراقية^(١) ، وقد كان والد والد شكري أحد أولئك الأبرياء الذين سجنوا وطوردوا حتى بعد العفو عنهم (فساد الإرهاب الذي أضعف النفوس ، وأفسدها ، ورزحت الأمة تحت نظام حكم استبدادي خاضع للسيطرة الأجنبية)^(٢) . وقد خطط الإنجليز إلى تحويل تحويل مصر إلى تبعية اقتصادية مطلقة لبلادهم ، والقضاء على الحياة الصناعية فيها ، وينسحب على هذا قلة فرص العمل وانتشار الفقر ، وتدهور الحالة الاجتماعية في الأمة تدهوراً بالغاً ، فطبقات الشعب انقسمت إلى طبقات الأغنياء الذين والوا المحتلين ، وأما الطبقة المتوسطة فقد انصرفت إلى الحياة النفعية ، والطبقة الفقيرة وهم أغلبية الشعب ساءت حالتها ... وانتشر الجهل والأمية فيهم طوال أربعين سنة ونيف . ولقد ساءت أخلاق القوم بسوء حالتهم المادية

(١) مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال / ص ١٨٥ / عبد الرحمن الرافعي / ط ٤ / ١٩٨٣ هـ /

هـ / ن دار المعارف .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

والمعنوية ، وفقدوا أخلاق الصدق والوفاء والبر والإحسان^(١).

وقد تألم شكري لهذه المأساة حين معاصرتة لها إذ عبر " عنها في قصيدة "مرآة الضمائر" فقال :

وكم من ضمير لا ينهه الزجر	ضمائر هذا الخلق مثل طباعه
فتلقاه عند الخير والشر - لا ييدي	وكم من ضمير فاسد تستشير
إذا ما أتى ذنباً أحال على العذر	وكل ضمير بالمعاذير مولع
إذا خال فيه ما يلذ من الخير	وقد يحسب الشر الوجيع فضيلة
وكان بخير قال حظك في الصبر	وكل صديق إن رأى بك حسرة
ن ذاقه فالصبر شر من المر ^(٢)	هل الصبر حلو للذي لا يذوقه

والقصائد التي تعبر عن أوضاع الخلق المتدني في عصره وطباعهم الرذيلة كثر
أمثال سراب الود، ح ٢، ص ٢٥٠ / سم الجنة وسعار الغرور، ح ٧، ص ٥٦١ /
وصف الضياع، ح ٨، ص ٥٩٢ / بحر الحسد، ح ٨، ص ٦١٦ / صمت الشك،
ح ٨، ص ٦١٩ / نذالة التعاسة، ح ٨، ص ٦٢٥ / أقوام بادوا، ح ٨، ص ٦٤٥ /
سنة العيش، ح ٤، ص ٣٥٣ / القلق والغفلة، ح ٢، ص ١١٠ .

ولم يكن شكري من أبناء الطبقة الفقيرة ، لكنه تعرض لحموة الاحتلال ،
وجبروته ، فبعد أن التحق بالحقوق ، أثمرت ملكته الشعرية ، عن قصيدة (ثبات

(١) بتصرف. المرجع السابق، ص ١٨٨ - ١٩٥ .

(٢) ديوان الشاعر ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ .

ألقاها في اجتماع من اجتماعات الطلبة الساخطين الثائرين معبراً عن تصميم الشعب وثباته.

ثباتاً فإن العار أصعب محملاً من الذل لا يفضي بنا الذل للعار
فكان صدى تلك القصيدة أن فُصل من مدرسة الحقوق بحجة اشتراكه في الإضرابات التي نظمها الحزب الوطني^(١).

وقد توالى الأزمات على أبناء الأمة ، فهذه الحرب العالمية الأولى التي عصفت بالأمة جمعاء، وتركت آثارها على الرجال ، والشباب والنساء ، وقد ربط شكري بين حالة الأمة الاجتماعية أو حالة الفرد ، ومدى تذبذب الحالة لدى الفرد في اعترافاته (إن الشاب المصري في حالة أمتنا الاجتماعية الحاضرة عظيم الأمل ، ولكنه عظيم اليأس ، ولكل منهما في نفسه عميق مثل الأبد، والسبب في ذلك أن حالتنا الاجتماعية تستدعي شدة الأمل وشدة اليأس ، ومازلت أجد بين حالة الأمة الاجتماعية ، وبين نفوس أفرادها رابطة مثبتة)^(٢) فقد آلت أحوال الشباب إلى توتر، وتذبذب شديد ، واختلال تقيّم أمور الحياة واستيضاحها ، ولقد أصاب شكري ما أصاب أبناء بلده، وكان لابدّ له من ردة فعل تجاه تلك الاضطرابات ، وقد تميز شكري عن صاحبيه العقاد والمازني بوصف قاله العقاد عنه خلال فترة الحرب وهو يرثي المازني :

(١) أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر / ص ١١ / حمدي سكوت / د جونز .

(٢) الاعترافات ، ص ٣١ .



(إن هذه الفترة من الحرب العالمية الأولى كانت حياة المازني نقطة تحول ،
ومحنة عقل وسيرة ، وأخال أنها شملتنا جميعاً بهذه المحنة الأليمة . فنفضها شكري
عنه بقصائده العابسة في ديوانه الثالث والرابع ، ونفضتها عني بقصيدة
ترجمة شيطان ، وراضها المازني كما راضته ... وعالجها ... بالاستخفاف وقلة
الاكتراث)^(١).

إذن كان لتلك الأحداث الدامية آثار واضحة في شعر شكري جعلته يتميز
بسوداويته الحزينة، وخصوصاً في دواوينه التي أصدرت قبل الحرب وبعدها ،
مصوراً بقصائده الروح المصرية وما أثقل كاهلها من هموم وآلام ، وما أصابها من
تغير في مصداقيتها في التعاملات ، نظراً لوقوعها تحت قبضة الاحتلال
الغاصب ، ودرء لحياتها ، ومعاشها . قال في ذلك :

غاب رشد الناس عن أنفسهم	ضاع منهم تحت امتلاء الرحم
يقتل المرء على الجرم ولا	يُسأل الجبار عما جترم
وإذا ما اقتدر المرء شطا	وإذا ما ضعف المرء حلم
لا ترجى منهم رحمة	رحمة الخبء بكى حتى أحتكم
نحن نبكي رحمة من خشية	ن نعاني الضيم من خطب يُلم ^(٢)

(١) أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر ، ص ٣٠.

(٢) ديوان الشاعر ، قصيدة طبع الإنسان / ج ٣ / ص ٢٢٩ - ٢٣١.

د/ الرومانسية وتأثر شكري بها :

إن قراءة شكري لمختارات الكنز الذهبي من الشعر الرومانسي المترجم كانت بدايات إعجابه بهذا المذهب ، الذي راق لمزاجيته ، ولشخصيته المتفردة ، كما وجد فيه خلاص من قيود النفس الإنسانية المسجونة تحت ظل الاحتلال الانجليزي لمصر في عصره ، وقد تأثر شكري قلباً وقالباً إذ أن الرومانسية في أشعارها الثائرة التي (تناهض الإقطاعية الرجعية جعلت ثقافة شكري فردية مناهضة للعبودية ، وراغبة في الانطلاق من آثار التقاليد الموضوعة في الشعر ، فمقياس الرومانسية تأليه الحرية الفردية ، والإيمان بالذات وهو ما تحقق في الأدب الإنجليزي ، إبان عصر الثورة وكان من رواده واردثورث ، سبنسر- ، وبيرون وشيلي وكيثس)^(١) وقد كان ذاك مقياس شكري الشعري إذ كان شعره شعره ينبض بحب الحرية والفضيلة ، وجمال الروح والنفس والطبيعة ، وكانت نداءاته تأتم بالقيم ، والمبادئ التي فقدت في عصره ، فكان حب الحرية شعاره المتمرد للشعب ، للشباب حتى يقف في وجه الاحتلال وطغيانه ، وأزمات الزمان ونكباته حيث كانت الحرية في عصره مقيدة بقيود دامية ، ظمأى إلى إذلال البشر فهو يناجيها ويصف حال من يطلبها من البشر يقول :

حسبك صافية الجبين خريدة	تسبي القلوب بأكل وسنان
بيضاء ناعمة كأن قوامها	في لينه غصن من الأغصان
هلا رأوك وأنت بين معاشر	وضعوا السيوف مواضع التيجان

(١) انظر شاعر الوجدان / يسري سلامة / ص ٤٧.

ظمأى إلى الدم قد أبحت حرامه كالذئب يعوي عادي الأسنان^(١)

ولقد كانت للثقافة الأوروبية والثقافة الإنجليزية بوجه خاص انعكاسات مختلفة على شعر شكري^(٢) ومن رواد تلك الثقافات الذين تأثر بهم شكري. (شيلي الذي ينزع إلى طلب الحرية والمثل العليا ، وبيرون ذو الرومانسية الحزينة ، واتجاه فكره المظلم من الحياة البشرية ، وجانب الشر- والشقاء فيها ، والذي يقول عنه د/ أحمد غراب إنها صفات تلائم نفسية شكري ومزاجه)^(٣) . وقد تأثر شكري بشاتو بريان من زعماء الشعر الرومانتيكي الذي الذي عبر عن أزمة أمته فترة ما قبل الثورة الفرنسية تلك الأزمة الفرنسية تلك الأزمة التي دفعته إلى الثورة والصراخ في وجه الظلم والنفاق ، داعياً إلى عدم جدوى الحياة في ظل الاعتداء على حقوق الأفراد مطالباً بالثورة ، وعدم تقبل الحياة المهانة)^(٤) فنرى شكري يهتف بالأمل من يأسه من عدم وجوده ، فهو يتمنى الأمل الذي يمحو الشقاء ويغير وجه الحياة التعسة المتجهمة ، يقول:

هل ينقضي — ذاك الأمل المخضب بالدم؟

(١) ديوان الشاعر / قصيدة : الحرية / ج ٢ / ص ١٦٦ .

(٢) راجع عبد الرحمن شكري / أحمد غراب / ص ٢٢٢ وما بعدها / انظر الشعر والثقافة فصل من من نشأتي الأدبية ، ص ٤٨٤ ، عبد الرحمن شكري / المؤلفات - الشريعة له تحرير / أحمد الهواري / ج ٢ / ن المجلس الأعلى للثقافة .

(٣) راجع عبد الرحمن شكري / أحمد غراب / ص ٢٣٣ .

(٤) انظر شاعر الوجدان / يسري سلامة / ص ١٠٠ .

يدحو شقاء الأبرياء وينثنى لم يكلّم
أمل يرى ظلم الحيا ة بوجهها المتجهم
فبعيدة طلقاً كوجهه الأغيد المتبسم
أمل يطل على السنين بحسرة وتنهد
ويرى الحياة فريضة من أجل ومقدم^(١)

وتراه في قصيدة أخرى يرفض سياسة الحكام ، ويثور عليهم ، ويربط صلاح المجتمع بصلاح سياسته . قال في ذلك :

لا يصلح الناس في خلق وفي عمل إلا إذا صلح السواس والأمم
مرأى ومسمع والسواس تغفله به أصل الأسى والقسو والجرم
يعدي الأنام فرادى في معيشتهم الحرص والكذب والتقتيل والنهم
فكيف يرجون سلماً بين قومهم وللغريب البعيد الويل والنقم
وقد بدا أثر للحرب بينهم من بعد حرب ترى الآثام يحترم^(٢)

وهو مازال يناهض دعاة السياسة الذين يستغلون ضعفاء الناس فيؤثرون فيهم بطرقهم السياسية الخفية حين يقول في قصيدة " جنون الأقوياء " :

ملكوا الأرض واستباحوا حماها واستطالوا بجنة الأقوياء
وسعوا ينشرون في الأرض سراً منكراً في شريعة الأتقياء
إن رأوا نقص أنفس في خصوم استزادوه بالأذى والدهاء

(١) ديوان الشاعر / ج ٢ / ص ١٥٠ .

(٢) لحق ديوان عبد الرحمن شكري / د محمد السعدي زهور / ص ٣٩ / ١٩٧٠ / ن مطبعة زهران

زهران سيد إسماعيل . القاهرة .

أفسدوا أمرهم وفسدوا دعة كي يهجو تشاحن الأشقياء^(١)
ولم يكن حبه للحرية ، وثورته على الظلم والمهانة ، ونداؤه لحقوق
الفرد مبدؤه الأوحده ، بل كان تأثره بالمذهب الرومانتيكي واضح في حبه
لجمال الطبيعة وتغزله بذلك فقد تأثر شكري بالرومانتيكيين (عندما يصفون
الطبيعة فيخلطون بينها ، وبين صفاتهم الذاتية فتكون أنفسهم مرآة لما حولها ومن
حولها)^(٢) إذ يقارن في قصيدة ط بحر الحسد " بين عمق الحسد والغل عند
الناس ، وعمق البحر وعنت أمواجه فقال :

يسبح الأحياء في بحر الحسد	فاعتصم بالصبر فيه والجلد
واقصد صهوته مستبشراً	سابعاً في الموج فيه والزبد
ضاحكاً من عنت الأمواج لا	بُدفع القائل منها بالكمد
انظر الأمواج في الشط تجد	لجها منهزم الأمر بدد
إن علت موجة فقد فاصطبر	أي موج في ذرى اليم خلّد؟
وإذا لألت الشمس على اليم	أخفت قبح مادون الزبد
كمقال الحب يخفى كيده	إن سطا في العيش لوم وحقد
ب " در فيه لا تأمله	ن من غاص على الدر وجد
أنجد السابح أن حار وكن	لذي أشفى على الهلك عضد ^(٣)

(١) ديوان الشاعر / ج ٨ / ص ٦٥٣.

(٢) انظر الأدب المقارن / محمد غنيمي هلال / ص ٣٠٤ / ن / نهضة مصر- للطباعة والنشر- /

١٩٩٨ م / ط ٣.

(٣) ديوان الشاعر ، ج ٨ ، ص ٦١٦.

وتراه في قصيدته السابقة يتألم من الحقد والغل الذي في الصدور ،
ولكنه يأمل في الخير مخبوءاً كالدّر بين الأصداف ، بل يرى أن الإنسان لن يلتذّلم
الموت إلا أن يذوق ما في كأس الحياة من مصاب بعد العيش إذ يقول :

لا يلد الموت إلا متعب سهر العيش وفي الموت رقد
رقدة يا طيبها من رقدة بعد أن عانى وأبلى وسهد^(١)
وله أمثلة في هذا الجانب منها قصائد (الحياة والموت ، ج ٣ ص ٢١٣ ، الجمال
والموت ج ٢ ص ١١٥ ، وصف الطباع ج ٨ ص ٥٩٢) .

وقد عُرِف عن شكري ذاتيته الشعرية ، وهي شعره الوجداني الذي يصدر
عن تجربة خاصة ، وهو في الصورة الآتية يصف الطبيعة بطريقة تشخيصية ، تعبر
عن موقف وجداني يحسه ويكابده ، ويتخيله من خلال ذاته حين يقول :

جعلت أبحث في الفؤاد كأنني في الأرض أنكث جاهداً لا أفتر
حتى رأيت هناك قبراً غائراً للحب قدماً كان غدرك يحفر
وعليه مكتوب بحرف من دم الحسن خداع يغمر ويغدر
قبر دفنت به الصبابة والمنى ولذيذ عيش في جوارك يزهر
يا قبر هذا الشعر قومك حلية والزهر في قبر الأحبة ينثر
والقلب مثل البحر يقرع قاعه أهنأ قلوب الخلق ما لا يسبر
كم فيه من أثر العواصف راسب أبداً به لا يستطيع فينظر^(٢)

(١) ديوان الشاعر ، الصفحة نفسها .

(٢) ديوان الشاعر / قصيدة / قبر في القلب / ج ٥ / ص ٤٢٣ .



وقد اهتم الشعر الرومانتيكي بالأفراد وقضاياهم فهو ينبعث منهم ،
وإليهم ، وقد ندّد شكري بقضايا المجتمع الفاسدة ، وعبر عنها بمأساوية
واضحة في كثير من قصائده ، منها "غل السرائر، ج ٦، ص ٤٧٠ ، نحن أخوة،
ج ٢، ص ١٧٣ ، الخمود والجمود، ج ١، ص ٦٩ ، صوت النذير، ج ٣، ص ٢٧٧ ،
فيها قال):

واحسرتاه لقوم ليس ينفعهم	نصح النصيح ولا الوعاظ والرسل
مستنبتين بأرض العجز ليس لهم	عنه ولا عن فناء الجهل مرتحل
زاوين إلا عن الفحشاء أنفسهم	وفوقهم من بوارق خزيهم حلل
با بارك الله مقدوراً يعاجلهم	فتطهر الأرض لا رجس ولا خطل
بأي حق يعيش القافلون ولا	نفع يجيئ به إذا أغفلوا
وصاحب الجهل فيكم آمن فرح	وصاحب العقل فيكم حاذر وجل
فإن رقدتم فإن النوم عادتكم	وليس تصحو لكم روح ولا عقل
والعجز مهلكة والضعف مضيعة	مالككم إن غفلتم عنها نقل ^(١)

أما عن معاناته الذاتية المشوبة بعاطفة متشائمة حزينة ، فالنحس ملازمه ،
والشقاء يؤاخيهِ ، حتى تمنى الموت ، فيطعمه ويلتذ به كما يلتذ بالنعاس ، وبنشوة
الخمر حيث يقول :

حياتي أما للنحس حد ولا مدى	فإني كرهت العيش في أول الصبا
حياتي إن الجسم يبلى ودونه	فؤاد شجي ليس يدركه البلى

(١) ديوان الشاعر / قصيدة " صوت التدبر " ج ٣ / ص ٢٧٧ .

إلى م حياتي أذرف الدمع حسرة
وبين ضلوعي للتصبر لوعة
وحتى متى أبلو نفوساً ضئيلة
ينالون من قلبي بناب ومخلب
فياموت أقبل لا كاقبال رائع
ولكن كترنيق النعاس بمقلّة

ولا ينفع المحزون إن ردّ البكى
مُملني ما لا أطيق من الأسى
أبين لها ودي فتبدي لي القلى؟
وما راعهم أن خضبوا القلب بالدماء
مرير كطعم العيش يؤلم من حسا
طواها الكرى أو مثلما تفعل الطلّا^(١)

كما كانت روح التقصي والطموح إلى كشف مغاليق الحياة والخلقة ، .. هي
الروح الغالية على المذهب الرومانتيكي ، والتي تأثر بها عبد الرحمن شكري في
معظم شعره الفلسفي التحليلي^(٢) . حيث كتب قصائد بحثت في حقيقة الإنسان
الإنسان وتردّده بين الخير والشر ، وبين الجزع والرضى ، وبين اليأس والأمل ،
ومالت بألحانها إلى سمات السوداوية والتشاؤمية في معظم الأحيان ، يُذكر منها :
لا مرحباً بالأقدار ، ج ٦ ، ص ٤٥٧ ، الإنسان والكون ، ج ٤ ، ص ٣٠٣ ، شكوى
الزمان ، ج ١ ، ص ٣٢ ، نذالة التعاسة ، ج ٨ ، ص ٦٢٥ ، الدفين الحي ، ج ٣ ،
ص ٢١٥ ، الكونان ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ ، جد أم لعب ، ج ٦ ، ص ٤١٨ ، وعلى سبيل
المثال قوله في قصيدة الإنسان والكون ، حيث يتلاقى الطموح والآمال مع يقين
الفناء في آخر المشوار:

(١) ديوان الشاعر / قصيدة : شقوة العيش / ج ٥ / ص ٤٠٥ .

(٢) انظر مقال / المثل العليل في الشعر / ص ٥٠٧ / عبد الرحمن شكري المؤلفات الشعرية الكاملة /

أحسب أن الكون يبنى وإنني أمير على عليائه وإمام
وأعلم أني هالك غير خالد وإني رفات للثرى وعظام
وإن لا طير ينوح لمنيتي ولا الزهر يشجو إن هلكت يسام^(١)

فهو يأمل في الحياة أن يكون أميراً على هذا الكون مالكا له ، رغم ذلك فهو على يقين من هلاكه وفنائه بين الثرى ، فإن مات لن يدمع زهر ولن يشدو عليه طير . ثم نراه يكشف عن نفوس ضعيفة امتازت بالندالة واللؤم والكيد في الخفاء ، فضاعت عاطفة الرحمة والرافة لقاء ذلك اللؤم حيث يقول :

كدت أنسى دواعي الرفق مما قد أرتني ندالة التعساء
يغضمون اليد التي تنتحيهم بسقاء ونجدة وإخاء
ويكيدون في الخفاء أو الجهم رة ألئم بجهرهم والخلفاء
عشش اللؤم حيثما عشش البؤ س سوى في القليل من كرماء
باع عطف الرحيم إذا ضاع حُسن الـ خلق في جم أنفس التعساء^(٢)

وها هي النفس الإنسانية تتأرجح بين الرجاء والفرع والرضا ، وهو حقيقة ذلك المسلك الوحيد للنجاة من هذه الحياة إذ يقول :

أعالج صرف الدهر في غير مطمع نعل ما تمُّ لي عليّ المقادر
ولكنني أرجو من الموت راحة ويفزعني وقع له وخواطر
وما العيش إلا الذئب تدمى نيويه وللعيش ناب قاتل وأظافر
فيها أنا بين العيش والموت واقف فهل مخبر يدري متى أنا سائر؟

(١) ديوان الشاعر / ج ٣ / ص ٣٠٣ .

(٢) ديوان الشاعر / قصيدة ندالة التعاسة " ج ٨ / ص ٦٢٥ .

لعل الذي أرجو من الدهر واقع فقد كان ما قد كنت دهرًا أحاذر
عسى أن يعود العيش جما جماله ففي الروض فينات وفي الأفق زاهر
فلا تعذلاني بارك الله فيكما فإني بهذا العيش راض وصابر^(١)
وقد نجد شكري يشكو بحزن وأسى من قسوة الصروف عليه إذ يقول :

لقد لفظتني رحمة الله يافعاً فصرت كأني في الثمانين من عمري
رضيت بهذا العيش بعد أبوة لا أبلغ شأواً أو أغيب في قبري
حتى يقابل يأسه الأمل فيقول :

رب ليال بت^٢ أدحوا ظلامها بطرفي وذيل الليل يعثر بالفجر
هل العيش إلا أن تنال بعزيمة بمقاماً كأن النجم من تحته يسري^(٢)

نلاحظ يأساً يقابله أمل ، فما هي إلا تشاؤمية تناهضها عزيمة وإصرار يحث
الهمم ، ولعل ذلك البحث ، والتحليل حول حقيقة الكون والإنسان ونوازع
الدفينة ، الظاهرة فيه أكسبت شكري أسى وشقاء ، فكان ذلك التشاؤم قلباً قدّم
به شكري قلب تلك المعاني ، والصور الشعرية ، وكانت السوداوية حليتها في
كثير المواضع .

و / الإخفاق تحقيق الأهداف والوصول إلى الآمال :

تميز شكري برهافة الإحساس ، وشدة التأثر إذ أن إخفاقه في الوصول إلى

(١) ديوان الشاعر / بين الحياة والموت / ج ٣ / ص ٢١٣ .

(٢) ديوان الشاعر ، شكري زمان ، ح ١ ، ص ٣٢ .

هدف يرتضيه ، ويرجوه أمر يؤثر في وجدانه وشخصه ومسلك حياته ، ويعدُّ هذا الإخفاق من دواعي تشاؤمه في الحياة ، فقد اشتغل شكري معلماً ، ثم ناظراً ، ومفتشاً ، وكانت البيئة المحيطة بوظائف التعليم خلال مزاولة شكري لها ، تمثل الصراع النفسي الذي قاده إلى الانعزال ، فكان هذا الصراع من أهم الأسباب في سوء التكيف الذي عاش فيه اجتماعياً ومهنياً وذاتياً ، وقد تمثل ذلك في عجز شكري عن مجارات قوانين مجتمعة . فعجز عن عقد الصلات المرضية مع رؤسائه ومرؤوسيه ، فكانت قدراته أكبر من عمله ، وعدم رضاه على من حوله سبب من أسباب عدم الرضا والثقة بهم . يقول عن ذلك الصراع بالنسبة له ولصديقيه : (العقاد والمازني أنهما خرجا من مهنة التعليم بالاشتغال بالصحافة ، والسياسة ، أما أنا فتهدمت . لكنني خرجت أَيْظُّباً للتدريس ، درّست وتحطمت)^(١) . لقد رام شكري إلى الإبداع الشعري والحقيقة أنه كان هدفه الأعلى ، وقد صرفته مهنة التعليم عن هذا المرام . بالطبع لكثرة مسؤوليات هذه المهنة ، كما يقول هو ، كما أنه حاول أن يطبق ما عرف من أساليب تربوية تهتم بنفسيات الطلبة ، وسيكولوجية المجتمع لكنه وجد في مهنة التعليم صورة مغايرة عما رآه في الغرب ، مما أصابه بالحزن واليأس للأوضاع التربوية في مصر - آنذاك . كما كان رفضه المقايضة بعواطفه الصادقة الشعرية داعياً من دواعي أزمته التعليمية ، فقد

(١) نقلاً مقال تجربة عبد الرحمن شكري مع مهنة التعليم ، د/ ناول عبد الهادي ، مجلة الفيصل ،

رفض قول الشعر في مناسبة مولود ، أو ترقية لأحد كبار الموظفين مقابل إعطاؤه ما هو حق له من علاوة وترقية شرعية ، وقد لاقى شكري اضطهاداً ، وهجوم من كبار موظفي التعليم بسبب ترفعه عن استعطافهم وبسبب صدقه ، وعدم نفاقه لم تصدر له علاواته المستحقة ، أو درجات ترقيته كما كان غيره ينتهبها ، كما كان خطأ ارتكبه أثناء وظيفته جعل حقدهم عليه ذريعة لهم في سخطهم ومحاسبتهم له ، وقد قال شكري قصيدة في أولئك القوم " أقوام بادوا " جعلت سخطهم عليه يشتد حتى رموه بتهمة الخيانة الوطنية حيث كانت كلماته أوقع عليه من لسع السياط ^(١) ويرجع الدكتور ناول أزمة شكري العلمية ليس إلى مهنة التعليم نفسها ، فقد أنتج معظم دواوينه الشعرية ، وكتاباتة الثرية خلال سني التعليم ، بل إلى تلك البيئة وزعمائها من كبار العاملين في وزارة التعليم ومعاملتهم القاسية ، المضطهدة لشكري ، إضافة إلى ذلك (ما عُرِف عنه من رأي حر صادق ، وصداقة العقاد والمازني الذين ناصرا قضية الاستقلال الفكري والحرية ، ونتيجة عدم وقوفه إلى جانب السلطة الحاكمة ولا بجانب الثورة فقد اتهم بالتقاعس وخيانة الوطن) ^(٢) ، رغم أنه كتب قصائد ناقدة لأوضاع المجتمع المجتمع هادفة إلى النصح وإيقاظ الضمائر ، والأخلاق أمثال " ضيقة حال ، ج ١ ، ص ٥٧ " ، " شكوى زمان ، ج ١ ، ص ٣٢ " " اليأس والأمل دواء ، ج ٢ ،

(١) المرجع السابق ص ٧٨ عدد ٢٣٨ + أحمد غراب ص ٣٦-٤٠ ، عبد الرحمن شكري + مقال رائد

الشعر الحديث ، محمد رجب بيومي ، مقدمة الديوان ، ح ١ ، ص ١٧ .

(٢) شاعر الوجدان ، يسري سلامة ، ص ٦١ .

ص ١٤٤"، "غيث الشكوى، ج ٤، ص ٣٠١"، "كلمات عواطف" ج ١، ص ٨٦.

أما عن خيبة الأمل الأدبي، فقد تمثلت في عدم تحقق الشهرة الأدبية التي كان يطمح، ولكنه لا يسعى إليها، فهو شاعر معتر بنفسه وبشعره أياما اعتزاز إذ يقول:

أرمني بشعري في حلق الزمان ولا أبيت منه على هم وبلبال
لا أبتغي الجاه أسعى نحوه ضرعاً نزاء شعره إن الجاه يسعى لي^(١)

كما ويرى شكر أنه شعره جدير بأن يتبوأ درجات العلا، يقول:

سيذكر هذا الدهر أمري وأمركم فقد خط شعري في الصميم من الدهر
لقد كان قبلي عاطلاً فحبوته عقود معان لا تطرق بالنثر
وقد كان قبلي أخرس الفم أبكم فأصبح يشدو بالجليل من الشعر^(٢)

فالشاعر يرى أن غيره قد وصل إلى مرتبة عليا، لا عن طريق المهارة والبراعة الشعرية "سيذكر هذا الدهر أمركم فماذا كان من أمر شكري لقد تميز عن هؤلاء الذين يقارن بينه وبينهم" وحبوته عقود معان لا تطرق بالنثر "كان قبلي أخرس أبكم"، فأصبح يشدو بالجليل من الشعر.

أسباب عدم تحقق هذه الشهرة المتوقعة لشكري كما يذكرها د/ أحمد غراب (أن شعره كان جديداً في مواضيعه المطروقة، كما كانت صورة غريبة عن الأذواق

(١) ديوان الشاعر، ح ٢، ص ١٥٧.

(٢) ديوان الشاعر، ح ٤٢، ص ٣١٣.



والأفهام والأسماع في عصره ، فلم يتقبل الناس تلك الجرأة من شكري على تخطي
التقاليد الشعرية المتبعة ، وعدم اتباع القوافي الموحدة بل ابتداع المرسل ، والترفع
عن شعر المناسبات ^(١)

كما اشتكى شكري من جمود القوم وعدم تفهمهم لشعره حين قال :

فمن لي بأسماع تعي ما بقوله فحولي أناس كالجماد من الوقر ^(٢)
كما كانت معانيه مستغلقة على الأذهان كما رأى د/ شوقي ضيف أنها جديدة
ومصاغة بطريقة فريدة يتداخل في نسجها الحزن والسواد والموت الذي طالما
ورد كثيراً بين ثنايا قصائده ^(٣) . ورغم أنا نراه يتحدث بواقعية ربما تكون
سوداوية مريرة لهذا الحياة وحقائقها ، وقد صدُدم شكري بهذا الرفض لاسيما ،
وهو شاعر مفتخر كل الافتخار بنفسه حيث يقول:

ولو أنني لفحت بغل صدري	لفاض الماء واحترق الهواء
سأحدث في غد حدثاً عظيماً	تظل له البوارق تستطار
فإن أعمر فويل للأعادي	وأن أهلك فويل للصدیق
وكم من ناعق يدعو الأمر	نعيق البوم في الطلل الخراب ^(٤)

(١) انظر: عبد الرحمن شكري، أحمد غراب، ص ١٤٩ .

(٢) ديوان الشاعر، قصيدة، هذا الحبيب، ح ٤، ص ٣١٥ .

(٣) راجع، دراسات في الشعر العربي المعاصر، شوقي ضيف، ط ١، ص ١١٢-١١٣، دار المعارف .

(٤) ديوان الشاعر، قصيدة كلمات عواطف، ح ١، ص ٩٤ .



فانظر إلى مدى ما يسببه له الدهر من آلم وأحزان "نفحت بغل صدري
لغاض الماء واحترق الهواء" إنه تغيير الأشياء عن طبعها نتيجة قوة كامنة في أعماق
الشاعر تشبه الطبيعة في غضبها ، ولذلك "إن أعمر فويل للأعادي" فسوف
تصيبهم نيران حقدي " وإن أهلك فويل للصديق " بهذا التناقض الذي يدل على
اختلاف ما يحدث للأصدقاء عن الأعداء من هلاك الاثنين، وإن كان هلاك
الصديق ألماً وحزناً على رفيقه.

وأكبر دليل على عدم تحقق الشهرة لشكري حين يحكي لسان حاله في قصيدة
" شاعر يحتضر" ^(١):

ألقى الموت لم أنبه بشعري ؟	ولم يعلم سواد الناس أخرى ؟
وفي نفسي- من الأبد اتساع	تدور الكائنات بها وتجري
فمن للقلب يطربه بلحن	يحن إليه من نظم ونثر
شربت الحلو من كاسات دهري	لذاك المرّ من كاسات دهري
فمن لي بالسكينة في حياة	أعالجها كأني رهن أسر؟
ظمئت إلى الكمال فلم أنله	وذقت اليأس في صلة وهجر
وعالجت العواطف هائجات	هياج النار من لهب وجر
وجملت الحياة بنظم شعر	شبيه الضوء في الأفق الأغر
قصائد مثيرات خالدات	خلود النجم من شهب وزهر ^(٢)

(١) ديوان الشاعر، ح ٣، ص ٢٣٤.

(٢) ديوان الشاعر، قصيدة شاعر يحتضر، ح ٣، ص ٢٣٤.

وقد تبين قصيدته الماضية أهله في انتشار أمره بين عامة الناس رغم ما يحسدّه
من رحابة صدر تحتوي الكائنات جميعاً ، فلم لا تحتويه أذواق الجماهير ، وتسعى
إلى نظمه ، الذي يشبه الضوء في الأفق ، ولكنه يضع آماله في قصائده ، فهي
خالدة ، وستخلد ذكره رغماً عن الجميع ، حتى أنه قد اعتاد النقصان ، والغدر من
أفراد مجتمعه حين يقول^(١) :

اعتدت من أهل دهري كل منغصة فلا ألومك في مكر وعدوان
وقد كانت تأملات شكري الفكرية ميداناً رائعاً للخيال المجنح ، والإلهام
البصير ، إلا أن القدر شاء لشكري أن يحاربه أنصاره ، وتلاميذه من دعاة
التجديد والانطلاق ، فيكابد من حرب الرجعية والتقدمية معاً نارين مستعرين
كما نوه بهذا الهجوم نقولا يوسف جامع ديوان شكري حين ذكر أن فشل ثورة
١٩١٩ م والتحالف بين البرجوازية والإقطاع ؛ أدى إلى تعدد مدارس الفكر في
مصر فلكل غاية ومنفعة ، وهكذا ظهرت غاية كل كاتب وطريقته ، وذلك أفهم
نقولا دوافع الهجوم المصحف الغير موضوعي الذي قام به عدد من الكتاب تجاه
شكري^(٢) .

وقد عُرِف عن شكري مناهضته للاحتلال وعملاء النفاق ، ومطالبته لحرية

(١) قصيدة ، عقوق القدر ، ح ٤ ، ص ٣٤٠ .

(٢) مقالات رائد الشعر الحديث وأحد أساطير الأدب العربي ، محمد رجب بيومي ، ص ٨ ، مقدمة ديوان
الشاعر بتصرف .

الفرد والجماعة ، فكان شخصه المتمثل في شعره محطاً لهجوم الكثير من حلفاء الاحتلال ، وقد أثرت حادثة هجوم عبد القادر إبراهيم المازني على شكري إثر إصدار شكري لديوانه الخامس الخطرات " بمقدمة يعقب فيها على شعر المازني ، ونقله لعدد من قصائد الشعر الإنجليزي دون إشارة إلى أنه مترجم ، موهماً القراء أنها من شعره كما ختمها شكري . بقوله : (أني لو رأيت عفريتاً لما عراني من الحيرة والدهشة ما عراني لرؤية هذه الأشياء)^(١) وقد كان الثلاثة شكري والعقاد والمازني أصدقاء طريق علمي وأدي ، رغم ذلك لم تؤثر تلك العلاقة في مصداقية شكري ، فيجئ إلى تغطية ما لا يرضاه ضميره ، في الكشف عن سرقة المازني ، وما كان من ردّ المازني في (صدر الديوان للعقاد والمازني الذي صدر ١٩٢١م أنه كان هجوماً عنيفاً على شكري واتهامه بضحالة شاعريته ، واضطراب شخصيته ، وتلوث عقله بالأوهام ، فكانت تلك الصدمة التي أحادت بشكري عن طريق المجتمع ، فانزوى عن الحياة الأدبية ما خلا مما خفى من مواضيع نشرت له تحت حروف اسمه الأول)^(٢) وقد أصيب شكري بما يسمى بالزلزل الوجداني حيث يحدث ذلك في حالات الصدمات الوجدانية التي تتسم بالفجاءة ، مثل انقلاب صديقه المازني إلى عدو يشهّر به ، ويدعي عليه ما ليس فيه مستغلاً ما لديه من خبرة عن حياته ، فالتيار الوجداني في تلك الحالات يصطدم بحاجز كثيف

(١) عبد الرحمن شكري، نظرات في شعره، أنس داود، ص ٩٣، الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٧٠م.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٩٤. راجع أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ٢٥ - ٢٦ .

مفاجئ مما يجعل المرء في حيرة إلى أين يتجه (١). لكن شاعرنا اتجه إلى العزلة ،
والانسحاب من أرض المعركة تاركاً الساحة للمازني والعقاد ، وشعراء العصر في
ذلك الوقت ، وكتّابه . ذلك كان الانسحاب الأخير الذي أسدله شكري على
تواجهه بين الأوساط الأدبية (٢).

أما عن إخفاقه الوجداني فقد ذكر من ناقشوا هذه القضية أن غزل شكري
النتج عن وجدانه لم يكن صادر عن تجربة شخصية واقعية بل صادر عن تجربة
وجدانية خيالية ، عبر " عنها بطريقة تنم عن تذوق عميق لمعنى الحب والتغزل
بروح الحبيب الطاهرة ، وحقيقة تجربته تلك أن ذلك (الحب ناتج عن روح
ذواقة للجمال ، وحب الحياة ، كما ورد عن الشاعر في مقدمة ديوانه الرابع ، وأن
هذا الإحساس الشديد بجميع مظاهر الجمال ، والذي تصدره تلك العاطفة
الشعرية التي يفيض ضياؤها على كل شيء حتى على جوانب الحياة المظلمة
الكرهية) (٣). وليس لتلك العاطفة صلة بالمرأة ، والدليل على ذلك قوله : (ليس
ليس للمرأة أو غيرها اثر كبير في شعري ، كما لم يكن للمرأة وغيرها فيما أظن أثر
كبير في شعر ابن الفارض) (٤) ، ولا يطلب شكري من الشاعر أن يعشق كي يجيد
يجيد النسيب ، ولكنه مطالب بوجدان يصدق ، ويعبر عن نواحي تلك العاطفة

(١) انظر التفاؤل والتشاؤم / ميخائيل نعيمة / ص ٣٤.

(٢) راجع أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر / ص ٢٧، ٢٨ / حمدي سكوت / د. جونز ، بتصرف .

(٣) مقدمة ديوان الشاعر / ج ٤ / ص ٢٩١ .

(٤) عبد الرحمن شكري / أحمد غراب / ص ١٨٨ ، رسالة بتاريخ : ٢١ / ٨ / ١٩٥٥ م .

بمزاج فني سليم ، وبصيرة سيكولوجية تمكنه من فهم أحاسيس النفس
وتصويرها ^(١) ، وميزان وجدته ترجح فيه كفة الألم ، والمعاناة في الهوى ولوم
النفس ثم تقدير العذر للحبيب بقوله في قصيدة "لوحة من التجني" :

ألومه في التجني ثم أعذره	والدمع يفصح لما كنت أستره
بيت ممتلئ الأجفان من وسن	منعماً وحليف الليل يسهره
يا ليته كان يدري كيف يرحمني	أو ليتني كنت أدري كيف أهجره ^(٢)

ثم هو يستعذب الألم والسهاد ، وقسوة الحبيب التي قد تمزقه بأنياب
وأضراس إذ يقول :

أبيت الليل سهراناً	على هم ووسواس
وأقضي — اليوم في هم	أريق الهم في الكاس
وقد صبيت لي الموت	فهل يهنئكم باسي
سينعاني لك الموت	وأحسوه مع الحاسي
وإن أدرج في قـبـري	قتيل الحب والباسي
لقد خلفني الحب	صموتاً بين جلاسي
وقد مزقني الحب	بأنياب وأضراسي ^(٣)

ثم تراه من فرط وجدته ، وقسوة قلب المحب يدعو نفسه إلى صحبة الموت

(١) مقال أنواع النسيب والتشبيب في سفر العرب / عبد الرحمن شكري / مؤلفاته النزيه /
ص ٥٢٣ .

(٢) ديوان الشاعر ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٣) قصيدة ديوان الشاعر ، ج ٤ ، ص ٣٣١ .

فهو أرحم من صحبة خلانه في " الحب والرحمة " :

لما رأيتم حياتي في اقترابكم	وإن يعذكم في الموت سيان
بنتم فلا رحمة فيكم أو ملها	لا تحسّون ما بشي وتحناني
لّه لومت من شوق ومن كمد	لما بللتم بماء الدمع أكفاني
ولا عناكم مماتي في محبتكم	بل كان حظي من سخر ونسيان
أبعد ما قد بدا لي من عداوتكم	تبدون للناس صحبي وإخواني
يا طارق الموت فيك الأمن أنشه	فأنت أرحم من صحبي وخلاني ^(١)

والحب لديه مذلة وهوان تجعلانه يطلب رحمة الحبيب ، حيث يتمنى على

نفسه الأمان التي تحقق قُرْ به في " الحب والموت " :

يا ليت إني مقعد في دياركم	مقيم على صرف الزمان ركين
ويا ليت أن القرب ينصف والنوى	فيحمد عزقي هواك وهون
يا ليت بي نوعاً من النحس واحداً	فلإن شقائي في هواك فنون ^(٢)

(والحب عند شكري نوع من العبادة التي يؤديها عقله ، وقلبه ، وجسمه ،

وهو كذلك عند الرومانتيكيين ، وهو وسيلة عند شكري لتطهير النفوس

وصفائها ، كما هو لديهم^(٣) لذلك كان ذلك العذاب الذي يقاسيه في تجربته

الوجدانية ، وتلك الدموع الحارقة ، وذلك الحزن العميق القاتل خير طريق

(١) قصيدة الحب والرحمة ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ .

(٢) ديوان الشاعر ، ح ١ ، ص ٢١١ .

(٣) شاعر الوجدان / يسرى سلامة / ص ١٤٠ .

ليظهر بها شكري نفسه وروحه من الأدناس ، فيعلو بها عن سفاف الجسد ،
ومادية النفس . إذن كيف يأتي الإخفاق إلى حب طاهر مثل ذاك الحب
الرومانسي ؟ وكيف ينتهي به نهاية حزينة عقيمة ؟ قد يكون الإخفاق حليفاً
لذلك الحب الوجداني لأنه حب خيالي مجنح ، فلا حبيب حسي- ، مستحق لهذا
الحب العظيم النامي عن شفافية روحية وجدانية ، (فشكري لم يتزوج ، ولم تكن
له علاقات رومانسية ومعروفة أو مكشوف عنها)^(١) ، فعندما يعبر^٢ في قصائده
عن فساد الواقع ، التي تحمل عناوين أمثال " العهد والحذر ، ج ٢ ، ص ١٧٥ " ،
والحسناء الغادرة ، ج ٢ ، ص ١٤٢ " التي لا عهد لها ، وقبله الزوجة الخائنة ، ج ٢ ،
ص ١٥٩ " والزوجة الغادرة ، ج ٢ ، ص ١٨٠ يعبر بواقعية مجروحة بعيدة كل
البعد عن خيالاته الرومانسية .

وربما وجد الرومانتيكيون بهروبهم إلى خيالاتهم راحة ، لا يجدونها في
الواقع ، ولا بد أن يتحقق ذلك لمن يعيش في خيال مثل خيال شكري الذي
يقول :

بل^٣ في نجوم الليل لحظات طرفه فإني إليها في دجى الليل ناظر
عسى يلتقي لحظي ولحظك عندها فتعرف ما تطوى عليه النواظر
ثم يتغنى أنه يتلاقيا في الأحلام حين يقول :

(١) أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر / ص ٣٣ / حمدي سكوت / د. جونز .

عسى تجمع الأحلام بيني وبينكم ومن لي بها والظرف باك مساهر^(١)

فكيف لرجل يحب بتلك الصورة الخيالية أن يعيش سعادة الوجدان في أرض الواقع الذي يشوبه الخداع ، والنفاق، وسوء الأخلاق (وقد كان فشل شكري الوجداني أمراً محتوماً لمن له سبحاته ونوازعه، فالعاشق إذا كان مفكراً أو محلاً من ناحية، وعاطفياً ثائراً من ناحية فإن أمواج الهواجس، وتيارات الظنون لا بد أن تقيمه وتقعه، وقد يتحدى القدر بعض العمالقة، فيغريهم بدمية حسناء ليس لها رصيد غير الجمال فهي لا تفهم صاحبها، ولا تستطيع أن تسبح في عوالمه، فتتسع الفجوة بين القلبين، وتأتي الفجوة المظلمة فتسحق القلوب وتذيب الضلوع)^(٢). ويحدث الإخفاق الوجداني لشاعر مرهف كشكري.

لقد اجتمعت دواعي كثيرة عند عبدالرحمن شكري منها ما كان داخلياً ومنها الخارجي فأحساسه المرهف، وتفكيره العميق أثرا فيه بطريقة كبيرة إذ جعلاه يتذوق طعم الألم والسعادة، بل تذوقه للألم جعله يعرف معنى السعادة، كذا خياله الخصب دفعه إلى الشعور بالخوف والألم حتى أصبح يخشى كثيراً من مصائب الحياة وإن لم تحدث له. بالإضافة إلى معاناته الذاتية وشعوره بالشقاء والبؤس يؤاخيانه، حتى تمنى الموت وفضله على الحياة وطعم لذته.

(١) قصيدة "غاية الحب" ج ٢ / ص ٢٢٣.

(٢) عن مقال رائد الشعر الحديث أحد أساطين الأدب العربي / رجب بيومي / ص ١٨ / مقدمة

الديوان / ح ١ . نقلاً .

كما كانت قيود الزمان والمكان من دواعي تشاؤمه التي كبلته بالأحزان والهموم لعدم تحقق الأماني، كذلك وضاعة عقول الناس وسوء ظنه بهم وبنفسه، وخيبة أمله في صداقتهم كان ذلك من الدواعي التي أثرت في نفسيته، وحالت به إلى تفضيل العزلة، وشعوره بالتفرد والغربة بين الأهل والصحاب.. ومن المؤثرات الخارجية أوضاع الأمة المتقلبة وأخلاق العباد الفاسدة في التعاملات، التي أثارت شكري، وجعلته يحس التذبذب والتوتر في نفوس أبناء الأمة، وكان من تداعيات ذلك تلك القصائد العابسة التي عبرت عن أخلاق العباد وضمايرهم. كما أن للمذهب الرومانسي أثر واضح في شخصية شكري الشعرية فقد أثار الحزن والألم في شعره بحبه للحرية المنشودة غير المحققة، والنظرة إلى جانب الحياة المظلم وجانب الشر والشقاء، إذ رفض شكري ذلك كله وثار عليه، حتى أن حبه للطبيعة اصطبغ بذلك الحزن فخلط بين صفاتها، وصفات البشر- الذاتية، فجعلها مرآة لما حوله.

وإخفاق شكري الوظيفي المتمثل في عدم نيله المراتب الوظيفية التعليمية المستحقة له والهجوم الذي لاقاه من رجال التعليم، وطلابه كان سبباً في تقديمه الاستقالة من الوظيفة التعليمية قبل أوان تقاعده، والقبول بالمعاش الضئيل الذي لا يفي ببعض ما تطلبه الحياة.

كما كان عدم إقبال الجمهور على شعره، ورفضهم لأفكاره الجديدة، وصوره السوداوية وترفعه عن شعر المناسبات، مما زاد الوضع سوء وجعله ينظر إلى المجتمع بنظرة دونية مستحقرة للتخلف الذي أصاب العقول والقلوب، ولا بد



أن يكون في عزوفه عن الزواج أي كانت الأسباب تجربة واقعية أم تجربة وجدانية
خيالية بعيدة عن الواقع ومستعذبة للألم والسهاد والموت من أثر على شاعر أحب
الطبيعة والجمال.

الفصل الثاني

مظاهر التشاؤم في شعر شكري



شكري شاعر التأمل والاستبطان الذي يُبحر فيرقب تلاطم أمواج النفس الإنسانية وانفعالاتها، وهي تصارع قيود الحياة وأسرارها ذلك التأمل جعله يرصد لنا تلك الصراعات على اختلافها في شعره ونثره يدعمه في تلك المرحلة فكر يُورِي العاطفة وعاطفة ملتحفة بلحاء الفكر. وهذا التأمل الذاتي في النفس ومطامعها، وفي أسرار الحياة والخلقة جعل الخوف لديه مظهر تشاؤمي حيث توجس شكري من أشياء كثيرة استشعرها بكل ما لديه من قوة، لكنه جهلها لذلك خاف منها

١- الخوف من المجهول :

كان من أهم مظاهر التشاؤم عنده ، فالناس في معاناة في هذه الحياة ، وأعمالهم متباينة بين الخير والشر هل بعد الفراق لقاء؟ وهل للأصحاب من لقاء؟ فالويل الويل مما تخبئه الأقدار، ومغالبتها فهو كالطفل مختار دوماً وأبداً أمام أسرارها.

يقول:

ليت لي نظرة إلى الزمن الآتي	البعيد الخطا الغريب الحال
فتريح الفؤاد مما يعاني الطرف	من لؤم هذه الأحوال
أو يमित النفوس بالنبأ الأعـ	ظم إن الوجود نحس المآل
فهي بشرى محمودة أو نعي	لمساع مآلهـا للنفوات
كيف تعنو الأقدار للمرء والمرء	ستبلى أعماله كالرفات
ويح شمل الصحاب لو كان صدق	القول أن لا حياة بعد الحياة ^(١)

(١) ديوان الشاعر "قصيدة أنام والغيب" ج ٢، ص ١٦٨.

أيها الغيب كم رميتك بالظـ نـ فـأبديت لي كوجه السحاب
أنا والغيب كالغلام إذا حا ول فتحاً لمغلق الأبواب^(١)

وزاد على تخوفه من الأقدار ظلم الأحداث لشخصه ولأمانيه وجورها
المتمكن دونها مفر، فهو كالأسير في قيده لا يستطيع سوى التذمر دون حيلة إلى
الخلاص، يقول في قصيدة "لا مرحباً بالأقدار"^(٢):

ألا ليت للأقدار قلباً وفطنة أيرحنا من لا يساء ويجذل
وهل نافع ذم القضاء وجوره كما ينقم الظلم الأسير المكبل؟
وهل يملك المظلوم إلا شكاية وإن كان حمل الهم بالصبر يحمل؟
ولو كان هذا الهم قرناً قتلته برته حملُ عل النفس يثقل

فالأساليب الإنشائية المختلفة تظهر موقف الشاعر من القدر "ألا ليت
للأقدار قلباً" فهو تمنى المستحيل أن يكون لها قلباً يرق ويعطف لحالة وحال
البشر، ولكن كيف يفعل من لا يساء ويجزل؟ ثم الاستفهامات المتتالية "هل
نافعي ذم القضاء؟ وهل يملك المظلوم إلا شكاية" فهي تقرير بحالة الإنسان
مع الدهر فهو لا يملك أمام القدر من أمره من شيئاً، ولذلك تمنى المستحيل
حين أراد القدر إنساناً وقريناً حتى يستطيع التغلب عليه والانتصار. يقول:

بأهارباً من صولة المقدار أتراك تفلت من يد الأقدار
أهرب ما استطعت في أزل الدني أو في مدى الآباء والأدهار

(١) ديوان الشاعر، ج ٢، ص ١٦٨.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

أو في الملمات وما تلاقى خلفه بين الغناء ومعقل الأسرار
تعدو ويدركك الذي خلفته كالليل ليس يفر منه الساري^(١)

وهذه نظرة واعية لكنها تفتقد إلى الأمل في رحمة الأقدار التي يذكرها في
مواضع أخرى، فقد يتغير قدر الإنسان بالدعاء الصالح المستمر، وقد تحسن
خواتيم الأعمال وتتغير النهايات برحمة الخالق الباري، والشاعر راض لكنه حزين
مزعزع يرى النفس والفكر (أن الناس وسيلة من وسائل القضاء، وأن القضاء لا
يهمه إن سعد الناس أم تعسو، كما يهمه أن يعطي كل امرئ نصيبه من الحياة،
والقوة والسعي)^(٢).

والنظرة التشاؤمية للشاعر تكمن في احتساب النواحي السلبية للقضاء
المحتوم على الناس ونسيان إيجابية الأمر في قدر الإنسان.

٢ - سوء الظن بالناس:

والشك في تصرفاتهم، وفي ثبات عواطفهم، وسوء طباعهم أحد مظاهر
التشاؤم لدى شكري فهو يعترف (أنه سوء الظن بالناس ليس كاذبا أبدا إن كان
في الكون حق ، فالحق ما يسئ ظنك بالناس ... ولكن ينبغي أن تسيء ظنك
بنفسك أليست نفسك من نفوس الناس) ثم يعلل سبب إساءة الظن
بالناس بقوله : (وأني أسئ الظن بالناس ؛ لأن في كل عمل يعملونه

(١) ديوان الشاعر، ج ٨، ص ٦٣٣.

(٢) انظر الاعترافات، ج ١، ص ٨٦.

حتى الحميد منه شيئاً من اللؤم والدناءة ^(١) .فهو أينما توجه لا يجد إلا عدواً أو
حاقداً يقول في سراب الود:

ألوى إلى الناس وجهاً غير منبسط	وأتقيهم بقلب غير مسرور
أنى تلفت لم أبصر - سوء رجل	بادئ العداوة مخضوب الأظافر ^(٢)
هم يحسدوني عل عيش فوا أسفي	عيش عليل وصنعي غير مشكور
شف الناس عن عاد له إحن	وعن ذليل شديد الغل مقهور
الشر والكذب والأحقاد طبعهم	والحق في الطبع باد غير مستور ^(٣)

فالألفاظ تعبير عن حالة الشاعر إن كان فرحاً أو حزينا أو يائساً أو مكتئباً
وإذا نظرت في الأبيات السابقة ، وجدت ألفاظها خير دليل معبر عن مذهب
الشاعر في الحياة ، فعلى أي شئ يدل قوله " وجهاً غير منبسط ، قلباً غير مسرور ،
بادي العداوة ، مخضوب الأظافر ، عيش عليل ، وصنعي غير مشكور ، ذليل
الغل مقهور ، الشر والكذب والأحقاد؟ أظنها ألفاظ تعبر خير تعبير عن نظرة
الشاعر التشاؤمية ، لا يرى خيراً في الحياة ولا في الناس ، فكيف ينتظر منهم الخير
وهذه سماتهم وهذه طباعهم؟

وقد نطن اختلاف الصورة حين يلبس العدو ثياب الصديق . فهل ينخدع
الشاعر بهذا أم يكشف بفطنة زيف عواطفه والتواء أحاسيسه ومشاعره يقول:

(١) المرجع السابق، ص ٦٧ .

(٢) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢٥٠ .

(٣) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢٥٠ .

أرى الأضداد فيك إلى لقاء
أساء إليك أم محض الشاء
إذا نسيت التقرب والثنائي؟
ولم تظفر بخيري أو بلائي؟
ليّ وما أجبتك بالعداء
عداؤك ليس يظفر بالخفاء^(١)
نما بين المحبة والإخاء
غادرٌ سمح حقود
أمدحك لي انتقام من عدو
وفاءك كي أبادلك التحايا
أتخدعني ولم تلحق بي
وتمزق لي إخاءك مذق حق
تجاربني وتحسب أن ستخفي
ولست بأول المخفين بغضاً

فإذا كان للتناقض أن يحدث اختلافاً في طبائع الأشياء ، فإن التناقض هنا في
شخصية المخادع لم يحدث اختلافاً في رؤية الشاعر له ، إذ لم يخدعه ولم يغير من
حقيقته ، فيقبل عليه الشاعر ويبادلّه العواطف .

إلى أن يصل به الأمر تفضيل صداقة الأموات على الأحياء، إذ أن الأحياء
خذلوه وصاروا مثل السهام التي تخرق العظام فتكسرهما، في حين كانت صداقة
الأموات وفاء ووقاية في الحياة قال في ذلك:

أين الألي قـربهم شفاء
مرآهم نشوة وسكر
أواه من وقعة الحنايا
ما العيش عيش إذا تناءوا
كيف أرجو بكم شفائي
يكشف غمي وكربتي
ونطقهم برؤ علتي
يقعن في خير نخبتي^(٢)
وصرت أبكي لوحشتي
وأنتم أصل علتي

(١) ديوان الشاعر، ج ٨، ص ٦٣٠.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢٣٢.

كَأَنِّي بَيْنَكُمْ غَرِيبٌ أَنَدُبُ حَظِي وَغَرَبَتِي
أَنْتُمْ سَهَامٌ تَهِيضُ عَظْمِي وَهُمْ وَقَائِي وَجَتَّتِي
تَنْسَى عَدَاءَ الَّذِينَ مَاتُوا وَالْحَيُّ يَقْلِي بِزَلَّةِ
فَتَحْسَبُ الْمَيِّتَ ذَا وَفَاءٍ وَتَبْكِي عَلَيْهِ بِحَرْقَةٍ^(١)

فصور تفضيله لصداقة الموتى توضح معاناة ذاتية مع الصداقة والأصدقاء، وإساءة ظنه بهم، تمثل صمته في صداقاتهم مما أثر عليه، وجعله يميل إلى ندب حظه، والبكاء بحرقه على وفاء الأموات من الأصدقاء، وقد بدأت مخاوف شكري بإساءة الظن في الناس إذ قال في قصيدة شقوة الميت:

حَتَّى مَتَى أَبْلُو نَفُوساً ضَّئِيلَةً أَبِين لَهَا وَدِي فَتَبْدِي لِي الْقَلِي
وَحَتَّى مَتَى يَبْقُوا ضِدِّي وَشَقُوتِي وَمَالِي لَوْ خَيْرَتِ فِي النَّاسِ مِنْ عَدِي
كَأَنَّ حَيَاةَ النَّاسِ ضَجَّةٌ أُخْرَقَ وَعِيشِي فِيهِمْ نِعْمَةُ الْبُؤْسِ وَالْأَسَى^(٢)

فالتضاد بين أفعال الشاعر والناس كان يفترض به أن يغير الناس عن طبعهم ويميل عن سماتهم وما يتدثرون به من أخلاق وصفات إلى سمات وطبائع جديدة لهم في الشاعر منها القدوة والمثل، ولكن حين ظلوا على حالهم بدأ اليأس والشك والتشاؤم يتسلل إلى نفس الشاعر، الذي ازداد مع مرور الأيام يأساً من صلاحهم وتبدل أحوالهم.

ثم تطور الأمر إلى الخوف والفرع من الناس فمن يعاشر من لا يأمن ويسيء الظن به يصل إلى درجة خشيته يقول:

(١) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢٣٢

(٢) ديوان الشاعر، ج ٥، ص ٤٠٥.



فأصبحت أخشى الناس في كل خطوة وأفرق من دواعي المودة إن دعا
فمن إساءة الظن إلى خوف وصل إلى الخشية والحذر فالخية تلو الأخرى تؤلم
قلبه وتصليه الجروح يقول في قصيدة الخوف والفرع:

حاتم هذا الخوف في كل لحظة يدب قلبي وطرفي ومسمعي
وفي كل يوم خيبة إثر خيبة ولوعة قلب ذي كلوم مفرع
وفي كل يوم لي خليل يخونني وفي كل يوم لي حبيب مفجعي^(١)
خوف تملك قلب الشاعر وطرفه ومسمعه، وظهر في صورة تساؤل إلى متى
يدوم هذا الخوف؟ وإلى متى تدوم تلك الخيبة في الآمال، وتلك الخيانة من
الأخلاء والأحباب؟

ويزيد من تلك المشاعر المؤلمة التي تنغص حياة الشاعر وتؤرق عليه نومه
ما يراه من أفعال الناس واقوالهم ، فقد أينع شرهم وأزدهر حقدهم واورق
حسدهم وغيظهم يقول^(٢)

قوم إذا ابتدروا السباب رأيتهم يطلون موضع عرهم بالقار
متعاضمين على نجاسة أنفس نتجت نتاج الدود في الأقدار
ستر الخسيس خساسة بخاسة في أنفس الأعوان والأنصار
صنعوا الأذى من غير ما سبب ولا يؤدي لغير الفوت وحش ضاري
ضلت غرائز شرهم عن أصلها في صون عيش أو لدفع ضرار

(١) ديوان الشاعر، ج٣، ص ٢٢١.

(٢) المرجع السابق ج٨، ص ١٤٥ .

فغدت دناءة أنفس وخساسة كيد أبلا كسب ولا أمطار^(١)

وإضافة إلى إحساسه المرهف المتألم تجاه ظلم الناس، لنا البيات عن واسع تجربة وعظيم خبرة ودراية بأحوال البشر التي تتمثل في شر متأصل، وحقد غائر، وحسد عظيم فطباع الناس دافع قوي لازدرائه، وزهده فيهم، واعتزاله مجتمعهم، لكن تشاؤم شكري هنا (ليس تشاؤم عجز وتثبيط إنما هو تشاؤم استحثاث للهمم لتغير الواقع الفاسد أو نقد للحياة بهدف إصلاحها وتحسينها، وهذا النوع من التشاؤم لا شك أنه أفضل من تفاؤل الغافلين عن الشقاء أو الضاحكين في موضع البكاء)^(٢). يقول شكري واصفاً لطباع القوم:

ما ازدريت الأنام إلا وهان للكيد منهم وهان منهم عداء
وتفردت لا أصول بكيد وتزهدت واستقام العزاء
ودهم مثل بغضهم فيه عدوى مثل عدوى تسعى به الثؤباء
ولقد تحمد الخليل طويلاً ثم يبدو ما كان فيه انطواء
فإذا الغدر شيمة وطباع وإذا الود والوفاء رياء
وعجيب أن يحسد المرء حتى بعد أن تدم له النعماء
كلهم ذلك الحسود ولكن هين ما بدت به الفضلاء

(١) ديون الشاعر، ج ٨، ص ٦٤٥.

(٢) نفلًا عن عبد الرحمن شكري، أحمد غراب، ص ١٨١-٢٨٢.

حسبوا اللؤم من ذكاء وعقل فادّعاه الطغام والأعلياء
وتباهوا بقدرة اللؤم فيهم واستشاطوا إن قيل هم لؤماء
شد من أزر سافل أن شراً جمعت في مناله الجبناء
فجبان يشد أزر جبان وعداء يكون منه عداء^(١)

تلك النظرات السوداوية التي تمثلها شكري في شعره، ووصف بها الناس
وطباعهم وانقيادهم للشر والحقد والكراهية في تعاملاتهم إضافة إلى عامل غبن
الحق الذي تعرض له شكري من حوله، وعدم نيله الشهرة والمكانة والدرجة
العالية الرفيعة التي يستحقها، نتيجة احساسه بذاته، وعظيم إبداعه ونتاجه،
هذا التناج الذي لم يحسن الجمهور استقباله والتفاعل معه وإعطائه حقه، وأدى
ذلك كله إلى خور المهمة، الانطواء على الذات والاستمتاع بالألم والملل من الحياة
يقول:

بيناً لذ نعيم العيش في دعة	رمى بي الشك بين السهد والملل
كفى بنفسي—داء أني رجل	أخشى الحياة وأقل سطورة الأجل
أجن بالعيش طوراً ثم أبغضه	ما أضيع المرء بين اليأس والأمل
ما من مجير على هذا الملل سوى	موت يبعد بين النفس والعلل
لو كان لي حيلة أفتي بها مللي	من الحياة لما قصرـت في الحيل ^(٢)

(١) ديوان الشاعر، ج ٧، ص ٥٩٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٢، ص ١٦٢.



وهو يجمع في أبياته السابقة خلاصة تجربته في الحياة معاناته الذاتية التي بدأت بتذوقه نعيم الحياة ولذائدها ثم تخلل هذا التلذذ شك في دوام الحال، اختتم يقيناً بتقلباته، أورثه السهد والسهر، وأدى به إلى الملل. وقد اعترف الشاعر أن يكفيه من أدواء الحياة خشيته لصروفها وتغير أحوالها اللذان يجعلانه يبغض قوة الأجل وجبروته، يطلب الشاعر بكل حيلة يقدر عليها الخلاص مما هو فيه ، ولكن أنى له ذلك ؟!

ونجده في موقف آخر يتجرع الصاب والعلقم حين يخيل إليه أنه بنى صرحاً لكن القدر لم يمهلَه فهدم هذا الصرح فحطم أمله وخيب رجاءه ، يقول:

بنيت بيت الحياة أبغي	ي ظله مسكناً فسيحاً
جرى غراب القضاء نحوي	ولم يكن طائراً سنيحاً
فأرعشت كف من بناه	فلم يكن أسه صحيحاً
أعتادني الهم غير غب	فلم يمت قلبي القريحاً
كشارب السم كي يصادي	من علة سمه صريحاً
يا دهر لم لم تبح جناني	إلى سبيل النهي جنوحاً
ألحت لي بالسراب حتى	مشقت ضوءاً له لوحاً
كمن بنى بالتراب بيتاً	فانهار حتى غدا ضريحاً
كذلك صرح الحياة أمسى	رسم فلاة بها طريحاً
ودك بيت الحياة فوقني	وقمت من تحته جريحاً ^(١)

(١) ديوان الشاعر، ج٦، ص ٤٩٢.

فالأمل والرجاء كانا يداعبان خيال الشاعر في أن يحقق لنفسه مجدا وشهرة وعزا وقد سعى في حياته سعيا جادا لتحقيق ذلك، وذكر يوسف ميخائيل نعيمة أن (المتفائل يبحث عن الإيجابيات في الأشياء، على عكس المتشائم الذي يعتمد دائما إلى السلبيات... وأن الناس لا ينقسمون إلى متفائلين ومتشائمين بل إن الناس الذين يمكن أن يجمعوا في قوامهم بين التفاؤل والتشاؤم بنسب متفاوتة بحيث يكون حكمنا على الشخص بالتفاؤل والتشاؤم في ضوء الصبغة العامة التي تسود حياته وعقليته واتجاهاته في الحياة بل وعلاقاته مع غيره وعلاقته مع نفسه، وأن طبيعة التفكير للعقل تخضع لعمليتين أساسيتين هي العملية الاستشارية والعملية الكفية... وبتعبير آخر أن المخ يقوم بعمليتين الأولى الإقبال والثانية الإدبار... ونلاحظ أن الأعصاب تسيطر على العضلات إما تأمرها بالانبطاح، وإما تأمرها بالانقباض. وفي الحياة النفسية هناك الحب وهو انقباض، والكراهية وهي انقباض. وفي الحياة الاجتماعية هناك التعاون وهو انبطاح والتنافس وهو انقباض.)^(١)، ثم يعقب يوسف نعيمة بقوله في نتيجة لهذا التحليل (لعلنا لانخطئ إذا قلنا بأن الحياة العقلية الإنسانية تخضع لهذين المبدئين أيضا فالتفاؤل انبطاح والتشاؤم انقباض. ومعنى هذا أن المتشائم يأخذ بنصيب وافر من العمليات الانقباضية الرفضية لما يقدم إليه من أفكار. وبتعبير فسيولوجي نستطيع أن نزعم أن المتشائم تكون لديه العملية الكفية بالمخ أقوى من العملية الاستشارية)، وشاعرنا من الناس الذين غلبت عليهم عملية التفكير

(١) انظر عن التفاؤل والتشاؤم، ميخائيل أسعد، ص ١٤٦-١٤٧ نقلاً.

التفاؤلية في أوائل حياته ومن ثم تغلبت عليه ظاهرة التفكير الانقباضية ؛ لأن الحياة لم تعاونه و القدر لم يساعده على تحقيق ما تصبو إليه نفسه " فقد جرى غراب القضاء " فالغراب نذير شؤم ، فلونه الأسود دليل الشر- ونذير الخراب والدمار ، الذي ألم الشاعر وعذبه ، ولننظر إلى تلك الصورة التي ترتبت على الأثر السابق ، " بنى بيتا فانهار " فالتضاد بين البناء والانهيار يظهر اختلاف وسائل وتباين مناهج ، فبينا يحاول الشاعر أن يشيد بناء يسعد به وتقره عينه فإذا بالدهر يحطم ما بنا ، فيتحطم الإحساس كتحطم البناء وتهدم المشاعر كتهدم الجدران والبناء ، ومن خلال التحليل السابق يمكن القول أن شكري قد عاش حياة خالط الأمل فيها اليأس ، ولعب الحظ فيها دوراً صغيراً في إشباع نهمه وطموحه الدائم ولذلك تحطمت آماله العظام ، فرأى من الخير الإدبار عن هذه الحياة والعزوف عنها ففي ذلك راحة البال وهدوء الحال يقول شكري :

فيا قلب كن في الصدر كالميت	كفى من مرير العيش يا قلب مضى-
لعلك إن نهضت يا قلب رغبة	وعفت طمّاح العيش يدركك الردى
فيا ليت أن المرء إما دعا الردى	أتاه فلا نحس يروع ولا أسى ^(١)

فأن يطلب الشاعر من قلبه " فيا قلب " بالإنشاء للتمني أن يكون في الصدر " كالميت " فيتوقف عن العمل وتنتهي حياة صاحبه فهو قمة اليأس التي يحيا ، ومن الناس الذين يعاشر ويختلط بهم .

(١) ديون الشاعر، ج ٥، ص ٤٠٦.

٣ - حبه للموت وكرهه للحياة مظهر تشاؤمي آخر.

إلا أن شعر الموت كما تناوله شكري كان في معظم الأحيان نابضاً بحب الحياة، ذلك ما ذهب إليه د/ يسري سلامة، إذ وجد بعد تحليل قصائده في الموت (أن شكري يقابل دائماً بين حس المرأة والموت، وبين الحياة والموت، وبين كفاح الناس والصراع اليومي من أجل السبق والظفر، وبين الموت وبين أحلامه وأمانيه وبين الموت الذي يتربص به لمنعه، وبين الموت وجلاله، وبين نبض الحياة في جماها ومظاهرها، وبين سكوت الموت وصمته المخيف... وهو بعد ذلك يتمنى الموت ليستريح، لكنه حيث يثب إلى ما بعد الموت من وحشة مظلمة وانفراد متحيراً بين حب الحياة وطلب الموت ثم يغلب عليه حب الحياة)^(١) يقول يقول في قصيدة بين الحياة والموت:

أعالج صرف الدهر في غير مطمع	وأفعل ما تملي علي المقادر
ولكنني أرجو من الموت راحة	ويفزعني وقع له وخواطر
وما العيش إلا الذئب تدمي نيوبه	وللعيش ناب قاتل وأظافر
ولكنه كالخمر تحلو لشارب	وإن سلبت منه النهى والسرائر
فها أنا بين العيش والموت واقف	فهل مخبر يدري متى أنا سائر؟
لعل الذي أرجو من الدهر واقع	فقد كان ما قد كنت دهرًا أحاذر
فلا تعذلاني بارك الله فيكما	فإني بهذا العيش راض وصابر ^(٢)

(١) شاعر الوجدان - يسري سلامة، ص ١٢٩

(٢) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢١٤.



وفي هذه القصيدة مقابلة بين الحياة والموت وهي تحمل مضامين تشاؤمية كما أوضح ذلك د/ يسري سلامة في تحليله لتلك القصيدة^(١) التي عبرت عن نظرة شكري التشاؤمية للحياة وتفضيل الموت عليها، ومن ثم تمسكه بأهداب الحياة وما فيها من لذائد ومحاسن، وما فيها من أشواك قد تدمينا لكن البشر يواصلون السير رغم الأشواك، وهو بذلك يقابل بين كفاح البشر، والصراع اليومي من أجل البقاء والسبق في كل الميادين.

وشكري دائم التساؤل عن حقيقة الموت والحياة، وهو في القصيدة التالية يخص الحياة بتساؤل غريب إذ أنها لغز يصعب حله، وفهم عناصره حتى بعد أن يموت الإنسان يظل يتساءل عنها وهو دفين في قبره يقول:

خبريني نفائس اللحد أم	كل رميم في لحده صميت
هل لحي من ميت هاتف	يوضح أمر الحياة وهو مقيت
هل عدته الحياة أم ليس يدري	تلك حلم وما الحلم بثبوت
رب ميت يسأل الحي عنها	وهو في اللحد جائر مكبوت ^(٢)

يتخيل الشاعر أن الميت قد يهاتف الحي لأنه قضى نحبه دون أن يفهم لغز تلك الحياة، وتساؤله الدائم الذي يوصله إلى ذلك التخيل ينم عن رغبته الدائمة في الكشف عن سر الحياة، الذي يكمل بالموت إلى أن وصل (إلى حقيقة أن جمال

(١) شاعر الوجدان - يسري سلامة، ص ١٢٦ بتصرف .

(٢) ديون الشاعر، ج ٦، ص ٤٩٠ .

الحياة تغير والموت تغير، فالموت جمال وكل شيء في الطبيعة وفي الحياة يتغير لينتج في النهاية شيئاً آخر جديداً وجميلاً، ولو لم يكن تغير لم تكن جدة، ولم يكن جمال بل لم تكن حياة، فالثبوت على حالة واحدة معناه وقوف الكون عن الحركة، معناه الموت والفناء ولو كان الجمال خالداً لملته النفوس^(١). يقول:

كم أسينا على زوار بهاء	كان نساءً وطاب للنفس أهلاً
ووددناه خالداً ليس يفنى	فنرى الزهر في الحقائق حولاً
ونرى عارم الشباب جديداً	بداً صادراً إذ الشيخ غلاً
وترى كل مانود ونهوى	خالداً لا يزول رسماً وشكلاً
فأسينا إذ الفناء طريق	الحسن والعيش يتبع اليوم ليلاً
لذة العيش في القلب في العيش	نيل الجديد حلواً أمحلى
أبداً ييسط الزمان ويطوى	لمحاً لا تدم إلا لتسلى
وإذا بالفناء فحين ينادي	لو يدوم الجمال هان وقلاً
بهجة العيش في زوال بهاء	لأ النفس طرفة ثم ولى
وقفة الكون ميتة وفناء	لا حياة فيه ولا حسن يقلى
فرضينا وما رضينا ولـ	كنا عرفنا الأمور فهماً وعقلاً ^(٢)

وليس تشاؤمه الذي يدفعه هنا إلى الكشف عن جمال التغير في الحياة بل فكره الفلسفي الذي يفسح له المجال، ويوضح الرؤية فيرى الجمال في الموت والتغير وعدم الثبات .

(١) عن عبد الرحمن شكري، أحمد تراب، ص ٢١٣ نقلاً .

(٢) ديوان الشاعر، ج ٧، ص ٥٤٢ .

ومن الأبيات التي تدلل على هتاف شكري للحياة وحسرتة على فقدتها قوله:

ليست حياة المرء إلا كنفحة سل الموت عنها والسنين السوافيا
وما بي خوف الموت بل من حسرة لفقد حياة فيه لم أدر ما هيا
هو الحي عبد الموت يسعى لطعمه فيغذي دماه والمنى والمساعيا^(١)

فالشاعر يتحسر لأن الموت سوف يخطف منه الحياة وهو لم يعرف بعد سرها
ولم يرتو من جمالها فيكون طعماً للموت والهلاك، وهو سيغرم فوق ذلك دماؤه
وآماله ومساعيه. وهو يتلذذ بعذابات الحياة ومتاعبها، ويقارن دائماً في حيرة بين
طعم الحياة ولذة نضالها، وبين الموت براحتة وسكونه رغم فزعه منه يقول:

أقطع قلبي بالبكاء والأسى وحب الردى داء دخيل مخامر
أعالج صرف الدهر في غير مطمع وأفعل ما تملي علي المقادر
ولكنني أرجو من الموت راحة ويفزعني وقع له وخواطر^(٢)

فترى قلب الشاعر يقطع بكاءً وحزناً، مما جعله يحب الفناء والهلاك
ليتخلص من هذا الأسى، فهو لا يطمع إلا في معالجة صروف الحياة ومقاومتها
وإن كان يرجو في الموت راحة من عذاب الحياة وآلامها، ورغم رجائه في الموت
إلا أن الرهبة والفزع يملآن خواطره وأفكاره إذ يقول:

لعل الذي أرجو من الدهر واقع فقد كان ما قد كنت دهرأً أحاذر
فلا تعذلاني بارك الله فيكما فإني بهذا العيش راض وصابر^(١)

(١) ديوان الشاعر، ج ٧، ص ٥٤٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢١٣.

أيعاني ظروف الحياة وأقدارها، أم يجد سلوته وراحته في الموت الذي يخشى عواقبه، ، لعل رجاؤه في الحياة هو الأفضل، فهو راض بالعيش صابر رغم مأساويته، وهذه صورة تظهر تفضيل الحياة على الموت لديه. وفي قصيدة أخرى بعنوان "الموت" نجده يمجّد الموت ويحلّ من شأنه ويرسم له صورة ملونة بألوان زاهية مضيئة لكن بالرغم من هذا فإن حبه للحياة يغلبه ويظهر بوضوح في أبيات يقول فيها:

خليلي خطالي من الأرض حفرة	أريح بها قلب من الناس سالياً
ولا تسمعاني الطير تشدو بنغمة	فأسى على العيش الذي كنت قالياً
ولا تمهد للغيد فوق موطأ	فأحنو لحسن لم أزل منه صادياً
وهيهات لا يسلو عن العيش	من العيش حتى يصبح العيش ماضياً
فياليت أن العيش يخلف ميتة	داركاً كما يطوي النهار الليالياً ^(٢)

فتنوع أسلوب الشاعر بين الإنشائي في البيت الأول والجزء الثاني من البيت الثاني يعني به أن يحدث اختلاف النظرة من الإنسان لحاله وواقعه، والحكم عليه، فإذا كانت أفعالي وأقوالي مختلفة بين الرجاء واليأس، فيجب أن يكون الحكم عليه متنوعاً ومناسباً لكل حالة بعد فهم نفسية الشاعر ومراده من وراء تصرفاته.

فالشاعر يطلب من خليله أن يحفر له قبراً لأنه قد استغنى عن الناس، لكنه

=

(١) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢١٣.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٧، ص ٥٤٥.



يرجو بعد الموت أن تتعطل نوااميس الحياة، وتتوقف عن الدوران فلا يسمح
للطير بالغناء فلا يسمع ترانيمها يحن بها إلى الحياة التي هجرها، وأن لا يسمح
للحسان الغيد أن يطان قبره فهو ما زال منجذباً لحسنهن وجمالهن^(١).

كذا هو يعبر عن دوام حبه للحياة، وقد ذاق حبها وعشق جمالها، وهو يتمنى
أن تكون الحياة خلفاً للموت كما يخلف النهار الليل حتى يلتذ بطعم العيش ولا
يسلاه أبداً.

ويرى د/ أحمد غراب (أن شعر شكري قد مر بمرحلتين في أثناء حديثه عن
الموت في شعره.

المرحلة الأولى: مرحلة الفزع من الموت، وتصور مظاهره وآثاره على الموتى،
وهذه ظاهرة ضمها ديوانه الثاني والثالث، ثم انتقل شكري إلى المرحلة الثانية:
وهي مرحلة ما قبل الموت فهو سبيل الخلاص من شقاء الحياة،، فيتمنى الموت
في هذه المرحلة ولكن بدون فزع، وهذه المرحلة تظهر في ديوانه الرابع وما
بعده^(٢). ويرى د/ أحمد غراب أن استشعار شكري للموت بهذه الصورة ليس
يعني غرابة أو شذوذاً في موقف شكري بل يرجع إلى تأثيره بأوضاع البلاد،
وحالة الأمة، وإلى تفكيره الفلسفي التأمل في الحياة^(٣).

(١)، شاعر الوجدان، ص ١٢٦. بتصرف

(٢) عبد الرحمن شكري، أحمد غراب، ص ٢٠٧ بتصرف.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٢١٥.

وقد فزع شكري من الموت، ثم رحب به لكنه في الحقيقة هتف للحياة، هنا يعود الإنسان إلى طبيعته التي فطره الله عليها، إنها حب الحياة، فبالرغم من تشاؤم شكري وتفضيل الموت على الحياة، فحين ينقشع عن عينيه وبصيرته وعن قلبه ما يعاني ولو للحظات، يعود إليه صفاء نفسه ويظهر حب الحياة والتمتع بالجمال "ولا تسمعاني الطير تشدو" و"ولا للغيد فوقي موطأ" فمن شدة اليأس أن لو تذكر مباهج الحياة لعاد إلى التعلق بها، فينالها منها ما ناله من قبل، فيرجع ثانية إلى حالة الإحباط واليأس والتشاؤم.

و من وجهة نظر شكري: (أن في الناس من يهاب الحياة أكثر من هيئته الموت وفيهم من يهاب الموت أكثر من هيئته الحياة)^(١). ومن العدل عند شكري أن تهاب الحياة وتعمل لها بقدر مواز لهيئتك من الموت والعمل لما بعده)^(٢).

يقول شكري:

قد اختلف الأقوام في العيش والردى	فمن ظافر يهوى الحياة وخاسر
هنيئاً لكل ما يرى من علالة	بحسن حياة أو بنجو المقابر
وما عللت نفس الفتى بمؤ	ستطوى هموم العيش طي الدساكر*
سوى رغبة في العيش يرهب صرفه	فيعدو على البؤسى بذكرى الغواير ^(٣)

(١) انظر الصحائف / عبد الرحمن شكري، ص ٢٣٢.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) ديوان الشاعر، ج ٨، ص ٦٥٧. *الدساكر: جمع دسكرة وهي هنا بمعنى بيوت اللهو، وتأتي بمعنى بمعنى القرى الصغيرة.



وقد علقت نازك ملائكة على بعض شعراء الموت، وحللت علاقة كل منهم بالموت فرأت (أن الشاعر الغربي.. كيتس " كان من المفتونين بالموت، والذي قال في أحد قصائده: "الشعر والمجد والجمال أشياء عميقة حقاً، لكن الموت أعمق الموت مكافأة الحياة الكبرى)^(١). فالحياة جميلة ولكنها تستحق أن يكافأ عليها الإنسان بالموت. ثم تأتي على ذكر أبي القاسم الشابي. فتقول: تجربة الموت لديه تجربة حيوية لها من الحنقة المبهمة، والغموض المفرد، وذكرت قصيدة له قال فيها:

فلمن كنت تنشدين ؟ قالت:

للضياء البنفسجي الحزين

لشباب السكران. للأمر المعبود

لليأس للأسى المنون

وجاءت نازك الملائكة على ذكر شاعر ثالث هو محمد الهمشري ، الذي كان إحساسه بالموت أكثر تميزاً من الشابي فهو وَلَّاهُ بالغناء للموت لدرجة أنه نظم فيه ملحمة كاملة بعنوان: شاطئ الأعراف، والقصيدة تكاد تكون أغنية موجهة إلى الموت لا أثر فيها للحسرة ولا للذكرى وكأن الشاعر يلتذ بالموت)^(٢)، ثم يأتي د/ يسري سلامة على ذكر أولئك الشعراء ومقارنة مواقفهم تجاه الموت، وموقف

(١) قضايا الشعر العربي ، نازك الملائكة، ص ٣٠٦، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٧، ١٩٨٣ م.

(٢) قضايا الشعر المعاصر، ص ٣٠٨.

عبد الرحمن شكري فيعلق قائلاً: (تجولنا مع عبد الرحمن شكري الذي قال كثيراً عن الموت، وأدركنا بين ثنايا أنغامه نغماً يهتف للحياة رغم إيذائها وشرورها، وبهذا اختلفت نظرتي عن جون كيتس وأبي القاسم الشابي والهمشري وغيرهم من الشعراء الذين عقدوا صداقة متينة بينهم وبين العالم الآخر بهدوءه وروعة سكينته)^(١)، ويمكن كشف حقيقة ملموسة من خلال هذه المقارنات أن هناك من الشعراء من أحب الموت وفضله على الحياة من غير تعلق بملذات الحياة وحلاوتها، وهناك مثل شكري من أحب الحياة وعانى من آلامها إلى أن تكالبت عليه صروفها وأحزانها فدفعت قسوتها إلى تفضيل الموت والتغني به لكنه بالرغم من ذلك ما زالت نفسه معلقة تهتف حباً للحياة رغم مرارها وعذابها.

يقول حتام أرجو الموت لا استطيعه وأفرق منه أن يلّم بمضجعي^(٢)

٤ - مشاعر الوجدان مظهر تشاؤمي.

اقتران الموت بالحب والجمال، مظهر آخر للتشاؤم في شعر عبد الرحمن شكري، يعلق على ذلك د/ فرهود بقوله: (أن شكري إذا استوحش من دلال محبوبته أو ضلالها رأى الموت أروح له مما يلقي من عناء)^(٣).

وقد استن شكري هذه الطريقة للخلاص من عذاب الحب، كما استنها للخلاص من شرور الحياة، ولديه طريقة مؤلمة للنفس في توضيح عزمات

(١) نقلاً من شاعر الوجدان، يسري سلامة، ص ١٣٢.

(٢) ديوان الشاعر، ح ٣، ص ٢٢١.

(٣) لحق ديوان شكري د/ محمد السعدي فرهود، ص ١٦.



الموت، وما قد يحدث للحبيب إن هو طغى وتكبر وزاد في الجفاء، فالموت قادر

على تحويل حسنه إلى قبح يقول:

اسمير الموتى أين لي حبيب ^١	كان في مقلتي بدرأً تماماً
غبتني فيه المنون ولو شا	ت لسامت به الأنام مساماً
أنت في الموت والحياة تقودين	وإذاً متيماً مستهماً
عانقيني فعائق الداء جسمي	وكان الخيال صار رماماً
ورأيت العظام تعرى من اللحم	وقد فاق البهاء عظاماً
أبعدي عن مشمي النفس المر	فقد ما شملت منه البشاما
بينما أنت كالضياء بهاء	إذا تعودين رمة تتحامى ^(١)

فترى قدرة شكري العجيبة في تصوير الحبيب، وتحول جماله إلى قبح منفر، من عظام تتعري من اللحم، وهذا النفس الخبيث الذي يصدر منها بعد أن كان حلو عذب المذاق هذه القدرة العجيبة تصيبنا بالدهشة التعجب كيف لشاعر مرهف أن يصور الحبيب بهذه الصور المنفرة، إلا أن يكون متأثراً لحظتها بخيال داكن الصورة سوداوي الفكرة يميل إلى تخويف الحبيب بقسوة؛ حتى لا يستمر الحبيب في جفائه ويرجع عن قسوته، فليغتنم الفرصة، وليصل حبيبه قبل أن يصير رمة بالميق قد كان من قبل ضياءً وبهاءً وجمالاً.

ومن زاوية أخرى يتخذ شكري الموت وسيلة يتذرع بها لدى محبوبته فلعل ذكر الموت يرقق قلب محبوبته فيعطف عليه، فيذكره يقول:

سترى الناس حول قبري ييكون هالكاً

(١) ديون الشاعر، ج ٢، ص ١١٦.

وغدا يسـتريح من ضـننته في خيالـكـا
كل شيء سوى الهوى لا تدعـه بـالكـا
واذكر العاشق الذي مات صبراً بذلكا^(١)

ويتمني الموت ليس هرباً من الحياة، بل ليستدر عطف الحبيب بعد الموت، فالشاعر يتنقل بمحبوبته إلى عالم آخر، إنه يصطحبها في رحلة ما بعد الموت، لعلها ترق وتعطف عليه قبل أن يقضي نحبـه ، ثم يأتي الأسلوب الإنشائي "واذكر العاشق الذي مات صبراً بذلكا" تقرير لها بأنها هي التي ستودي بحياته إذا لم تصله، وسوف يكون مصيره ما رسم لها من صورة ما يحدث له. ولكن لما يأس الشاعر من وصل محبوبته بالرغم من تذكيرها بأنها سوف تودي بحياته، راح يدعو عليها أن تنال ما ناله من عنت وألم ومتاعب، تجاه الحبيب، فقد انتزعت قسوة الحبيب كل رأفة من صدره، وقد يدعو على الحبيب بالعمى والهموم والسهاد، حتى يذوق ما ذاق الشاعر من ألم الوجد، يقول:

رمى الله في عينيك بالسهد والعمى
وعلمك السهد الطويل على الأسى
وعلمك الأحزان والبث والجوى
وأودعك الليل البهيم همومه
وأتلف طول الهم عينيك بالبكا
وخلف فيك اليأس كالسم في الحشا
لـقـاك من دنياك صاباً وعلقماً
إذا حل هم في الفؤاد مخيماً
وما نكب المغرور إلا ليعلم
وأصبحت حران الفؤاد متيماً
إذا ما مضى دمع بكيت له دما
تعالج داء من جواه مكلماً

أنسى بكائي والعيون هواجع أراقب ليلاً غائر النجم مظلماً
وجودت فيك الشعر والشعر ساحر هل تسحر الأشعار غراً وأعجباً
فما ازدت إلا قسوة وتباعداً ما ازددت إلا غلظة وتجهماً
فعلمت قلبي كيف يقسو وأنه ليحزن أن تلقى هواناً وتألماً^(١)

لكن العاطفة نفسها وتجعله متيقناً أنه من سيعاني إن أصاب الحبيب أي
مكروه فهل يجني على نفسه بأكثر مما جنت هي عليه؟ يصبر على إيذائها البدني
والنفسي الذي ينتج عن الصد والهجر، ولكن لا يصبر على أن تتعرض هي
للإيذاء والضرر، فسوف يزيده ذلك هموماً وآلاماً فيقول:

جنيت على نفسي- فليس بنافعي إذا حال خطب أن تصاب وأندما
فيدعو على نفسه أن يؤخذ منه اللسان أو أن ييكم قبل قوله ذلك كله، وإذا
بحثت في ديوان الشاعر، فستجد هذا الأمر يتكرر بالنسبة للقصاصد التي بين
هذين النقيضين، الدعاء على المحبوبة، ثم الاعتذار عن ذلك لأنه يسبب ألماً
شديداً لها، ولقد أكد تلك الرؤيا مدى حرصه على سلامة محبوبته إذ يقول:

وليت لساني سل مني ولم أقل رمى الله في عينيك بالسهر والعمى^(٢)
وتستطيع أن تلحظ رؤيا تشاؤمية في طريقة دعائه على الحبيب، وتلك
الأمنيات السوداوية في الأسلوب.

حيث الجانب السلبي من فكر الشاعر وعاطفته المصابة، ثم يناهض ذلك

(١) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢٨٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢٨٢.

تلك الرؤيا التفاضلية التي تعود لتنضم إلى جانب الخير والحب والفداء، وقد يتكرر الأمر بالنسبة لقصائد تجمع بين الضدين الرؤيا التشاؤمية والرؤيا التفاؤلية مع اختلاف الموضوع لكل منها، مثل:

الحسن مرآة الطبيعة، ج ٣، ص ٢١٦، الخوف والفرح، ج ٣، ص ٢٢١، شاعر
يحتضر، ج ٣، ص ٢٣٤، بعد الحسن، ج ٣، ص ٢٦٨، لا مرحباً بالأقدار مرحباً
بالأقدار، ح ٦، ص ٤٥٧، الموت، ج ٧، ص ٥٤٢، خطرات في الحياة والموت،
ج ٨، ص ٦٥٦، بين الحياة والموت، ج ٨، ص ٢١٤، شكوى زمان، ج ١، ص ٣٢،
ثورة نفس، ج ٢، ص ١٦٩.

وهذا ما أطلق عليه د/ السعدي فرهود (بالتعادلية في شعر شكري بين
التفاؤل والتشاؤم كما يسمح بالقول باتزان الرؤيا الشعرية فهو لم يكن يتفائل إلا
بقدر ما يتشاءم ولم يكن يتشاءم إلا بقدر ما يتفائل فالرؤية عنده متزنة وإن كان
للتشاؤم أميل)^(١) فتراه في شعره ييئس الموت مشاعر الود والحب مثل مشاعر المرء
المرء الذي يفقد أمه أو كما يستقبل الصاحب الحميم صاحبه في قصيدة يقول فيها
:

فيا موت يا أما أطالت تصاميماً	أمالك قلب يرام الولد حانياً؟
فيا موت أقبل باسط الوجه طلقه	فإن حميم الصحب ما كنت لاقياً
أتجمع بين الصحب أم أنت فرقة	تقول لها الأباد أن لا تلاقيا
وكل لهيف يبتغي فيك نجوة	وكل لديغ يبتغي منك راقياً

(٢) نقلاً عن لحق ديوان عبد الرحمن شكري، ومحمد السعدي فرهود، ص ٢١.

لينقع ثغر منك صديان ظامياً
فإنك رحمن، إن كنت قاسياً
محاهاً من الأحيان ما كان من ماحياً
حالت صروف العيش إلغا معادياً
ودهرك مثل الخلد أروع نامياً
أليست فضول العيش خلفاً دوالياً
بصول لنيل الرزق باللؤم شاكياً
إن لم يرع بالحلم من كان كاريأ^(١)
سل القبر عنه والعظام البواليا
كما في أساه يرتجي منه آتيا
نلاءً فيرجو لو رأى الموت بادياً
فيكره من سوء العقيب اللياليا
يخالان أن لم يبق في العيش باقياً
تطير بروح منها كان هافياً

أحبك حب الصب وجه عشيقه
وأنت شبيه الله في خير نعته
وأين دموع النحس من عهد آدم
وكم حرس الموت الودائع بعدما
وللخفض أيام وللنحس مثلها
رزقنا فلم لا يرزق الدود بعدنا
كفى شرفاً بالموت أن كان عائش
حمدنا مهود النوم أن شابه الردى
فكيف نعاف النوم لا نوم مثله؟
ألم تر أن المرء في عظم سعه
سواحر لذات يرى العيش بعدها
يخاف عليها من عقيب يمرها
كما ائتلف الإلفان في صفو طرفه
نود لو أن الموت نسمة عاطر

فلاحظ أن الشاعر يحل الموت ويعظمه، ثم يتأمل له بل ويجد له فوائد عظيمة
وسبل للخلاص لديه متنوعة، ويجد له حكمة تغلب ملذات العيش وتخلص من
متاعبه.

هذا التحليل لحكمة الموت، واستنباطها يصدر عن خبير في أمور الحياة
عرفها وخاض صعابها، وربما يكون هذا الشاعر متشائم في إعلاء كلمته عن

(١) ديوان الشاعر، ج ٧، ص ٥٤٢،

الموت ، وتفضيله عن الحياة في هذه القصيدة ، لكنه بالتأكيد قد أبان عن رغبته في الحياة ولم يستطع إخفاءها في أواخر أبيات هذه القصيدة إذ قال:

فياليت أن العيش يخلف ميتة دراكاً كما يطوي النهار الليالي

متمنياً أن تتوارث الحياة الموت كما يتوارث النهار الليل .

ويذكر د/ يسري سلامة (أن هذه السوداوية التي وجدت في شعر الموت وتكررت في شعر الحب تكشف النقاب عن شخصية شكري وهو غلبة التفكير العقلي عليه حتى وهو يحب... فهو رغم تأجج عاطفته في تجاربه إلا أنه يسترسل مع التجربة بعقله بتصور الفيلسوف، وحكمة العالم فهو يجمع بين النقيضين، العاطفة الشاكية المتمردة المتشائمة، والعقل الواعي الفاهم الذي يحلل، ويناقش ويفند ويذهب بحرارة العاطفة أحياناً)^(١). والحب الصادق شيء مجيد في عرف الشاعر الرومانسي فقد أحب شكري الحياة، وأحب الموت وأحب الجمال والطبيعة وشارك كل منهم مشاعره بل وعبر عن كل ذلك بصور نضرة، وصور سوداوية.

٥ - عندما تكون الطبيعة مظهراً تشاؤمي.

ومن القصائد التشاؤمية التي ألبس الشاعر فيها الطبيعة وشاح الحزن والشؤم القصائد التالية:

(١) انظر شاعر الوجدان، يسري سلامة، ص ١٤٥ .



قصائد ضوء القمر على القبور، ج ٢، ص ١٤٥. اللجنة الخراب، ج ٢، ص ٢٠٠،
بين الحياة والموت، ج ٣، ص ٢١٣، الشعر والطبيعة، ج ٣، ص ٢٢٦، الأزاهير
السود، ج ٣، ص ٢٢٧، الحب والطبيعة، ج ٤، / ص ٣٤٢، الآمال الزاوية، ج ٥،
ص ٤١٣، قبر في القلب، ج ٥، ص ٤٢٣.

فالتبيعة في نظر الرومانسيين صادقة التعبير في صمتها وفي غضبها، وجمالها
آخاذ في سكونها وحركتها، فسكون الليل عندما يشتد الظلام تسمع أنفاسه
ويفيض جلاله، ويعلي الشاعر رايات الموت خفاقة يقول الشاعر مصوراً هذا
الإحساس القاتم بجلال الليل :

ملأت الكون من نفس عميق	فاسمع كل ذي قلب مفيق
وأجريت الجلال على سكون	يفيض على ظلامك كالأنين
وأخرست الحياة وراغيها	وريح الموت تحفق منك فيها ^(١)

فالجلال والسكون يشبهان الأنين الصادر عن قلب ملتاع أصابه الألم
والوجع وثم جاءت الاستعارة تكشف عن رؤية سوداء لإطلالة الليل وقدومه
،"فأخرست الحياة" فلم يعد يستطيع أحد النطق من هول ما يرى وشدة ما
يجد، وسر احتباس النفس العميق ذلك الجلال الذي
يخيم على أنحاء الكون ، فالليل يشبه الموت الذي يخرس الحياة إذ أن الحياة تسكن
في الليل فترى الناس هامدة مقيدة الحركة ساكنة النفس ، وهو إذ يصف الليل

(١) ديوان الشاعر، ج ٢، ص ١١٨.

بذلك، ثم ينتقل إلى وصف ضوء القمر وهو يرافق سكون الليل حين يرى السامة على الهلال تحجب جماله، بل وتجعله مثيراً للخوف في النفس والفرع يقول:

إني رأيت بياض ضوءك موهناً فوق القبور كعارض يتهلل
ففرغت من ذاك البياض كأنه لون المشيب على الذوائب ينقل^(١)

الصورة قائمة داكنة فعادة ما يتغزل الشعراء بمحوباتهم فيشبهون جماهن بضوء القمر فوق الرياض، أو على شواطئ البحار، أو فوق قمم الجبال، لكن شكري يصور ضوء القمر بطريقة مختلفة فيراه ضعيف الضوء واهنه كأنها تحجبه السحب وتصيبه شدة الظلام بالتجهم، ويرجع الشاعر ذلك الإحساس بضوء القمر إلى سقوطه على قبور الموتى، وذلك المنظر يفزع الإنسان كما يفزع من رؤية الشيب ينبت على ذوائبه. ثم يزيد ذلك المنظر روعاً وفزعاً أن يرى ساكني القبور وكأنهم أشباح ماثلة تناظره يقول^(٢):

لقد رأيتك والقبور كأنها أشباح ساكنة النواظر مثل
نظر البرئ إلى القتل مجندلاً والروع في أنفاسه يتعجل
ولقد رأيت على الهلال سامة سأم يعالج مثله المتأمل

فقد رأى السامة على الهلال يرتديها كما تصيب المتأمل في هذه الدنيا الملل والسامة من الواقع التي هي عليه، ثم يشبه القتامة والسامة تصيبان الهلال وكأنه وجه

(١) ديوان الشاعر، ج ٢، ص ١٤٦.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٢، ص ١٤٦.

الحسناء التي يطرق بابها الموت يقول:

فكأنه الحسناء يطرقها الردى	فتبيت تزوي في الفراش وتذبل
طوراً يريك الموت في لحظاته	حتى كأن الحسن داءٌ معضل
ويبيت طوراً في الرياض يعلها	مما يريق على الفضاء وينهل

فضوء القمر في الصورة السابقة يمثل الموت للشاعر إذ ينقلب الحسن إلى داء شديد العضال ينتهي بالهلاك، وتلك السوداوية لم تمنع الشاعر من وصف هذا الضوء حين يسقط على الرياض ويسقيها من ضوئه واشراقته فتتهلل له الحدائق، وتزداد جمالاً وسحراً. فحين تكون الروح مشرقة ترى النور من خلال الظلام، وحين تكون يائسة متشائمة ترى الظلمة تعم الكون وشكري يرى ظلمة الحياة ويفزع لها إذا تأثر بمحيطها، ولكنه مع ذلك لا ينسى جمالها. خيال شكري الخصب وإحساسه الشديد، وتأمله في رموز الطبيعة جعله يعبر عنها بتلك الصور المختلفة فتارة يرى في سقوط ضوء القمر على القبور سامة وهلاك وفزع، وتارة ينظر إلى القبور بطريقة واعظة فالقبور منتهى الحياة ومن رقد بها لن يعود لهذه الحياة مرة أخرى يقول مشبهاً النفوس الميتة التي لا تفقه شعره ومعانيه:

ماذا يفيد الشعر والقلب ميت	وهل للنفوس الهامدات نشوراً؟
إذا كان يحى الشعر نفساً مريضة	فهيها تحي النفوس وهي قبوراً ^(١)

فلن ينفع الشعر القلب الميت الذي لا يعرف معنى، ولا يتذوق طعماً

(١) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢٢٦.

واستحالة ذلك الأمر مثل استحالة أن تحيا النفس المريضة فهي مقبورة لا أمل في نشورها، وتارة أخرى يشبه القلب بالقبر فعقله متأمل وخياله يجدد له الصور ويحكم تشبيه الأمور والتقاط وجه الشبه بين المشبه والمشبه به فيشير في النفس التعجب والإعجاب لماذا يشبه القلب بالقبر؟ يقول:

جعلت أبحث في الفؤاد كأنني	في الأرض أنكث جاهداً لا أفتر
حتى رأيت هناك قبراً غائراً	للحب قدما كان غدرك يحفر
قبر دفنت به الصبابة والمنى	ولذيد عيش حتى قيل لا يتذكر
يا قبر هذا الشعر فوقك حلية	والزهر في قبر الأجنة ينثر ^(١)

فقد يؤس الشاعر من المحب ، فلقد أحب حتى منتهى الحب ، ولقد عشق حتى منتهى العشق، فماذا كان جزاؤه؟ إن النكران لربه والجحود لعواطفه ومشاعره، ومن ثم دفن تلك المشاعر والعواطف في أعماق القلب ، ومن ثم إذا أراد -بدافع الفضول- أن يرى بقاء أي أثر في قلبه راح "يبحث في الفؤاد جاهدا لا يفتر" كناية عن دفن حبه في أعماق قلبه، حتى يكون بعيدا لا يحرك الشوق بداخله ولا الأمل في نفسه.

أما عندما يتخذ الشاعر من الزهر رمزاً للتشاؤم عندها تطالعنا سوداوية عجيبة، فشكر يشبه لذات الحياة التي تجلب لصاحبها البؤس والشقاء بالأزاهير السود، ولكن كيف والزهر ينظر إليه على أنه مصدرا من مصادر الجمال والحسن

(١) ديوان الشاعر، ج ٥، ص ٤٢٤.

الذين يبعثان التفاؤل والفرح، لكنه حين يكون رداء تلتحف به مشاعر الأسي والألم فقد تبدل عن سمته وتغير عن طبيعته يقول:

قد جنينا من أزاهير الردى	زهرة اليأس وأزهار الأسي
زهرة سوداء لا تعدلها	زهرة حمراء من زهر الهوى
كيف تهوى زهرة أوراقها	من دموع الصب تندي والدماء
تشعل الوجد ولوعات الغليل	وهي مثل الجرح في صدر القليل
ودماء القلب تجري بمسيل	دمه ري جذور وأصول
قد جنين من أزاهير الشقاء	زهرة سوداء من زهر القضاء
تبول النفس سواد من ضياء	ليس تنمو في رجاء أو رخاء ^(١)

وعلاوة على ذلكم فهذه الأزهار تنفخ سماً لا أريجاً وبلاء لا راحة وهي تتغذى بدموع وزفرات الألم والبكاء كل تلك الملهذات تجلب لصاحبها ذلك الألم والشقاء فهي في مظهرها كالزهر العطر ولكن مخبرها شقي تعيس يقول:

زهرة سوداء من زهر الضجر	وهي من نبت هموم وكدر
فهي الليل سهاد وسهر	وهي في الصبح الشقاء المنتظر
ليس لي فيها مفراً ونجاء	فهي حولي في صباح أو مساء ^(٢)

فتلك اللذات أصبحت هموم وكدر تجلب السهاد والسهر ليلاً، والشقاء نهراً لا ملجأ ولا منها فهي تطوق المرء صباح ومساء.

(ويعترف شكري في رسالة أرسلها إلى د/ محمد رجب بيومي أن هذه

(١) ديوان الشاعر، ج٣، ص ٢٨٨

(٢) ديوان الشاعر، ج٣، ص ٢٨٨

القصيدة من أحسن شعره في التشاؤم)^(١) وتقابل هذه السوداوية في قصائد شكري صور متفائلة تصف الطبيعة التي أحبها وتأثر بها أمثال: الحسن مرآة الطبيعة، ج ٢، ص ٢١٦، الربيع والصبح، ج ٣، ص ٢٥٨، سحر الربيع، ج ٣، ص ٢١٧، عصفور في الجنة، ج ٣، ص ٢٦٦، وحتى نفسر هذه القضية (فهناك ما يسمى بالتبلور الوجداني وهو قدرة الشخص على التفاعل إيجابياً، أو سلبياً مع الموضوعات الخارجية المؤثرة فيه فيتفاعل وجدانه إيجاباً بمعنى أن يكون متفائلاً بينما هو في نفس الوقت يعمد إلى اكتساب عادة بلورة وجدانه سلبياً بإزاء بعض الموضوعات فيكون متشائماً، و بمعنى آخر أن التفاؤل والتشاؤم متداخلان أشد التداخل)^(٢)، بمعنى أن الإنسان قد يجمع بين التفاؤل والتشاؤم، فيصبح متفائلاً إذا كانت ردة فعله إيجابية تجاه الظروف الجيدة، فيظل يسعى في هذه الحياة بروح المجاهد الطامح ويكون متشائماً إذا تفاعل سلباً تجاه الظروف السيئة، فيحجم عن طلب الطموح.

(ورغم هذا التداخل يمكن الحكم على شخص ما بأنه متفائل وعلى شخص آخر بأنه متشائم ذلك في ضوء الصبغة العامة لحياته من جهة وفي ضوء البادي من سلوكه الاجتماعي من جهة أخرى)^(٣). وذلك يعني أن تصرف الإنسان

(١) رسالة دكتوراه بعنوان شعر عبد الرحمن شكري، دراسة تحليلية، محمد السعدي فرهود، ص ٢٤٤، جامعة الأزهر، ١٩٦٧ م.

(٢) التفاؤل والتشاؤم، يوسف ميخائيل أسعد، ص ١٥-١٦ بتصرف .

(٣) من المرجع السابق، ص ١٦ نقلاً .

الشخصي وأسلوبه في التعامل وسلوكه الاجتماعي تجاه من حوله يجعلنا نستطيع الحكم عليه إن كان متفائلاً أو متشائماً، والذي يبدو ظاهرياً أن عبد الرحمن شكري قد بدأ حياة تمتاز بالجد والاجتهاد، وترنو إلى آمال عظيمة، وتبتغي مراتب الشرف والشهرة لكن الظروف الاجتماعية قيدت شخصه الطموح وحادت به عن المسلك الإيجابي إلى مسلك سلبي يطلب العزلة التي بدأها بالاستقالة المبكرة ثم اعتزال المجتمع الأدبي اعتزالاً ظاهرياً وليس حقيقياً فـ) صحيح أن شكري لم يطبع بعد عام ١٩١٩م أي مؤلف شعري أو نثري مستقل في مجلد ولكن الصحيح أيضاً أنه لم ينقطع بعد ذلك العام عن نظم الشعر وكتابة الأبحاث، فلقد نشر في الصحف والمجلات ما جمع منه فيما بعد ديوانه الشعري الثامن وخمسة كتب أخرى وهذا من الكتب الخمسة التي ظل ينشر- فصولها في المجلات الأدبية حتى أواخر حياته^(١).

والحقيقة أن قصائده التي أحاطت بها ضبابات التشاؤم قد قاربت المائة قصيدة ، علماً أن ديوان شكري يضم أربعمئة وثمان وثمانين قصيدة وخمس وأربعين مقطوعة ونرى أن عدد قصائده التي اشتهرت بنزعتها التشاؤمية تكاد تقترب من ربع الديوان يوفي ذلك دليل على أن تشاؤم شكري كان نسبياً ولم يكن كلياً حيث أن التشاؤم لم يكن طبيعة الشاعر بل أثراً للظروف والمؤثرات في حياته، ومن تتبع سيرة شكري يجد أنه انسان قد عمل بجد وكفاح خلال مراحل

(١) أعلام من الإسكندرية نقولا يوسف، دار المعارف بالإسكندرية، ص ٤٩٥ .



حياته العلمية والعملية، وتذوق لذة الفرح كما تذوق لذة الألم، فهو شاعر نافذ
البصيرة يرقب البدايات ويتأمل النهايات ويحلل مأساوية الأشياء، ويتذوقها، ثم
يتغنى بها بشكل خاص به وحده.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

- المبحث الأول : التجربة الشعرية
- المبحث الثاني : البنية التركيبية
- المبحث الثالث : البنية التصويرية
- المبحث الرابع : البنية الإيقاعية

المبحث الأول

التجربة الشعرية:

مدخل

التجربة الشعرية كيان متكامل أساسه الشعور ولبناته الشعر والفكر والصياغة. وشرط ذلك كله التوافق، ونتاجه (صورة لها كاملة نفسية أو كونية. يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيراً ينم عن عمق شعوره وإحساسه. وفيها يرجع الشاعر إلى إقتناع ذاتي، وإخلاص فني لا إلى مجرد مهارته في الصياغة)^(١). فالشاعر الحق الذي يبذل جهداً يستنبط المعاني، يستشفها ثم يحللها بقدر ما يبذل جهداً في صياغة الألفاظ الدالة على تلك المعاني وللشاعر دورٌ وأهمية في التجربة الشعرية إذ (مهما تكن التجربة عاطفية شعورية فإنها لا تعزف قط عن الفكر الذي يصحبها، وينظمها، ويساعد على تأمل الشاعر فيها ... ولا ينجح الشاعر في التعبير عن تجربته حتى يصير أفكاره الذاتية موضوعية)^(٢). بمعنى أن تكون تجاربه الذاتية ذات معاني اجتماعية إنسانية يستطيع القارئ الذي يتأملها أن يلمس تلك المعاني أو يعايشها، والتجربة ذات الحظ الأوفر من النجاح هي التجربة التي يكون (شاعرها ممن يتعمقون الحياة ويسبرون أغوارها ويتغلغلون في بواطنها، ويحاولون التقاط دخائلها، وأسرارها المستغلقة لا

(١) انظر النقد الأدبي الحديث، غنيمي هلال، ص ٣٨٣، دار العودة بيروت، ١٩٧٣ .

(٢) السابق، ص ٣٨٥.

مظاهرها الكبرى فحسب، بل في كل مظهر صغيراً أو زهيداً^(١). والخيال رافد أساسي للفكر، به تنضج صورة حسية أو معنوية بعد أن كُلت حلماً في عقل الشاعر ونفسه فقدرة الخيال في التجربة الفنية عظيمة، فعن طريقه (تخرج القصيدة قارئها من عالمه الحقيقي إلى عالم الشاعر النفسي ومتخيلاته، وأحلامه بطريقة تلعب فيها أجنحة المجازات والاستعارات دوراً تجعل الحلم ينمو والرؤية الشعرية تنمونموماً عضوياً)^(٢). وليس من الضروري أن تتزاحم الصور والاستعارات والمجازات، في القصيدة حتى تصبح القصيدة مؤثرة بل يكمن السر في قدرة الشاعر في التأثير على نفس المتلقي وعقله (لوجود العلاقة بين الصورة المعبرة، وبين الفكر وجنوحه وبين العاطفة ودواخلها)^(٣).

والموسيقى عنصر مهم في التجربة الشعرية بها تصلح أبيات القصيدة، تصدح أنغامها، وتنضح حلاوتها، وقد (تخلو أبيات القصيدة من الخيال لكن من المحال أن يخرج شطر واحد بل كلمة واحدة من موسيقى البحر الذي بدأ الشاعر بالتجديف فيه من أول وهلة)^(٤)، ويختلف الشعراء في (أنغامهم الموسيقية بتفاوت أسلوبهم فمن كانت معانيه جزلة قوية نجد أنغامه رنانة صاخبة، ومن

(١) النقد الأدبي، شوقي ضيف، ص ١٤٤، دار المعارف، ط ٨.

(٢) النقد الأدبي، شوقي ضيف، ص ١٤٩، "بتصرف".

(٣) مقدمة الديوان، ٣٦٣، "بتصرف".

(٤) التجربة الشعرية عند عبدالله المغرب، د/ عبدالعزيز قلقيلة، النادي الأدبي بالرياض، ط ١،

كان ذا معاني عقلية فكرية تميل موسيقاه إلى الجفاف، ومنهم ذا أنغام ثائرة، والشعر إن لم يهز ويثر بموسيقاه، يفقد أهم عناصره، ولا يعدّ شعراً بل يعدّ نظماً أو نثراً موزوناً^(١). فالموسيقى ثوب الشعر الفني، وجسده الأحاسيس والفكر والخيال.

وعند الحديث عن التجربة الشعرية لدى شاعرنا عبدالرحمن شكري نجد أن تجربته الشعرية في قصيدته التشاؤمية اتخذت مسارات مختلفة تنبع من تأملات نفسية وفكرية عميقة الموارد، ومن تجارب ذاتية، ونماذج طبيعية كونية تتجلى بصور عميقة، وصادقة، محركها العاطفة والوجدان، والباحث في جنباتها والمتأمل في أسرار بواطنها، هو العقل ليس العقل الذي يعالج معارف الحياة المحسوسة إنما الذي يعالج مشكلة معرفتنا بالكون، والحياة النفسية. فشكري من الشعراء الذين لديهم إحساس قوي، ويدفعهم تفكير عميق متأمل لدرجة أن تقع العاطفة تحت أمره التفكير في كثير من الأحيان، وقد أعتبر شكري ذا تجربة رائدة في الشعر العربي الحديث لأسباب كثيرة منها صدق التجربة الشعرية في الحديث عن الذات بموضوعية تتداخل، ومجالات النفس الإنسانية البشرية وأحوالها، يؤازر ذلك خياله القوي، وتشخصيه الذي يأسر العقول، كما أنه ينقل روح الفكرة سواء كانت نفسية عقلية أم كونية، ويضاف إلى ذلك إحساسه

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، عبداللطيف السحرتي، ط ٢، ص ٥٣-٥٥، مطبوعات تهامة، ١٩٨٤ م، المملكة العربية السعودية، "بتصرف".

الرومانسي الذي يتشكل مع الطبيعة، ويلبسها أثواب حالكة من السواد حين يميل به ميزانه الشعري إلى التشاؤمية، كما أن لديه القدرة على التوافق الفكري الوجداني واللفظي^(١)، ومن يتتبع تجربته الشعرية التشاؤمية يرى أن الموت هو السمة التي تميز تجربته، فعلى الرغم من تعدد موضوعات التشاؤم، لكن معظم قصائده تناولت موضوعاً بعينه هو الموت.

وقد قاده فكره الفلسفي المتأمل إلى (طريقة وأسلوب تميزت به تجربته الشعرية أطلق عليها أحد الباحثين جدلية الأضداد)^(٢).

فصدق التجربة يظهر لدى شاعرنا عندما يتحدث عن معاناته الذاتية النفسية إذ يصدق في نقل إحساسه السوداوي، ويأسه المرير من حقائق نلمسها، أو نعيشها، وهو يصور تجربته مع الحياة في أسلوب تقريرى تعبيري مؤكداً معاناته، التي أورثته مشاعر شيخ في الثمانين من العمر وهو مازال في أوج شبابه وهذا الشعور المتشائم من الحياة تملك كل مشاعره وحصر آماله، وأظلم غاياته، فقد خذلته السنوات، ولم ترحمه الأقدار، التي رمت به عن ساحتها، رغم مجاهدته الحياة، وهمومها التي صارعها حتى صرعه، وسكنت صدره. يصور ذلك في استعارة مكنية يشبه فيها الرحمة بالإنسان إذ يقول:

(١) لحق ديوان عبدالرحمن شكري، د/ محمد السعدي فرهود، ص ٢٤ .

(٢) انظر الرؤية النقدية في شعر عبدالرحمن شكري، رسالة ماجستير، فيصل الله أبو طويلة، ص ١٦٦،

١٦٦، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى.

لقد لفظتني رحمة الله يافعاً
رضيت بهذا العيش بعد أبوة
وحاول مني اهتم صبراً فلم أزل
فصرت كأني في الثمانين من عمري
لأبلغ شأواً أو أغيب في قبوري
أدافعه حتى أبحت له صدري^(١)

فأن تلفظه رحمة الله "فكم تقدر شقاوته وعذابه، ولكنه استسلم للأمر على
علاته"، رضيت بهذا العيش بعد أبوة "فالتضاد يوضح التناقض في فعل الشاعر
تجاه ما قدر عليه، فإنه أبى في البداية لكن مشاعره المرهفة وحسه الرقيق قد حالاً
دون الاستمرار فكان الرضى والتسليم.

وهو خير بهذه الحياة قد ذاق يسرها وعانى من عسرها فصور ذلك في قوله :

وزاولت صرف الدهر حتى عرفته
فسيان ما لاقيت من العسر-واليسر-^(٢)

فلقد تحمل الشاعر ما لم يتحملة غيره "فزاولت صروف الدهر حتى عرفته
"فكان من نتيجتها" نسيان ما لاقيت من العسر واليسر- "فالمفترض أن يحدث
التناقض اختلافاً في نفسية الشاعر ، فيقابل اليسر بالفرح والعسر بالحزن، إلا أنه لم
يحدث " فسيان "دون إكتراث بالحياة وما فيها.

ثم تتحول هذه العاطفة إلى عاطفة متوازنة تشحذ الهمم البائسة وتريد بلوغ
الغاية بالصبر الذي يحقق المنى يقول :

هل العيش إلا أن تنال بعزمه
مقاماً كان النجم من تحته يسرى

(١) ديوان الشاعر، ج ١، ص ٣٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج ١، ص ٣٢.

فما العزم إلا ما يبلغك المنى وما العجز إلا أن تنهه بالجزر^(١)

ثم تعود تلك النظرة التشاؤمية تظهر لدى الشاعر في مرة أخرى لتشمل
كائنات الكون، وتلمس عدم نفعية وظائفها الدنيوية في قوله:

عنا يفيّد تصوّبي وتصعدي	عن مسلك للعيش غير ممهد
كالبحر في أحواله متغيراً	عبثاً يضج بموجه المتجدد
عبثاً تعبث الريح في هباتها	كالحدّثات إذ تروح وتعتدى
عبثاً يسير النجم في أبراجه	متنقلاً في سيره عن موعد
عبثاً تضيء الشمس وجه مسالك	للعيش تزخر بالشقاء المزبد ^(٢)

فإلى هذه الدرجة بلغ به اليأس وأعمت نظره التشاؤمية بصيرته؟! أيريد
للحياة الفناء حتى يستريح هو وأمثاله ممن يعانون؟ أيرى في تأدية كائنات الكون
وظائفها عبثاً يجب أن تقلع عنه؟ فالبحر يضج، والريح كالحدّثات، والقمر
والشمس يعبثان بالتناوب في الطلوع، ويصل به الحال والضيق إلى أن يعمم نظرة
التشاؤم تلك على كل البشر إذ أن الإنسان لو علم قدر تعاسته لما ودّ أن يولد
فالكل في شقاء لا ينجو من ذلك البلاء، وأظنه قد بالغ في نظره تلك فالحياة ما
زالت بخير وإن عمّ البؤس أحوالها. يقول:

لو كان يدري المرء قدر شقائه	لي العيش ودّ لو أنه لم يولد
والناس غرقى في الشقاء ولؤمه	من ناقم يشكو ومن متبلد

(١) السابق، ج ١، ص ٣٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢٥٠.

ومن البلية أنني بشقائهم وشقاوتي أمحو لذيذ تجلدي
ماذا على الإنسان لولا نسله أن باع دنياه بموت سرمدي^(١)

ومن خلال معاشته لبلاء الإنسانية جمعاء وشقائه شخصياً نراه يرجع ذلك
الابتلاء إلى هزيمة تجلده وصبره أمام هذه الحياة. والحل عنده في موت سرمدي
يرجحه من عناء الدنيا بأسرها.

وفي الأبيات السابقة نلاحظ نقمة الشاعر، وثورته العارمة التي شملت
طبيعة الكون والنفس الإنسانية، لكن العاطفة قد تتجدد وتتغير تبعاً لمؤثرات
الحياة، إذ نراه في قصيدته التالية يشعر ونشعر معه بحزن عميق، وحسرة مريرة
تكاد تغص لها الحلق في تجربة ذاتية عدوه اللدود فيها النحس الذي قام على
رعايته، ولم يتركه حتى أصبح وسام شرف يزين به الشاعر صدره يقول :

إذا كان في نحس الفتى شرف له فمالي لم أشبع من المجد والعلی
يقولون بؤس العيش نبل صابر فلا مجد إلا في ذوي النحس والشقا^(٢)

فهل اختصه القدر بضرباته الموجهة؟ إذا كان السباق للعلا بجليل الأفعال
وعظيم الصفات فبما يفاخر الشاعر وتعلو مكانته؟ إنها كثرة الآلام والنوازل
والمصائب، ولكن الشاعر يتعجب في أنكار وسخرية " فمالي لم أشبع من المجد
والعلی " فإذا كنت قد جزت قصب السبق وانهاالت على الكوارث وتوالت، فلماذا
لم تعلو بها درجتي ومكانتي.

(١) السابق، ج ٣، ص ٢٥٠.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٥، ص ٤٠٥.

حتى كاد هذا الشقاء والعذاب الدنيوي يوقعانه في حيرة تكاد تخرج به عن
طور عقيدته السليمة ترميان به في أحضان جحيم الحيرة والهلاك يقول:

حياتي أعفو جئت أم عمد عامد قضى من صروف الدهر في الخلق ما قضى^(١)
ونظير تلك الحيرة يقدم نداء يرتجي من الموت رجاء أن يُقبل عليه بنعومة
وحلاوة النعاس للعين، أو فعل الخمر حين يخالط العقل فيمحو همومه عن
الوجود . يقول:

فيا موت أقبل لا كإقبال رائع مرير كطعم العيش يؤلم من حسا
ولكن كترنيق* النعاس بمقلّة طواها الكرى أو مثلما تفعل الطلا^(٢)

وقد يكون موضوع التجربة بسيط ذاتي لكنه موفور المعاني المتصلة
بالمشاعر الإنسانية والقضايا الاجتماعية ذات الدلالة على ضعف الإنسان وقلة
حيلته أمام تصاريف القدر ، وما ينزل به من محن . فيتحدث الشاعر عن عصفور
حبس في قفص يملكه وهو موضوع هين لكن الشاعر استطاع أن يُضفي عليه
إحساسه الخاص بمشاعر ذلك الطائر وصلة ذلك كله بالمشاعر الإنسانية الجمالية
التي تكشف عن خوف الضعيف الذي يعدم الحيلة القدرة في الدفاع عن حاله .
فلم يجد إلا الغناء الذي يتخذه وسيلة وحيدة يمتلكها، ولم يكن للشاعر حينها
إحساس^٣ بهذه اللوعة، أو فهماً لتلك الترنيمات الحزينة يقول^(٣):

(١) المرجع السابق، ج ٥، ص ٤٠٥.

(٢) المرجع السابق، ج ٥، ص ٤٠٥. * ترنيق، أي أن لذة الموت في إقباله تشبه لذة النعاس حين يداعب
يداعب المقلّة وراحته

(٣) ديوان الشاعر، ج ٤، ٣٠١.



وكنـت ألهـو في غفلة الصغر
مرتجل للغناء مبتدر
والشدو شعر لعاشق الزهر
شدو حزين الفؤاد منفطر
وكيف يرثى الجذلان للكدر
شجو يروع الفؤاد بالفكر
وكيف يجدى الغناء للحجر
ما كان سر الغناء من وطري
في صخب رائع بلا حذر
وضجة الصوت شيمة الصغر
يهتز مثل المقرور من خصر—
فعدت ألهو عنه على غرر
عب بلحن يقدم في المرر
لم يبق من نغمة ولم يذر

اذكر فيما مضى— من العمر
وكنـت ألهو بطائر غرد
من حيث لا روضة له أنفُ
بل كان يشدو الحبيس في قفصٍ
وقد كنت غفلان عن لواعجه
قد كنت كالطائر الطليق فلا
قد كان قلبي لقلبه حجراً
قد كان لي لعبة أعابثها
قد قمت ألهو بجانب القفص
وأقرع الأرض صارخاً جزلاً
والطير من رعب قلبه حذر
حتى إذا ما سكنت من كلل
إذا به صادحاً ينوح من الر
قد جمع اللحن من لواعجه

إلى أن رآه مجندلاً في قفصه فقال :

حتى رأيت العصفور مجندلاً قد مات من لوعة ومن حذر

فنسيه ولم يذكره إلا حين وقع هو شخصياً في شرك القيد والعبودية

يقول:

وكل مافات ميت الخبر

نسيته والسنون منسية

حتى عرّتني الخطوب مذكرة وصاحب الهم حاضر الذكر
نفسى- كالطائر الحبّيس فلا مفر من جور سطوة الغدر
قد شق صدري ناب الحياة فأمر سيت بقلب خافق منذر
يا طير لو كنت حاضري ألفت نفسك نفسى- من رحمة الخور
لا يعرف الحزن غير ذائقة فليس حزن العيان كالخبر
اقتص منى لك الزمان وقد أصبحت منى في السمع والبصر^(١)
والبصر _____^(١)

فانظر إلى تلك المقارنة بين الإنسان وما يحيط به في بيئته، إنها تظهر مدى التفاعل التناغم بينه وبين ما تقع عليه عينيه، فقد مزج بين حالته وحالة الطائر، قد كان مثله حر طليقاً يتمتع بحياته ويشيع البهجة فيمن حوله، حتى اختصه القدر بالضربات والنوازل، فاتحداً في الألم، وتشاركاً في الحزن والبؤس. ومن مميزات تجربته الشعرية التشاؤمية الصورة الفنية إذ إن مصدرها الفكر تسانده العاطفة والخيال، والصورة لديه مكونة من جزئيات متلاحمة متألّفة تفصح عن المعنى العقلي والنفسى المراد، وهي تنتج صورة كلية نهائية للفكرة بطريقة يتآزر فيها الفكر والمشاعر، في قصيدة "جدّ أم لعب"، يشخص الشاعر فيها الحياة حية تسعى وتبدل جلدها كل فترة، كذا الحياة فالناس يعانون نوازله ويعايشون كوارثها المتجددة، يقول الشاعر :

(١) ديوان الشاعر، ج ٤، ص ٣٠١.

يا حية الخلد كم لبست وكم
نضدت جلداً يشقى الأنام به ^(١)
(١)

فأن تكون الحياة حية فهذا دليل التلون والخداع، وكما تلبس الحية جلداً
متنوعاً متعددًا، كذا الحياة تتعد ثيابها وألوان نوازها ومصائبها

وفكرة التجدد تظهر في الجمع بين وجه الشبه في تجديد الحية لجلدها، وتنوع
آجال الناس فهذه سنة الحياة، ويواصل الشاعر تصوير الحياة بصور مختلفة، فيراها
في صورة امرأة غانية، يقول:

كأن هذي الحياة غانية	تعاف برداً من بعد مطلبه
بأنها الناس بردها أبداً	تعاف ملبوسه لمعجبه
نوباً فثوباً تظل تخلعه	ذا خصي — الحام آب به
كان مرآتها الكمال فما	سى بما لم يرق بمذْهَبه ^(٢)

فالدنيا كالمرأة الغانية التي تخدع الناس بمظهرها عن حقيقتها فإذا حدث
القرب بالاغترار بالمظهر، أظهرت له ألوان الآلام والآحزان ما يجعله
حطاماً، فتتجه إلى غيره في محاولة مستمرة لجذب الناس إليها فكأنها هي الأخرى
تبحث عن الكمال فيمن تجذبهم دون جدوى، يقول:

كأن مرآتها الكمال فما ترضى	بما لم يرق بمذهبه
يا ضيعة الخلد لهو غايته	ضي — به الخلد في تسر — به

(١) المرجع السابق، ج ٦، ٤٨٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٦، ص ٤٨٢.

وهكذا المرء عيشة طلب حتى ليؤذي نيل مآربه^(١)

وفي قصيدة أخرى يصور شكري الحرية بطريقة بشعة في استعارة تمثيلية.
فهي مخلوق دموي في عطش دائم للدماء يقول^(٢) :

ظمأى إلى الدم قد أبحت حرامه كالذئب يعوي بادی الأسنان
نظرت بعين الصل حين وثوبها نظر يسم مجامع الأشجان
للحرية ثمن غال قد تقدم الحياة فداء لها، ولكن أن تظماً الحرية للدماء "فهى
إنسان ظمآن للماء يريد الارتواء، فلا تروي شره الحرية إلا بالدماء تسيل في
سبيلها ولكن الشاعر شبه شراستها إلى الدماء بالذئب "يعوي" فالعواء من شدة
الجوع، فإذا وجد فريسته، فإذا وجد فريسته عظمت وحشيته في الانقضاض
عليها والفتك بها، إنها صور تؤذي الإحساس وتؤلم المشاعر والأشجان.

ومن الصور المؤثرة في النفس التي تبين عن آلام شكري، وتوضح حسرات
نفسه وشجن قلبه هذه الصورة التي يشبه فيها فؤاده بالقبر الغائر "فالبحت في
الفؤاد" كناية عن اختفاء الحب منه، فكأنه أصبح في زاوية لا يشعر بأي تأثير عليه
منه "كأنني في الأرض جاهد لأفتر" تشبيه بجامع الدوام والاستمرار دون ملل
أو يأس حتي رأيت قبراً لها "فأن يحل القبر محل الحب، فهو دليل الفناء وعدم
البقاء، فقد زالت روحه وجسده، يقول:

(١) ديوان الشاعر، ج ٦، ص ٤٨٢.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٢، ص ١٦٧. *الصل: الحية

جعلت أبحث في الفؤاد كأنني في الأرض أنكث جاهداً لا أفتر
حتى رأيت هناك قبراً غائراً للحب قدماً كان غدرك يحفر
وعليه مكتوب بحرف من دم الحسن خداع يفّر ويغدر^(١)

ثم انظر إلى قوله "مكتوب عليه بحرف من دم" فالدم هي دموع الشاعر
التي انهمرت واستمرت حتى لم تجد عيناه إلا الدماء تنزفها حين جفت العبرات
، وربما كان الدم دليلاً على جريمة قتل وقعت لهذا الحب، فقد ذبح وسالت دماؤه.
ثم أنظر إلى تلك الصورة البشعة التي تصور القلب في صورة الرمم البالية،
يقول:

والقلب مثل البحر يفزع قاعه أهناً قلوب الخلق ما لا يسبر
كم فيه من أثر العواصف راسب أدباً به لا يستطاع فينظر
فاطو الفؤاد على الهموم كأنها رمم على رمم به لا تُنشر^(٢)

والقلب مثل البحر "بجامع القلب والدوران وعدم الثبات"، "كم فيه من
أثر العواصف راسب" فدائماً يستقر به أثر التجارب وهنا "من أثر العواصف"
التي تعني سوء ما مر به وما عانى في سبيل الحب، ومن ثم كان الأمر بلا نشاء "
فاطو الفؤاد" حث على الاكتفاء بما مر به من تجارب تراكت كالرمم المتراكمة
دليل الخبث والرائحة الكريهة .

(١) ديوان الشاعر، ج ٥، ص ٤٢٣.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٥، ص ٤٢٤.



رائعة تدوي بصوت هائل ذلك صوت الرعد يسخر بالناس، وبشكواه
شخصياً. ولا يزال الشاعر في وقفته التأملية راجياً البحر كما يرجو المرء من القوة
الكونية في صورة استعارة مكنية أن ينجيه من عذاب الدنيا ومن الحياة بأسرها .
وقد يمزج الشاعر في تجربته بينه وبين مظاهر الطبيعة فيرى في ألمها، ألمه، وفي
شقائها شقاءه، يقول :

وقفت على البحر الخضم عشية	وللريح فيه والعباب بوادر
وقد بسط الليل البهيم جلاله	وللسحب نوء هاطل اللج هامر
وللرعد ضحك رائع الصوت هائل	كأن ضجيج الرعد بالناس ساخر
أقطع قلبي بالبكاء وبالأسى	وحبّ الردى داء دخيل مخامر
بكيت بكاء اليأس لا بأس مثله	وقلت وبى من سانح الموت خاطر
أجرني من ظلم الحياة ولؤمها	فإن شقائي مثل لجك زاخر ^(١)

(١)

فانظر إلى "البحر الخضم عشية وللريح فيه والعباب بوادر" فالظلام الحالِك
يحيط به، والرياح والعباب يبادرانه، أما الليل فبهيم، والسحب "نوء
هاطل"، والرعد "ضحك رائع الصوت"، فقد أحل الطبيعة محل نفسه، ولكن
ساعة قسوتها وغضبها، إنها مقارنة المثل لمثيله، ومضارعة الشبيه بشبيهه.

وقدرة الشاعر بليغة في محاكاة الطبيعة في هذه القصيدة لدرجة القول أن

(١) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢١٣.

الطبيعة تحاكي عواطف الشاعر ومشاعره الإنسانية. وقد عُرِف عن شكري أنه صاحب فكر متأمل، ووجدان مرهف، لديه القدرة على التوفيق بين الفكر والوجدان يصوغهما بطريقة جمالية إذ يقول في حديث نفس عن الذكر كيف هي صورته، وما هي مطامعه فالذكر لديه :

الذكر كالجرذان في خفية	نخر قلب الأبى الجليد
مطية الذكر على نهجها	معكوسة المسعى لخلف تحيد
كم تبتغي أمسك إن ساءك اليـ	وم وأمس معجز من يعيد
يا مخرج الملحود من قبره	لم يبق منه غير عظم ودود
أمسى الذي فات على قربه	كأبد الأبد قاص بعيد
وإن يؤلا اليوم ترج غداً	إن غداً ليس بيوم جديد ^(١)

في هذه القصيدة يتناول الشاعر موضوع الذكر تناولاً فنياً، ويصوره تصويراً إيحائياً بأسلوب تقريرى، الباعث في تلك التجربة الوجدان، والمحرك لها الفكر إذ يشبه الذكر بالفئران. حين يعيش الإنسان في ذكرياته التي تنخر في نفس، وقلبه وعقله، وتثير مشاعر مؤلمة بائسة تقلب^١ مواجع النفس وتذيب عظيم التجلد، كما تفعل الفئران حين تنخر فتعطب الأشياء من حولها، ويتوافق الفكر والعاطفة في تشبيه تمثيلي جميل، إذ يعبر عن الذكر بالمطية المركوبة لكن صراطها لايسير إلى الأمام بل إلى الخلف، وفي البيت الثالث حكمة ذات دلالة صادقة المعنى صاغها

(١) ديوان الشاعر، ج ٦، ص ٤٥١.

الشاعر بأسلوب استفهام استنكاري ينكر فيه على من يسوءه حاضره فيرغب
بعودة الأمس، وهذا ضرب من الخيال وقد يوازي هذا الفعل من حكمه الشاعر
من استحالة إخراج الدفين من قبره الذي تعفن فيه بعد أن أكلته الديدان.

ويوضح الشاعر حسرته على تلك اللذات التي اختطفها وتذوق حلاوتها في
تشبيه تمثيلي، إذ يشبه اللذات بالأثمار المهذلة التي تبقى ذكرياتها رماداً وتراباً بعد
أن كانت حلاوة ومتعة. ثم يقول :

إن الصبا معبد للعيش نعبده	على مضامته بوركت محرابا
والموت كأسد العدااء تلقمه	لذاذ العيش تخشى منه أنيابا
لا بل هو الظئر والأرواح في يده	كالطفل في المهد لا تألوه إطرابا ^(١)

(١)

ففي هذه الأبيات تبدو نظرة تشاؤمية من أفكار الشاعر التأملية لكن الحقيقة
أن أي عمل فني يسمو ويشرف بشرف مضمونه والشعر كما قال د. غنيمي هلال
يسمو بسمو أفكاره وينحط بانحطاطها^(٢)، وأفكار الشاعر بديعة تلمس جانب
جانب القصة الإنسانية يتذوقه كل من خـبر الحياة، وتعمق في حكمة شرائعها.
فللعيش لذات يشبهها الشاعر بالثمار التي حان وقت قطافها، لكن حلاوتها
تتحول إلى مرار حين تقطف، ثم يتقل ليخبرنا عن ثمرة الصبا في أسلوب
تقريري، فالصبا معشوق الجميع، والكل يرجو دوامه، ويبذل المستحيل من

(١) ديوان الشاعر، ج ٦، ص ٤٥٠.

(٢) النقد الأدبي الحديث، غنيمي هلال، ص ٣٩٣.

أجله، على الرغم مما يخالطه من أمور مؤلمة وفي هذا البيت يظهر حب الحياة، ويشع في فكر الشاعر، وأعماق نفسه.

وعندما يجسد من الموت أسلاً، يهابه الجميع، كذلك هو الموت فالكل يخشاه، ويخشى تذوق آلامه.

وأما عن الموت فهو سيد الموقف في قصيدة عبدالرحمن شكري التشاؤمية إذ أنه أتى على ذكر الموت في أكثر من ١٠٩ قصيدة، ولم يمنعه من ذكر الموت في تلك القصائد نوعية الموضوع، أو نسيية تفاؤله من تشاؤمه، فقد ذكر الموت في أحوال كثيرة فهو الواعظ والمالك والمنجي والمفزع وغيرها من الأحوال، أحوال ومواقف تجعل المتأمل يهاب الموت، ويفزع له، وقد يرجوه ويتمناه ويرحب به في تساؤل ملتحف بعاطفة حزينة ترجو الموت وتهاب قدومه. يقول:

حتام أرجو الموت لا أستطيعه وأفرق منه أن يلّم بمضجعي^(١)

ورغم ذلك الترحيب إلا أنه يبدو واضحاً التصاق الشاعر بدنياء القاسية وأحوالها الجارحة، يقول:

من لي بعيش لا أبالي صروفه أقول لدهري طر بصر-فك أوقع

نعيش بغش منك يحلو لغافل فأسدل علينا غفلة ثم فأخدع^(٢)

فهو يرجو الموت لكنه يأمل في الحياة، حياة لا يعنى بصر-وفها، وإن عاشها غافلاً مخدوعاً فيها، المهم أن تأتي الخديعة في غفلة منه. هذه التجربة تدل على حب

(١) المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٢١.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢٢١.

الشاعر للحياة بكل مساوئها حتى تلك الغفلة، وفعل الخديعة اللذين يندد بهما في مواضع أخرى من قصائده ولكن حب الحياة غلب ذلك كله. وحين يمل الشاعر من ذلك يعود إلى طريق الموت يطلب الإجابة منه يقول :

ما من مجير على هذا الملال سوى موت يبعد بين النفس والعلل^(١)
والعلل^(١)

وقد تملأ عاطفة حب الموت على الشاعر أقطار نفسه، فينعزل بجماله وفتنته من تجربة يعبر فيها عن الموت، وتخاله يتحدث فيها عن القسطاط في هذه الحياة يقول :

أيامعبداً قرباننا فيه عيشنا
يامبرئاء كلهم الحياة بطبه
أحبك حب الصب وجهه عشيقه
جوارك مأمون وملكك رحمة
أتخشى ظلام الموت والعيش مثله^(٢)

فهو المعبد الذي نقدم فيه صلواتنا، وأعمالنا وهو الطبيب الذي بيده الدواء، وهو العادل المنصف من كل ظالم، والحبيب الذي يعشق، والجار الذي يؤمن جواره وملكه كله رحمة، وكيف نخشى تذوق ظلامه، ونحن نعيش في

(١) ديوان الشاعر، ج ٢، ص ١٦١.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٧، ص ٥٤٢.

ظلام في هذه الحياة، تلك الأبيات تحمل نزعات عميقة للشاعر، ومشاعر حكيمة تجاه الموت تقابلها، بل وتنازعها رغبات أكيدة في حب الحياة رغم جراحها وعذابها. يقول :

وهيهات لا سلو عن العيش جارع	من العيش حتى يصبح العيش ماضيا
وحتى يموت الحب والذكر والمنى	وتتلو نواعي الشائقات المناعيا
وحتى يموت الموت لولاه ما بكى	حريص على دنياه يخشى المرازيا
فيا ليت أن العيش يخلف ميتة	دراكا كما يطوي النهار اللياليا ^(١)
	الليالي ^(١)

الشاعر يقدم أمنية مستحيلة التحقق لكنه يتمناها ويرغب في أن تكون الحياة خلفاً للموت كما يخلف النهار الليل، ولكن هيهات أن تتحقق الأمانى والأحلام . والواعظ الأكبر قدراً ، هو الموت الخالد الذي يبذل الشقاء سعادة، والقلق راحة والفرع أمناً، يطل علينا في قصيدة " وعظ الموت يقول :

هل العيش إلا ساعة ثم ينقضي-	هل الدهر إلا أشهر وعصور
نرى حولنا الهلاك في كل منزل	كأن بيوت العالمين قبور
ونعلم علماً ليس بالظن أننا	سنمضي على آثارهم فنحور ^(٢)
فنرى ونعلم علم اليقين يؤكدان أن الموت مذاق الجميع ، وكأس يسقى كل	

(١) ديوان الشاعر، ج٧، ص ٥٤٦.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٤، ص ٣٠٤.

ظامئ ، ويزور كل بيت، وينحر كل فرد .

ولا شك أن فلسفته الفكرية العميقة جعلت من فلسفة الأضداد ظاهرة في
شعر شكري والضد بالضد يشام، وشكري يقدر الأشياء رغم ذلها وحقارتها،
حتى الأذى له مذاق في حلق الشاعر يقول :

ولولا الأذى ما ذقت في العيش لذة فكل نقيض بالنقيض يشام
ولا شر إلا فيه للخير مألّف كما تألف الماء الطهور مرام^(١)

ولولا تذوقه لطعم الأذى لا تمتنع عنه تذوق طعم اللذة في العيش فمن المؤكد
أن كل نقيض يظهر جمال أو قبح نقيضه. فلا يكون شراً إلا فيه للخير موضع
ومألّف ، وكيف يجلّ الإنسان نعمة العيش الهادئ الرغد إلا حين يحاط بالمصائب
والنكبات يقول الشاعر في ذلك :

وإن ضياء العيش يزهو رواؤه لأن حاطه بين الأنام ظلام
ظلام من الأحداث والخطب والردى بيت ضياء العيش يشام^(٢)
والتجربة خير برهان فيؤكد الشاعر على هذه الحقيقة فزهاء العيش وطيبه
يحمد حين يحاط المرء بالظلام ويرمز بذلك إلى مصائب والحوادث .

وقد يجن المرء ولعاً بملذات الحياة وإغراءاتها لكنه، قد يشعر بالبغض لكل
تلك الملذات وما تجلبه من ألم، وشقاء للنفس البشرية بعد انتهاء لذتها. والنتيجة
ضياع للمشاعر وضياع للآمال ، يقول :

(١) ديوان الشاعر، ج ٥، ٣٩٠.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

أجن بالعيش طوراً ثم أبغضه ما أضيع المرء بين اليأس والأمل

المبحث الثاني

البنية التركيبية

جسم القصيدة يتجسد في لغتها، وروحها تكمن في معانيها، فتشرق ألفاظ الشاعر لتلمح المعاني، وتدرك المرامي. وارتباط ألفاظ القصيدة بمعانيها ارتباط الروح بالجسد. يقول عنه ابن طباطبا: (قد قالت الحكماء أن الكلام الواحد جسداً وروحاً، فجسده النطق وروحه معناه، فواجب صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة لطيفة، مقبولة .. فيحس جسماً، ويحققه روحاً، أي يتقنه لفظاً ويبدعه معنى)^(١).

ومن القضايا التي اتفق عليها القدماء والمحدثين أن لغة أية قصيدة يجب أن تتناسب وموضوعها يقول قدامه بن جعفر في قصيدة الغزل: (لما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة، والشكل والدمائة، كان مما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مستكرهة فإذا كانت قاسية كان ذلك عيباً إلا أنه لم يكن عيباً على الإطلاق أمكن أن يكون حسناً إذا كان قد يحتاج إلى الخشونة في مواضع ذكر البسالة والنجدة والبأس والرغبة كان أحق المواضع التي يكون

(١) عيار الشعر، ابن طباطبا، ص ٢٠٣، أبي الحسن محمد بن أحمد العلوي، تحقيق: عبدالعزيز المانع، دار

فيها عيباً الغزل لمنافرتة تلك الأحوال^(١). والمعنى أن توافق الألفاظ المعاني فإن كان فخراً فألفاظه قوية جزلة، وإن كان رثاءً فألفاظه رقيقة حزينة، وإن كان تشاؤماً فألفاظه السوداوية والشقاء، والدافع لكل الأغراض الشعرية انفعالات نفسية عاطفية، وتجارب شعورية كامنة (وحيثما تعرض اللغة لتصوير هذه الانفعالات تصويراً صادقاً يلائم طبيعتها، كانت هذه اللغة موروثة حتماً لتكون عباراتها صدى لقوي العواطف، والانفعالات التي تؤديها، فهي ذات موسيقى قوية أو ضعيفة، خشنة أو رقيقة، ناعمة منسجمة أو مختلفة)^(٢). فعندما تدقق النظر، وتعمل العقل في بنية القصيدة الفنية إنما تريد من وراء ذلك دراسة التراكيب اللغوية، والأبنية النحوية التي تقودنا بدلالاتها إلى (البحث في أسرار القلوب والعقول الماثلة في أسرار الكيفيات والتراكيب، وأن المعنى الخفي الغامض والمستكن وراء هذا الحال من أحوال اللفظ أي هو تلك الاختلاجة الخفية والغامضة في باطن النفس)^(٣). والذي نبحت عنه تلك الاختلاجات الخفية الغامضة المتدثرة خلف لغة قصيدة الشاعر عبدالرحمن شكري التشاؤمية فشكري شاعر وجداني المذهب لغته الشعرية غنائية ذاتية اتسمت بالإيجابية في

(١) نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، ١٩١، تحقيق: د/ محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، ط ٨، ص ٧٤، مكتبة النهضة، مصر ١٩٩٠ م.

(٣) دلالات التركيب، د/ محمد أبو موسى، ص ٢٥، مكتبة وهبة، مصر، عابدين، ط ٢، ١٩٧٨ م.

العلاقة بين أسلوب الشاعر، وبين تجربته الذاتية التي عانى منها نتيجة اهتمامه بالنفس الإنسانية، وسبر مكنوناتها، وتحمل آلامها، والإحساس المفعم بحالات يؤسها وشقائها، مما أدى بدوره إلى انطباع أسلوبه التعبيري باليأس والشؤم، وفي ذلك قال رودزرت: (إن الشاعر ليشعر ويفكر بروح العواطف البشرية فكيف إذن يجوز أن يختلف أسلوبه اختلافاً جوهرياً عن اللغة التي يتحدث الناس جميعاً وأريد بهم من يشعرون في قوة ويرون في وضوح) (١).

* الضمائر :

يُعبّر الشاعر بضمير الأنا ليخبرنا به عن خديعته الكبرى في الحياة يقول :

إني ولعت بعيش كله خدع كما برمت بعيش غير مقبّل
ما من مجير على هذا الملل سوى موت يبعد بين النفس والعلل (٢)

بل ويرسل خبره مؤكداً على أن الحياة تظهر له خلاف ما تبطن، وإلحاقها المكروه به من حيث لا يعلم، ورغم حبه الشديد لها، لكنه سئم ذاك العيش وضجر منه وقد بدأ البيت الثاني بنفي يليه جار ومجور ليفيد معنى خاصاً في الجملة، فالشاعر ينفي وجود أي مجير بل وكل مجير ينقذه من هذا الملل باستثناء شيء واحد هو الموت الذي يستطيع أن يكفيه علل الحياة، ولكن هيهات أن يتوقف ذلك الملل يقول:

(١) نقلاً عن عبدالرحمن شكري، شاعراً عبدالفتاح عبدالمحسن الشطي، ص ٢٤٧.

(٢) ديوان الشاعر، ج ١، ص ١٦١.

أعاتب دهري أو تهون خطوبه وأعذل حالي والدموع تشيه
سأندب حظي والأمانى شوارد كأني سقيم قد جفاه طبيبه^(١)

يحمل خطابه معنى استمرارية المعاناة الذاتية بفعل أعاتب وأعذل الدالين على حاله ، وأنه مستمر في العتاب وإهدار الدموع إلى أن يتوقف الدهر أو يقلل من مصائبه المتلاحقة كما أن ضمير المتكلم يحمل دلالة خفية على توجيه اللوم والعتاب إلى المتكلم، وفي العطف دلالة على تلك الشركة الخفية في الأمر، فربما كان لضعف حيلته دور في تلك الاستمرارية ويؤكد المعنى في البيت الثاني بفعل مستقبل له دلالة على استمرار المعاناة في مراحل العمر المقبلة وأنه سوف يبكي الحظ والأمانى لأنها بعيدة التحقق فتلك الحالة جعلته يشبه حالة المريض الذي طال مرضه، وقد هجره الطبيب المداوي .

ولغة الشاعر تبرز معاناة الأنا، يائسة قلقة متصلة اتصالاً مباشراً بموضوعات القصائد التي تعتمد على معاناة النفس إزاء خطوب الحياة ونوازها ولأن (شكري) شاعر مفكر متأمل ينظر بعين فاحصة فلا بد له أن يستقطب من قضايا مجتمعه، وأن تختلط تلك القضايا بروحه ، فيتمخض عن ذلك رسائل تدل على موقف واحد الأنا وعندما يندمج في الجماعة، فيتحدث بضمير النحن عن أخوة العداوة يقول:

إنما نحن أخوة جعلتنا نزعات القلوب كالأضداد

(١) ديوان الشاعر، ج ١، ص ٥٧.

إنما نحن أخوة تركتنا وقعت الأحقاد كالأحقاد
إنما نحن أخوة جعلتنا حمة البغض طعمه للأعادي
قد أقمنا على التخاذل دهرأ فدهانا بسيله كل وادي^(١)

والبنية التركيبية للأبيات تعتمد على أسلوب القصص والتكرار الذين يؤكدان
المأساة المطروحة ، والأخوة المنكوبة ، فنحن أخوة أبناء أمة واحدة نتاج مجتمع
واحد تجمعنا صلة رحم وقربى، وإن ظن الشاهد أو السامع عكس ذلك نظراً
لدلائل العداوة الناتجة عن أحقاد القلوب ، وضعف العزائم والهمم ، وتدلل
(المشاهد على أن حالة النحن قد تتصدع فيتجج خلاف عميق بين الشاعر، وأفراد
الجماعة التي يتكامل معها وعندئذ يتحول الموقف إلى الأنا والآخرين بدلاً من
نحن)^(٢).

وهنا تبدأ محاولات الشاعر لرأب الصدع في حالة النحن الذي أحدثه هذا
الاختلال، ورسالة الشاعر في قصيدته التالية تعبر عن نعيم الأغبياء وشقاء
الأذكياء وأي حال يستوجب اللوم والحزن يقول :

ينعم الغافل الغبي ويشقى عاتب ساءه وقوع القضاء
أيها اللائمون في الحزن مهلاً غافل القلب ميت الأحياء

(١) ديوان الشاعر، ص ٢، ص ١٧٣.

(٢) الخطيئة والتفكير، د. عبدالله محمد الغدامي، ط ١، ١٩٨٥ / ١٤٠٥، ص ١٤٥، نادي الأدبي

المملكة العربية السعودية، "بتصرف".

ما بكينا من الشقاء ولكـ لنا بكينا من ذلنا للقضاء
ضرب الأمن والسلام عليكم وعلينا عرفان وقع البلاء^(١)

فأسلوب المقابلة يتصدر البيت الشعري، ويوضح المعنى المقلوب فالغافل
منعم والواعي ، وتدلل الواو على ضدية المعاني ومغايرتها، كما ينبه الشاعر
اللائمين لحزنه إلى أنه ليس هو المستحق لهذا اللوم؛ بل هو غافل القلب ، لأنه
ميت الأحياء. وعطف ميت الأحياء على غافل القلب بدون الواو دلالة على أنها
تماثلا صفة واحدة . ثم ينفي الشاعر بكاء النحن لتحمل الشقاء، وإنما هو
البكاء لقلّة الحيلة، ذلّ الهامة تجاه القضاء. ورسائل الشاعر تتضمن معاني مختلفة
راغبة في إصلاح الخلل إذ يقول :

لقد عابني الناس أن عفت لؤمهم ومن لم يسغه فهو أجنب بائن
فيا عائباً نفسي- بقولة كاذباً وما عاب نفساً جائر القول مائن
وكيف يطيب العيش للمرء وحده ومن حوله في الناس باك وحائن
يضير شقاء الخلق من حيث لا يرى كما تطرق العدوى وإن قيل آمن
لحّت صدور العجم تضرر بغضتي فقد شاكلتها في الأنام القرائن
سخائم لا يدري سوى الموت سلها إذ بشمت منها النفوس البوائن
وقد يعجب الإنسان من غلّ غيره وقد عمرت في الصدور منها البواطن
كل امرئ فينا حسود محسّـد ولكن على قدر النفوس التباين^(٢)

(١) ديوان الشاعر، ج ٢، ص ١١٠.

التباين^(١)

فالخل يبدأ من المجموع "هم" ويعني به الناس فإذا كان اللؤم صفة مكروهة فيهم، فإذا عفاها شريف النفس منهم، فهو الفاسد الخارج عن الجماعة وجاءت عائياً نكرة دلالة على تحقير حال العائب من القوم ورغم فعله الشائن إلا أنه لا يضر ولا يعيب من كان أصله النقاء، ثم يناجي نفسه كيف يطيب له العيش وفي الناس حوله محروم وبالك، ثم يعود الشاعر ليتحدث عن الإنسان، وقد يعني نفسه أغيره، فالغل^٢ والحسد صفتان تعمربها السرائر والسر- في هذا التباين احتواء كل منا على قدر من صلاح النفس وفسادها.

وتنوع الضمائر في أبيات شاعرنا يمثل مضامين شعرية مختلفة، والضمير في هذه الحالة أداة تنبيه تحمل رسالة شعورية توحى في التجربة التالية بالعظمة، والرهبة، وهو يتحدث عن الليل، فيتخيل الشاعر صوت الليل إنساناً ويحدثه ويحدثنا بضمير الحاضر الغائب إذ يقول:

فصوت الليل من صوت الضمير	مهيب القول كالهادي النذير
يئن صده في صمم الضلوع	ويكسو النفس ثوباً من خشوع
فكم ناجيت سرّك في الظلام	وداء النوم يسري في الأنام ^(٢)

الأنام^(٢)

(١) ديوان الشاعر، ج ٦، ص ٤٧٠.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٢، ص ١١٨.



وجاء الشاعر بكلمة الصوت معرفة بالإضافة لتعظيم الليل وكذا بالنسبة إلى صوت الضمير، فالليل والضمير لهما صوت واحد صفته الهيبة؟ وأداة الاستفهام كم تدل على كثرة مناجاة الشاعر لأسرار الليل و الناس نيام، ليثته آلامه وأحزانه التي يعانيتها من تغير أحوال الناس .

ثم يتابع بقول:

خلصنا منك أسراراً فأنت اليم تعمره المعاني

"فخلصنا" بضمير الجمع توحى بأن هناك غير الشاعر من يشاركونه آلامه ويتعذبون مما يرون من تلون وتحول في صفات البشر وأحوالهم، وتدل من ناحية أخرى على كثرة ما يحمله الليل من معاني لوتدبر الانسان في كنه الليل وحقيقته و لا استطاع أن يخرج بالكثير فهو كالبحر الزاخر المملوء بالمعاني التي تفيض.

* النداء :

والنداء من الأساليب الإنشائية التي ظهرت في أسلوب الشاعر معبرة عن أحوال النفس، وانفعالاتها، ولم يستخدم النداء تجاه الحي العاقل الذي يقع في حيزه كما هو المعتاد، إنما كان مراده من استخدام أدوات النداء (أيا ويا وهيا) أن تكون نقاط ارتكاز تبرز إحساسه المفعم ، وشدة انفعاله تجاه معاناة النفس وعلاقتها وقد نادى الحياة، والنفس، والريح، والروح، وأرواح الموتى، والقلب رامزاً إليه بالقبر وقد مثلت مواقف النداء صرخة ألم، وتوجع صدرت عن قلب الشاعر وروحه المتألمة، متمثلة معاني مختلفة

وقد كان القبر رمزاً لقلب شكري ذي المشاعر الغائرة الدفينة الذي قاسى

الهموم وتحمل الآلام ونداؤه يتكرر للقلبعلى " الشعر يهون عليه كرباتة يقول:

يا قبر هذا الشعر فوقك حلية والزهر في قبر الأحبة ينثر^(١)

فهل أصبح قلب الشاعر بعيدا عنه لا يشعر بمشاعره ولا يتحرك لألم إحساسه؟ هل أصبح كالقبر يدفن فيه ما مات من عواطف ومشاعر؟

إنه ينبه القلب بأنه كالقبر، وكما يزان القبر بالورد والأزهار، فالشاعر يزينه بقصائده التي تعبر عن عظيم ألمه وجليل مصابه وقد أكد هذا المعنى بصورة أخرى يقول:

يا قبر أنت قرارة أرمي بها ما لا أطيق من الهموم فتغمر^(٢)

فتغمر^(٢)

فالقبر رمز القلب وعنده يتساويان في المهام، الظلمة السرية والعمق لما يحويان وفي هذا تفريج لكرب الشاعر ومعاناته.

ونداء الموت من أهم نداءات الشاعر إذ أنه يُعد من الشعراء الذين فزعوا منه

ثم ارتاح بالارتقاء في أحضانه فكان نداء الموت كما يلي :

فيا موت أقبل باسط الوجه طلقه

فإن حميم الصحب ما كنت لاقيا^(٣)

(١) ديوان الشاعر، ج ٥، ص ٤٢٤.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) ديوان الشاعر، ج ٧، ص ٥٤٢.



جاء النداء متلواً بفعل الأمر حتى يكون التنفيذ أمراً واجباً، وكان النداء ترحيباً، وبسطاً، وبهجة، يستقبل به الموت كما يستقبل أعز الأصدقاء. ومجيء المسند باسطاً على هيئة اسم دلالة على ثبات تلك الهيئة، وصيرورتها الدائمة الثابتة للموت، وتعريف المسند إليه دلالة على اختصاص وجه الموت بتلك الصفة، وقد تقرب الشاعر إلى الموت منادياً إياه بأجلّ النعوت التي تتضمن رؤيا الشاعر للموت من وجهة فلسفية تشاؤمية إذ أنه معبد نقدم فيه عبادتنا، وهو منصف المظلوم، والطبيب المداوي للجروح وهو الستر المنيع الذي لا تخترقه الهموم ولا تهمة اللذات يقول:

أيا معبداً قرباننا فيه عشنا
أيا منصف المظلوم من كل ظالم
يا مبرئاً كلم الحياة بطبه
استر لم يصدعك همّ ولوعة

ثم يناديه أن يرحمه ويحن عليه كما ترحم الأم الحنون طفلها وتحن عليه يقول:

فيا موت يا أما أطالت تصامماً أما لك قلب يرأم الوالد حانيا^(١)

حانيا^(١)

(١) ديوان الشاعر، ج ٧، ص ٥٤٢.

وأسلوب الشاعر هنا ذو طابع استعطاف يوضح حاجة الشاعر إلى منقذ يرى فيه القضاء على أسباب تعاسته وشقائه.

* الاستفهام :

والاستفهام من عناصر البنية التركيبية في الجملة الشعرية لدى شكري وهو باب نظرقه لتعرف من خلاله على فكر الشاعر الفلسفي التشاؤمي في قصائده التي جاء فيها هذا الأسلوب فالاستفهام طلب تصور الأمور وإدراك أحوالها وهذا باب الشك الذي يقود إلى اليقين كما يقول الشاعر :

الشك أول منزل العرفان إن اليقين هو المكان الثاني^(١)

وأساليب شكري متعددة في الاستفهام، فقد تبحث عن جواب، أو تطرح السؤال والجواب، ويكون الاستفهام تقريرياً، وتكاد لا تخلو قصيدة عنده لديه من هذا الأسلوب. ومن هذا قول الشاعر:

ألقى الموت ولم أنبه بشعري ولم يعلم سواد الناس أمري^(٢)

أمري^(٢)

فالاستفهام إنكاري، حيث ينكر الشاعر أن يلاقى الموت دون أن يذاع اسمه أو ينتشر خبره، وهو جدير بتلك الشهرة وذئوع الصيت لما يمتاز به شعره من

(١) ديوان الشاعر، ج ٦، ص ٤٩٣.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢٣٤.



روعة وجمال وحسن تعبير ثم يواصل الشاعر تساؤلاته ليخفف بها من آلامه،
يقول :

فمن للقلب يطربه بلحن يحن إليه من نظم ونثر^(١)

فالاستفهام خرج إلى التمني أن يجد الشاعر وسيلة يخفف بها هموم قلبه
وآلامه ، وما الذي يطرب قلب الشاعر إلا ما يعشقه من أدب سواء كان
قصيدة أو نثراً ثم انظر كيف يعبر الشاعر عن موقفه مما يتعرض له في حياته يقول :
حياتي أما للنحس حدٌ ولا مدى فإني كرهت العيش في أول الصبا^(٢)

فالاستفهام هنا إنكاري فالشاعر ينكر أن تكون حياته على ما أصبحت
عليه، وما أدى به لكراهيتها وهو في "أول الصبا" تلك المرحلة التي تكون فيها
النفس مفعمة ، ومقبلة على الحياة
وفي نفس المعنى يقول:

إلى م حياتي أذرف الدمع حسرة
حتى متى أبلو نفوساً ضئيلة

حتى متى ييغون ضري وشقوتي ومالي لو خزانيرت في الناس من عدى

(١) ديوان الشاعر، الصفحة نفسها.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٥، ص ٤٠٥.

إذا كان في نحس الفتى شرفاً له فمال لم أشبع من المجد والعلی^(١)

فتساؤلات الشاعر انكارية، فهو ينكر على دهره أن يوالى عليه مصائبه وآلامه
التي تتسبب في استمرار توالي دموعه وأحزانه ثم إذا كان هذا حال الدهر قد

أصابه بالنحس وتوالى المصائب، وفي هذا دليل على التميز، والوصول إلى قمة
الشرف والمجد فلماذا لم يزهد فيه بعد أن حقق المركز الأول وأصاب قمته؟ وفي
هذا تهكم بفعل الدهر لتوالى نوازله وكوارثه، ويتنقل الشاعر بتساؤلاته إلى باب
آخر يطلب فيه بيان حكمه تضيف للمتذوق المتأمل في بحر تساؤلاته طعماً جديداً
من المعاني يقول :

وكم من جموع ليس تعدل واحداً	فإن ظلام الجهل في الناس كالعمى
ليس الحجي والحق لغزاً ومجهلاً	فهل سعد الإنسان بالعقل واهتدى ^(٢)
فالتساؤل يفيد تقرير أمر رآه	بد أبا قما من ق ذاك البقاء
أنت تقري الأنام من دمعك الغر	ر شأيب عاجزات السخاء
أنت تبكي مما يعالجه الناس	وتأسى لبادات البلاء ^(٣)

فالتساؤل يفيد تقرير أمر رآه الشاعر الفيلسوف ، ولمس حكته الأقوام على

(١) ديوان الشاعر، ج ٥، ص ٤٠٥.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٥، ص ٤٠٧.

(٣) السابق، ج ٢، ص ١١٠.

كثرة عددهم أصابهم الجهل ، فأعمى أبصارهم عمى يشبه كف البصر- ، حيث
تظلم دنيا العقل ودنيا البصر ، ودخول الهمزة على الفعل الناقص أفاد اثبات أن
العقل والحق طريقان للسعادة والهداية ، لكن الأوضاع السائدة حول الشاعر
قلبت المفاهيم وجعلت من ذلك الاثبات أمرا يدعو إلى الشك.

* التمني :

ورغم كل تلك القيود إلا أن أحلام شكري، وأمانيه ظلت ترافقه وتأخذ
حيزاً كبيراً من أحاسيسه رغم تكسر معظمها فوق صخور الواقع. فهو لم يعد
يرقب الآمال بقوله :

لا أرقب الآمال إلا تعلاً^(١) لعل الذي يعدو المرء يصيبه^(١)

فمراقبة الآمال أصبحت لديه مصدراً للترويح عن النفس، ومهرباً من كرب
الحياة، لعل المنى التي أخطأته مرات ربما تصيبه مرة أخرى . والتمنى طلب
الحصول على شي غير متوقع حدوثه، ويختلف عن الرجاء الذي يُعمد إليه في
الأمور المتوقعة حدوثها. . يقول :

(١) السابق، ج ١، ص ٥٧.

ليت لي نظرة إلى الزمن الآتي البعيد الخطأ الغريب الحال^(١)

لماذا هذه الأمنية المستحيلة التحقق أن يخترق الغيب، وأن يملك صفة كشف المستقبل يجيب شاعرنا إن تحقق هذه الأمنية سوف يريح فؤاده ويقول :

يريح الفؤاد مما يعاني الطر ف ولؤم هذه الأحوال^(٢)

فالحال شقاء، والتعاسة تعم الأفئدة، فلعل في كشف القادم ما يريح الخاطر حين يرى خبراً يطرب له الفؤاد . وقد يرفض الأمانى المحقق وقوعها لا لشيء إلا أنه بتحققها قد يعيش عيشة لا يرضاها ولا يألّفها أمثاله، وفي هذا الرفض معاناة تصيب أمثاله من العقلاء الحكماء، ويقول :

لو منينا بعيشكم ما رضىنا ضاحك القلب جاهل بالبقاء^(٣)
(٣)

فالجهل بأمور البقاء شقوة، وضر بالقلب، وإن كانت السعادة تسكن تلك القلوب الجاهلة فهو لا يتمناها أو يرغب في تحقيقها. وقد يعلل نفسه برجاء في الدهر إذ يقول :

لعل الذي أرجو من الدهر واقع فقد كان ما قد كنت دهرًا أحاذر

(١) السابق، ج ٢، ص ١٦٨.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) ديوان الشاعر، ج ٢، ص ١١١.

عسى أن يعود العيش جما جماله ففي الروض فينان وفي الأفق زاهر^(١)
(١)

رجاء متوقع التحقق، وأمني متفائلة ترغب في تبدل الحياة أو عودة الجمال
ففي الأفق سعة وآمال زاهية. وهو يشعر بقدرته على تحقيق الخير إذ يمني بقوله :

يا ليت نفسي ربح لفح لافحها يطهر الكون من شر وأشرار
وتنثر الخير نثر البذر يحمله نسّم الرياح على زهرٍ وأثمار^(٢)
وأثمار^(٢)

فيتمني الشاعر أن تكون نفسه ريتطهر الكون بما لديها من قوة تغير
معالم الأرض فتغير الشر إلى الخير وتمحو آثاره، بل وتنثر بذور الخير كما تفعل
الريح ببذور النبات ، فالكون كله بيت للشاعر يعبر عن حبه العظيم للكون فكل
ما تهفو إليه نفسه وتطلب يجد فيه راحته ، يقول :

يت لي فيك نفساً حرة أبداً الكون بيتي وما أهفو به داري

لكنه يعلم أن آماله لن تتحقق وإنما هي صدى صيحات تتردد يقول :

هيهات مالك فيما شئت منطلق تجري الرياح بأحكام ومقدار^(٣)

(١) السابق، ج ٣، ص ٢١٤.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٦، ص ٤٠١.

ومقدار^(١)

ويطلب ان لشاعر من الدهر أن يرفق به ويحن لحاله ويمسك عنه نوازله،
ولكن أنى له ذلك، فيقول :

آلا ليت للأقدار قلباً وفطنة أيرحمنا من لا يساء ويجذل^(٢)

ولكن لما بلغ اليأس بالشاعر من أن يرق القدر لحاله ، يتمنى ما هو مستحيل،
ولكنه تمنى أن ينفس به عما في نفسه حين يتمنى وجود الدهر رجلاً يقتله، فيريح
ويستريح، يقول:

لو كان هذا الحتم قرناً قتلته فأمرته حمل على النفس يثقل^(٣)
يثقل^(٣)

ولم يكتف الشاعر بتمنى المستحيل حين تمنى قتل الدهر ليريح نفسه من
عنائها، ولكنه يطلب من قلبه أن تكون في صدره كالميت فلا يشعر بآلام الحياة
ونوازلها، ثم يتمنى مستحيلاً آخر بأن يأتي الموت للإنسان الذي لا يبغى الحياة
،فيريح من ألمه، يقول :

يا قلب كن في الصدر كالميت واسترح كفى مرير العيش يا قلب ما مضى-
فيألمت أن المرء إمّا دعا الردى أتاه فلا نحس^٤ يروع ولا أسى^(٤)
(٤)

(١) ديوان الشاعر، ج٦، ص ٤٠١.

(٢) السابق، ج٦، ص ٤٥٧.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) السابق، ج٥، ص ٤٠٦.

وأمانيه للخلاص من هذا العيش متعددة الألوان والأشكال يقول فيها :

لو كان لي حيلة أفني بها مللي من الحياة لما قصرت الحيل^(١)

أو أن يكون كزهر صيف لا يأتي عليه شتاء فيذبل ويفنى فيقول :

يا ليتني كالزهر صيف حياته فأفنى ولم يعنى على شتائيا^(٢)

وعلى الرغم من تلك السوداوية الحالكة التي يعيش فيها، إلا أن هناك طاقة نور تشرق على نفسه فتضيء لها الطريق، فالأمل في الله وحده بأن يرسل عليه فيضا من سكينه، تهدأ بها روحه وتستقر نفسه، يقول :

عسى أن يتيح الله صبرا يحوطني فتهدأ أضلاعي وترقا أدمعي^(٣)

* القصر :

والقصر من الأساليب المعبرة عن معاني، ومضامين نفسية بطريقة متقنة إذ هو تخصيص الشيء بالشيء، ويكون إما تخصيص موصوف بصفة أو صفة بموصوف وهو من الأساليب التي لا يكثر استعمالها في شعر الشاعر لكنها تأتي في بعض أبيات قصائده لتدل على معاني تشاؤمية منها ما جاء في قول الشاعر :

وما الدهر إلا البحر والموت عاصف عليه وأعمال الأنام سفين^(٤)

(١) ديوان الشاعر، ج ٢، ص ١٦١.

(٢) ديوان الشاعر، ج ٧، ص ٥٤٤.

(٣) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢٢١.

(١)

وهذا من قصر موصوف على صفة ، فالدهر كالبحر في اتساعه أو عمقه، وجيء
بكلمة عاصف على هيئة اسم الدلالة على دوام حال هذا البحر فهو دائم في حالة
هياج، وثورة تأخذ الأعمار ، أو تعصف بالأنام، وله معنى آخر يرمى إليه بقوله :
وما العيش إلا الذئب ترمي نيوبه وللعيش ناب قاتل وأظافر^(٢)
(٢)

فلم يعد من العيش إلا دموية الذئب ووحشيته، فكأن للعيش أنياب
وأظافر، ممثلة في أقداره وصروفه القاهرة، وانتفاء كل صفة للعيش دون ذلك
دليلا على التشاؤمية التي تظلل رؤيا الشاعر، وتجعله يرسل مثل تلك الآراء إذ
يقول :

ليست حياة المرء إلا كنفخة سل الموت عنها والسنين السوافيا^(٣)
(٣)

(١) السابق، ج ٣، ص ٢١٢.

(٢) السابق، ج ٣، ص ٢١٣.

(٣) السابق، ج ٧، ص ٥٤٣.



فهو يرى حياة الإنسان بكل ما فيها من مراحل، وأحداث سعيدة ومريرة كشعلة شمعة تنطفي بنفخة واحدة من الموت، ويصير آخرها فناء. وشكري يستخدم العنصر الادعائي في كل ما سبق وليس التحقيقي، فإن مضمون القصد في تلك الأبيات السابقة (لا يطابق الواقع الخارجي وإنك لطارقاً لحسّ القائل ودوافعه النفسية)^(١)، فإحساس شكري بالحياة يتمثل في تلك المعاني والصور وهذا ما يسمى قصر ادعائي (وليس القصر الادعائي من باب الكذب ما دام يقوم على المطابقة النفسية وإنما هو كلام عليه وشاح من الانفعال، وقوة الشعور، وعمق الإحساس بحقيقة من الحقائق)^(٢)، والذي يدل على صدق ذلك، أن الانفعال هو الباعث خلف تصوره لتلك الحقائق .

وبالإضافة لما سبق اعتمد أسلوب الشاعر على جواب يفهم من سؤال، أو قد تجيء (عدة جمل تجيب عن حال فرضته الجملة الأولى، فيتوالد الكلام، وتتناسل الجمل)^(٣) مثل قوله:

كلاب ترى أن العواء يزيد	فلا تنخدع بالناس عني فإنهم
وأصدق صحتي في الوداد يمين ^(٤)	أعز صديق في الخفاء يكيديني
(٤)	

(١) دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، ص ٤٧

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٤ .

(٣) بتصرف دلالات التراكيب، محمد أبو موسى، ص ٣١٢ .

(٤) ديوان الشاعر، ج ٣، ص ٢١٢ .



ففي البيت الأول نهى الشاعر عن الانخداع بالناس ووصفهم بالكلاب التي
تعوى ، ثم جاء البيت الثاني إجابة لسؤال أثير في نفس القارئ لماذا ؟ لأن أعز
صديق قد دبر له وأصدق صاحب كذب عليه !

وفي النهاية فقد حاول البحث تسليط الضوء بالقدر المستطاع على أهم
عناصر البناء التركيبي للقصيد التشاؤمي لدى الشاعر، وقد حاولت أن أبحث
عن العلاقة بين اعتماد لغة الشاعر على أساليب البناء التركيبي للجملة وبين
دلالات الشاعر النفسية والفكرية، ولم يكن القصد حصر الأساليب بقدر ما هو
استنتاج لتلك العلاقة وإشاراتها إلى سوداوية الفكر وتشاؤمية النفس لدى
الشاعر، ولن تكتمل الصورة، ويتكون الرأي حتى تحلل البنية التصويرية
والإيقاعية في قصيدة عبدالرحمن شكري التشاؤمية.

المبحث الثالث

البنية التصويرية

للصورة الفنية أهمية لدى قدماء النقاد ، ولكنها لم تكن بهذا الوضوح والتقنين الذي وجد في حاضر النقد الحديث فقد عُرِفَت الصورة لغوياً بأنها « الصورة في الشكل والجمع صُورٌ وصورٌ » ، وقد صورته فتصور ، وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي ، والتساوير التماثيل «^(١) .

وصورة الشيء ماهيته المجردة ، وخياله في الذهن أو العقل «^(٢) .

وقد توصل العالم البلاغي عبد القاهر الجرجاني إلى مفهوم الصورة فقال : « الصورة إنما هي تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا »^(٣) .

كما أن الجاحظ قد جعل الشعر فنا من فنون التصوير بقوله : « إنما الشعر صناعة جنس من التصوير »^(٤) . وما التصوير إلا احد « الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأشياء حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام »^(٥) . والذي

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٨ ، ص ٣٠٤ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٦ م . مادة (صورة) ط ٤ ، ٢٠٠٥ .

(٢) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية في مصر ، المكتبة العلمية ، مادة (صور) .

(٣) دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ، تعليق محمود شاكر ص ٥٠٨ .

(٤) الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الفكر ، ج ٣ ، ١٣١ ، ١٣٢ .

(٥) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد محمد أبو موسى ص ٤٠٣ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،

ط ٣ ، ١٩٨٨ م .



يعطي الصورة تميزاً صلتها بالحسية التي تنبثق من خلال الرؤية الشعرية للمحيط الذي يعيشه الشاعر فينقل من خلاله مشاعره وأفكاره ونظراته تجاه مواضيع ذلك الواقع ومن هنا تكون الصورة وسيلة « ينقل بها الكاتب أفكاره ويصنع بها خياله ، فيما يسوق من عبارات وجمل »^(١) . بأسلوب يكون فيه « مجال ظهور شخصية الكاتب وفيه يتجلى طابعه الخاص »^(٢) .

ومن المفاهيم حول الصور الفنية مفهوم د/ إحسان عباس الذي يقول: « أنها » تعبير عن نفسية الشاعر وأنها تشبه الصور التي تترأى في الأحلام ، ودراساتها مجتمعة قد تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري »^(٣) .

فالبحث عن المعاني الخفية والصلات المنعقدة من أسباب دراسة بنية الصورة في قصيد شاعرنا ، و الصورة لدى شكري متعددة المزايا :

١ - ازدواجية المشاعر تجاه الحياة والموت ، ومعاني الجمال والقبح في الكون .

٢ - التشاؤمية التي مالت إليها شخصيته في مرحلة من مراحل العمر .

٣ - ثقافته الفكرية التأملية الفلسفية وتأثرها بالمذهب الرومانسي .

٤ - الطبيعة وصلته بكائناتها .

(١) الأدب المقارن ص ٢٢٦ ، محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة .

(٢) الأدب المقارن ، غنيمي هلال ص ٢٢٦ ، نهضة مصر للطباعة .

(٣) فن الشعر ، إحسان عباس ، ص ٥٣٨ .

ومن أهم موضوعاته الشعرية ذات الشاعر، والعلاقات الاجتماعية، وشقاء الوجدان، والرغبة من الموت.

١ - الصور البيانية.

أ) التشبيه :

مثلت الذات الإنسانية ركناً أساسياً في صور الشاعر طاف حولها بفن التشبيه فكان من أكثر عناصر البيان التي تغنى بها شكري وخاض في بحورها فالتشبيه لغة : التمثيل^(١) . وهو « الوصف بأن أحد الموضوعين ينوب عن الآخر بأداة التشبيه ناب التشبيه منابه أو لم ينب وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه »^(٢) . وقد رأى العالم عبد القاهر الجرجاني أن وظيفة التشبيه تتعدى المماثلة والمبالغة بل أن « الصور تتداخل وتتركب وتأتلف ائتلاف الشكليات يصيران إلى شكل ثالث »^(٣) . والشاعر عبد الرحمن شكري يطمح أن يكون هذا الشكل الثالث قريباً إلى عالم العقل والنفس الإنسانية إذ أن أهمية التشبيه تكمن في قدرته على « إثارة الذكر أو الأمل أو إثارة عاطفة من عواطف النفس، وإظهار

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (شبه) ج ٨ ص ١٧ .

(٢) الصناعتين الكتابة والشعر ، أبي هلال العسكري ص ٢٤٥ ، دار الفكر العربي ، تحقيق علي البجاوي ، محمد إبراهيم ، ط ٢ .

(٣) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ص ١٩٤ .

حقيقة معينة ، ونرى من شعر شكري أن التشبيه لا بد أن يبين التماثل في العلاقة بين الشيء الموصوف وبين النفس البشرية وعقل الإنسان ولديه متى يستحق المشبه بالوصف كلما قربت علاقته من العقل والنفس»^(١) يقول الشاعر^(٢) :

وكان وجيع الحزن حلم إذا مضى وذكرى دموع الباكين غمام
وإن شقيت بالعيش نفس كليلة فلرمد من لون المنون جمام

فوجيع الألم والحزن كالحلم الذي يمر عليه سريعاً وأما ذكرى عيون الباكين فمثل الغمام الذي يحجب ويستر خلفه فكأن تلك الذكرى بدموعها قد حجبت خلفها مشاعر الألم والحزن ومظاهر التشاؤم التي انتابت الشاعر.

ثم لننظر إلى تلك الصورة التي توضح رأي الشاعر في سعى الإنسان في الحياة نحو تحقيق أهدافه وطموحه، يقول^(٣) :

وليست مساعي المرء إلا جنازة تخب به نحو الردى وتسير
وقد نلاحظ في هذه الصورة التشبيهية ملامح التشاؤمية إذ أن كفاح المرء وجهاده وثمره مساعيه ما هي إلا جنازة تعبر به إلى طريق الهلاك والفناء ، فالموت مكافأة السعي والردى ثمرة الجهاد .

والملاحظ أن وجه الشبه في معظم الأبيات التشبيهية منتزعا من متعدد وقد

(١) مقدمة ديوان الشاعر ج ٥ بتصرف .

(٢) ديوان الشاعر ج ٤ ص ٣٩٠ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٤ ص ٣٠٤ .

أجمع علماء البلاغة على أن التمثيل ما كان وجه الشبه منتزعاً من متعدد^(١) . مثل
مثل قول الشاعر حين يصف روح السوء بقوله^(٢) :

يا سوءاً ما مثلها من سوءاً مابك من حقد وأوغام
يا سوءاً كالدهر في وسعه تنمو بمر العام والعام

فوجه الشبه منتزع من متعدد إذ أن هذه الروح السيئة بل الخبيثة تشبه الدهر
الذي لا نهاية له ، وليس ذلك فحسب إنما هي تزداد نمواً ولساعاً وقدماً في نشر
آثامها وسوادها على وجه الأرض وقد ذكر البلاغيون أن التشبيه التمثيلي يأتي
على وجهين الأول التمثيل الحسي وهو المنتزع من ظواهر الكون التي تبصر-
وتسمع ومن ذلك قول الشاعر^(٣) :

يا ريح مالك في الخلق موحشة مثل الغريب غريب الأهل

فالريح تجوب الديار في وحشة ووحدانية يحسها الشاعر ويرغب التعبير عنها
فشبها باحساس الإنسان بالوحدة والوحشة وهو غريب عن الديار والأهل »
وكلما كانت الصورة التي رسمها الأديب موجزة وواضحة ، كان تأثيرها أسرع
في نفس المتلقي وسنلاحظ هذا التأثير الناشئ عن الصورة ذات التفاصيل

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ص ٢٣٤ ، دار إحياء العلوم بيروت ،
ط٣ ، ١٩٩٥ م .

(٢) ديوان الشاعر ج ٤ ص ٣٥٢ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٥ ص ٤٠١ .

العديدة في الطرفين أو أحدهما»^(١) كما جاء في قول الشاعر :

يُخلفنا الأُحباب كروح هزه شتاء يُعري غصنه ودبور^(٢)
فوجه الشبه طرفاه حسيان إذ أن حالة الحزن والذبول ، وفراغ القلوب التي
تصيب الأحياء نتيجة فراقهم الأُحباب تكون واضحة على نفوس البشر- كذا
حال الحديقة الغناء عندما يعتريها شتاء قارص بعد ربيع مزهر فتعري أغصانها
من كل ورق أخضر وزهر ملون ويصيب غرسها ذبول ودبور بعد زهاء
وبهاء .

والوجه الثاني للتمثيل هو ما يكون وجه الشبه فيه عقلي تخيلي وربما وهمي
كقول الشاعر^(٣) :

يا حسن ما تملئ الخيالات إنها حلّ على جيد من الدهر أجرب
فوجه الشبه طرفاه عقليان متزعان من متعدد حسن صنيع الخيالات الذي
يشبه الهيئة الناتجة من الصورة المركبة والمتخيلة بما يركب على جيد الدهر المصاب
بالجرب المقرز كإنسان يحلي جيدك المصاب بأنواع من الحلّ والمجوهرات الثمينة ،
فما فائدة تلك الزينة ؟ لا شك سيذهب حسنّها وجمالها نتيجة وجودها على هذا
العنق الذي تشمئز منه النفس

(١) في البلاغة العربية علم البيان ، د/ حسن البنداري ص ٩٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٩ م ،
بتصرف .

(٢) ديوان الشاعر ج ٤ ص ٣٠٤ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١٢٩ .

ومن التشبيه التمثيلي قول الشاعر^(١) :

سأندب حظي والأمني شوارد كأني سقيم قد جفاه طبيب
يصور شكري نفسه وهي تلهث سعيًا خلف الأمني النادرة التحقيق البعيدة
المنال و صورة جسم المريض العليل وهو في حاجة الطبيب لكن الطبيب شبيه
الأمني جاف قاس وشديد البعد .

وإضافة إلى معاناة شكري الذاتية ، فقد فقدَ ثقته في معظم الأصدقاء و
أحجم عن ودّه أقرب الأخلاء يقول في ذلك^(٢) :

وقلبه جهنم الأحقاد وإن بدا في الصمت كالجماد
تشبيه تمثيلي يصور قلب الصديق المنافق بنار جهنم الحارقة المملوءة بألوان
الكراهية والبغض في حقيقته وهو في الظاهر يشبه الجماد بقدرته الفائقة على
النفاق والخداع^(٣) .

وتشكل صور الشاعر الفنية مشاعر الوجد والحب الصوفي ، فتشارك روح
المشاعر وعقلة تلك السوداوية التي أصابت قصيده لفترة من الزمن يقول^(٤) :

(١) ديوان الشاعر ج ٤ ص ٣٩٠ .

(٢) السابق ج ٧ ص ٥٦٠ .

(٣) ومثله قول الشاعر ج ٤ ص ٣٤٠ :

كم ضاحك هو مثل الزهر مبسمه وفيه حتفك من سم وذيقان

(٤) السابق ج ٣ ص ٢٣٠ .

أنتم كالزهر تمحو زهوہ
ريح سوء حملت جرثوم داء
إن حبي ریح سوء قتلت
زهو قلبي من حياة ورجاء
فاحذروني واتقوني جهدكم
إن في قلبي لكم عدوى شقاء

يشبه الشاعر الحبيب في رفته وعذوبته بالزهر المعرض للفناء ؛ لأن ريحاً شعواء تحمل الجراثيم والداء ستهجم تلك الأزهار وتقضي على بهجتها كما قضت على هناء قلبه وبهجته وربما كان القصد من الرمز بالريح ذلك الإحساس بالشؤم والنحس الملاصقين للشاعر فقد يصيبان كل من أحبه أو اقترب منه دون حرص أو حذر .

وقدعدّ التمثيل والإعجاب بالموت ظاهرة في شعر عبدالرحمن شكري قدّم عنه صور غريبة تارة ورحيمة ، ومألوفة تارة أخرى جاء منها في باب التشبيه قوله^(١) :

الموت كالأسد العداء تلقمه
لذائد العيش تخشى من أنيابه
لا بل هو الظئر والأرواح في يده
كالطفل في المهد لا تألوه إطراباً

والصورة السابقة تثير الإعجاب لأنها تعمل الذهن « فالمتعة الذهنية تتأتى للقارئ من إعمال فكره فيما يقرأ ، وتفهمه المستمر وربطه لما مضى بما هو آت »^(٢) فالشاعر يصور الموت في صورة تشبيه تمثيلي طرفاه معنوي حسي- ، إذ يقرب

(١) ديوان الشاعر ج ٦ ص ٤٥٠ .

(٢) الصورة الشعرية والبناء الشعري ، محمد حسن عبد الله ص ١٥١ ، دار المعارف ١٩٨١ م .



الصلات بين الشبهان ويرسم صورة حسية تفصح عن نوعين من الأحاسيس :
إحساس بقوة هذا الموت فهو كالأسد الجائع الذي يهجم ملتقماً لذائذ ومتع
الحياة ، وإحساس آخر برحمة هذا الموت وحنوه ، فهو كالمريض لتلك الأرواح
يخاف عليها ، ويرأف بحالها ، ولا يألو جهداً في رعايتها ، فإذا أعملنا الذهن
للتوصل إلى الحقيقة الحاصلة والمرجوة من تلك الصور الحسية المفعمة بالقسوة
والرحمة لمعنى الموت لأدركنا أن إحساس الشاعر وعاطفته المتضادة والمتقلبة بين
خوف واطمئنان تجاه الموت هي الدافع وراء ذلك الانفعال الذي أدى بخيال
الشاعر لإعادة إنتاج تلك الصورة ، وفي الصورة التالية يجد الشاعر لذة وحلاوة
في استقبال الموت يقول^(١) :

فيا موت أقبل لا كإقبال رائع مرير كطعم العيش ويؤلم من حسا
ولكن كترنيق النعاس بمقلة طواها الكرى أو مثلما تفعل الطلا

فاستقبال الشاعر للموت هادئ حلو المذاق ، يداعب النفس والروح كما
يفعل النعاس بالعين المستعدة للنوم فنفس الشاعر ترغب بموت يداعبها لا أن
يشقيها كما فعل العيش بها وقسا عليها .

والذي يحلل صور شكري الفنية ، ويدرك خافي مراميها يجد فيه شاعراً
مرهف الإحساس قد تم إدراكه للصورة من خلال تزاوج الحس " والعقل »
فالفنان لا يدرك الحقيقة إدراكاً حسيّاً ولا يدركها إدراكاً عقليّاً إنما هو يدركها

(١) ديوان الشاعر ج ٢ ص ٤٠٦ .

بوصة محسوسة فعنصر الحس^١ يحرك طاقة الخيال لدى الفنان ، ويعمل الخيال
تدرك الحقيقة لا كموضوع ولا كفكرة ، وإنما يدركها مما صورته^(١) .

ب (الاستعارة :

الاستعارة أسلوب أعمق من درجة المشابهة ، لأنها عملية دمج بين المشبه
والمشبه به دون ذكر المشبه به حتى يصير شيئاً واحداً فالاستعارة لغة : طلب
العارية ، واستعارة الشيء ، واستعاره منه طلب منه أن يعيره إياه^(٢) . وقد عرف
السكاكي الاستعارة بقوله : « هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف
الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك باثباتك للمشبه ما
يخص المشبه به »^(٣) .

وفي اصطلاح البلاغيين استعمال كلمة بدل كلمة أخرى لعلاقة مشابهة
موجود بين المعنى الأصلي الأول والمعنى الجديد الثاني ، مع توافر دليل أو قرينة
تدل على هذا الاستعمال الجديد^(٤) .

وقد استخدم شكري الاستعارة بدرجاتها التشخيص والتجسيد وجاء فيها
أنها « نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة مثال ذلك

(١) التركيب اللغوي للأدب ، لطفي عبد البديع ص ١٩٢ ، النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٠

(٢) لسان العرب لابن منظور ، مادة عورج ١٠ ص ٣٣٤ .

(٣) مفتاح العلوم أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي ص ١٧٤٠ ، القاهرة ١٣٥٦ - ١٩٣٥ .

(٤) في البلاغة العربية (علم البيان) حسن البنداري ص ١١٦ .

الفضائل والردائل المجسدة في المسرح الأخلاقي أو في القصص الرمزي الأدبي .
ومثاله أيضاً مخاطبة الطبيعة كأنها شخص يسمع ويستجيب في الشعر
والأساطير»^(١) .

ومما جاء في تجسيد المعنويات إلى حسيات قول الشاعر^(٢) :

وجعلت الفراش مأوى همومي فاستزادت من الظلام ظلاما
هو موري الأشواق بعد جمود وهو داء يهيض السقاما

جسدٌ مد من الفراش حضناً يأوي إليه ليفرغ به همومه ، وهو في هذه الصورة
يدخل في حالة معنوية يشعر فيها بظلمة حالكة ظلمة الهموم مضافاً إليها ظلمة
الليل ، وذلك الإحساس يولد لديه صورة استعار فيها خاصية الاشتعال لظلام
الليل ، وكأن ذاك الظلام نار تشعل الهموم والأشواق فهي هموم حارقة تحرق
الروح والجسد منه . وهو بتلك الصورة شبيه الداء العضال الذي يهيج الأمراض
في الجسد ويجلب السقام للروح . كذا مما جاء في صور الشاعر التشخيصية معان
تصور معاناته الذاتية بل وإحساس عناصر الطبيعة بتلك المعاناة ومشاركتها له
فيها قوله^(٣) :

وما أحسب اليم الخضم بئائر إذا كان هذا اليم يشقى ويألم

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص ١٠٢ ، مجدي وهبة ، كامل المهندس ، مكتبة البيان
ط ٢ ، ١٩٨٤ م .

(٢) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١١٥ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١٦٩ .

فالبحر يشاطر الشاعر آلامه وثورته فيصور منه شخصاً هائجاً ثائراً يملك
أمواجاً طخبة عالية تهدر ألماً وشقاءً لألم الشاعر وثورته . ومما أبرز قيمة تلك
الصورة الاستعارية بعدها عن الحقيقة إذ أن مشاعر الألم والثورة والشقاء خاصة
ببني البشر ، ولكن الشاعر ذكر ما يناسب الإنسان وهو المستعار منه دون أن
يذكر في التعبير لفظاً يدل عليه لأن ذلك يبطل الغرض من الاستعارة ، أي دخول
المشبه في جنس المشبه به والاتحاد به^(١) .

كذا يشخص من الريح إنساناً يفشى الأسرار بقوله^(٢) :

يا ريح رفقا بقلب هجت لوعته يا ريح أفشيت أشجاني وأسراري
في الصورة استعارة خلاصة استطاع فيها الشاعر أن يحرك مشاعر القارئ
وإعجابه فهو يشبه الريح بإنسان يفشى الأسرار ، فاهتاج ألماً وازداد فزعا الطبيعة
وكذا يحدث لمن ذيع سره وعُرف أمره الشعور بالافتضاح والضياع بين العباد .
وقد ارتقى الشاعر في صورته التالية بالمعاني المجردة وجعلها تتصف بصفات
الإنسان في قوله^(٣) :

وحاول مني الهم صبراً فلم أزل أدافعه حتى أبحت له صدري
فالمدافة أمر يحصل بين قوتين إحداهما تقاوم الأخرى حتى تكون الغلبة

(١) في البلاغة العربية علم البيان ، حسن البنداري ص ١٤١ - ١٤٢ ، بتصرف .

(٢) ديوان الشاعر ج ٥ ص ٤٠١ .

(٣) ديوان الشاعر ج ١ ص ٣٢ .

لأحدهما . وقد جعل الشاعر من الهم قوة مدافعة تحاول غزوه متجملّة بسمة
الصبر في حربها إلى أن استطاع الهم الفوز بالمعركة واختراق الحصار واحتلال
القلب والروح هوناً لا غصباً .

والاستعارة التالية تظهر قنوط ويأس الشاعر وهو ما زال في ريعان الشباب
يقول^(١) :

لقد لفظتني رحمة الله يافعاً فصرّت كأني في الثمانين من
فرحة الله وسعت كل شيء، ولكن أن تلفظه كما يتذوق الإنسان ثم يلفظ،
فكذلك فعل الخروج من الرحمة، فالشاعر في مرحلة الصبا، ولكن من يراه يرى
صورة كهل في الثمانين؛ فما ذاك إلا نتيجة من نتائج الشؤم والبؤس الناتجين عن
قسوة البشر التي أحاطت به وبكل جوانب حياته ، ترى الشاعر يحاكي قول لبيد
بن ربيعة يشتكى من قسوة طول العمر يقول^(٢) :

قامت تشتكى إلى النفس مجهشة وقد حملتك سبعاً بعد سبعيناً
فإن تزدادي ثلاثاً يتلقى أملاً وفي الثلاث وفاء الثمانينا
والفرق أن لبيداً قد قبلها ولكن شكري أحسها وهو ما زال في ريعان
شبابه .

(١) السابق ج ٢ ص ٣٢ .

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة ص ١٣٩ ، اعتنى به حمد وطماس ، دار المعرفة بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .

كما وصف شكري ردائل الأخلاق ومها النفاق بقوله^(١) :

إذا بدا البشر- في وجه صاحبي ظل مروعاً خوف عاقبة البشر-
يحيك من ألحظه بطلاقة يأكل عرضاً منك بالناب والظفر

تحكي الصورة خوف النفس وروعها من بشاعة اللقاء مع الأصدقاء لأن
الشاعر يعاني من داء النفاق المتخفي خلف بشاشة الأخلاق فقد استعار للمنافق
صفة الفتك والافتراس الخاصتين بالحيوان وقصد بها الغيبة والنميمة الناتجتين
عن حقد القلوب ، وهو في ذاك المعنى وتلك الصورة متأثر بقوله تعالى : ﴿يَتَأَيَّهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم
بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَّحِيمٌ﴾^(٢) .

ومن صور معاناة الوجد ، ما جاء يحكي ظلمة الشاعر من الهجر وأنها
كظلمة الليل ، يقول^(٣) :

وأودعك الليل البهيم همومه أصبحت حران الفؤاد متيماً
فقد استعار الشاعر ليل صفة إنسانية ، فقد استودع الليل الحبيب الهموم
والأشواق وحرقة الفؤاد حتى أصبح قلبه مهموما حزينا فزاد في آلامه وأضاف

(١) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٢) سورة الحجرات ، آية ١٢ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢٨٢ .

إلى يأسه وقنوطه، ثم يتلو تلك الصورة بأخرى يقول:

وتعلم ما ودى وما كان منكم وتعرف أي الباقيين سراب
وتبكي على العهد القديم إذا بس لحسن فان عنك إياب

ويحذر من غدر الزمان وتحول الجمال إلى قبح والشباب إلى هرم:

وما ينفع المرء الحزين بكأؤه إذا أصاب ظفر للزمان وناب
تصبح يوماً في التراب مجندلاً بفيك وفي العينين منك تراب^(١)

يحذر الحبيب من تحول الحال وزوال الجمال، وقد جسد من آثار الزمن
ومتغيرات العمر حيواناً له ظفر وناب يعبث في الجمال فيحول له إلى قبح، ومن
التراب صارعاً مفنياً لذلك لجمال.

(ج) المجاز المرسل، والمجاز العقلي.

من جوز جزت الطريق وجاز الموضع، جازه سار فيه وسلكه، وتجاوز في
كلامه أي تكلم مجازاً، وقولهم جعل فلان ذلك الأمر مجازاً إلى حاجته أي طريقاً
ومسلكاً^(٢). وفي اصطلاح البلاغيين هو «كل كلمة جزت بها ما وقعت له في
وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً، لملاحظة ما بين
ما يجوز بها إليه وبين أصلها الذي وصفت له في وضع واضح»^(٣) وقد قسم البلاغيون

(١) السابق ج ٢ ص ٢٨٢.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ٣ ص ٢٣٩ مادة جور.

(٣) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ص ٣٠٤.

المجاز إلى مجاز عقلي ومجاز لغوي يشتمل على الاستعارة والمجاز المرسل فكانت العلاقة في الاستعارة هي المشابهة ، وفي المجاز فهي غير المشابهة وهي « ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه »^(١) .

والتعبير بصورة أو صيغة جديدة مغايرة للحقيقة قد يكون « بالتصرف في دلالات الكلمات الذي يشير من وجه آخر إلى مدى إمكانية الاستجابات الذهنية للكلمات في طبيعة أصحاب اللغة ... فهي واحدة من آثار الذكاء واللمح وسرعة الإدراك ، وكان ابن جني يسمي المجاز شجاعة العربية ... لأنها تقتحم بالألفاظ أودية غير أوديتها معتمدة في ذلك على إشارات القرائن وإيجاءات السياقات التي تشير+ إليها القلوب الفطنة الذكية »^(٢) .

ولقد خاض شاعرنا بألفاظه المجازية أو المعاني معتمداً على إشارات وقرائن تدل على أيام الرخاء والشقاء التي عاشها بقوله^(٣) :

سأذكر أياماً نعمت بلبسها إذا ما شدا عند النضير خطيه

فقد أوجد الشاعر علاقة غير المشابهة في كلمة لبس وهي المخصصة للأثواب وغيرها من حلّ زينه ، وبين الأيام وفي الكلمة استعارة مكنية لأنه أراد حاله التي كان عليها من تمتع بعشرة ومصاحبة لتلك الأيام ، وشعور بالأمان ، كما أن من

(١) الإيضاح في علوم البلاغة القزويني ص ٢٥٤ .

(٢) التصوير البياني ، محمد محمد أبو موسى ٣٥٧ ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٩٣ م .

(٣) ديوان الشاعر ج ١ ص ٥٨ .

النعمة لبس الأثواب الفاخرة والتباهي بالزينة المكلفة ، فكان استخدامه للإستعارة هو الأملح في ذاك الموقع ، فسوف يذكر نعمة تلك الأيام إذا ادلهمت الأحداث وشدت الخطوب . ومما قاله شكري في ذاك النوع من فنون البيان قوله

أنسى بكائي والعيون هواجع أراقب ليلاً غائر النجم مظلماً
أنسى انفرادي والتياحي ولوعة كأن لها بين الأضالع أرقماً^(١)

أطلق الشاعر لفظ العيون هواجع ، وأراد بها النفس المطمئنة التي تسكن وتنام لأراحة البال تلابسها وتطمئن فكرها وروحها وأما هو روحه فتعاني الأرق والسهاد ، ترقب الليل وظلمته ، والعلاقة جزئية فالعيون جزء من الجسد وعندما تسكن الروح يسكن الجسد وتنام العيون وتهجع النفس ، ومما جاء في المجاز العقلي وهو « الكلام المراد إسناده عما هو له عند المتكلم إلى غيره بضرب من التأويل ، والمراد بما الإسناد له عند المتكلم ما يعتقد قيام العقل به أو صدوره عنه »^(٢) قول شكري^(٣) :

مدت لك الذكرى وجيع القيود مخبوءة في خدعات الجودود
كأنها ذوا حنة مآكر يهدي صلالاً تحت زهر نضيد

أسند الشاعر فعل الإغاثة إلى الذكر التي تزود الإنسان بوجيع القيود وقد

(١) السابق ج ٣ ص ٢٨٣ .

(٢) المصباح في المعاني والبيان والبديع ، أبي عبد الله بدر الدين ، ابن الناظم ، ص ١٨٣ ، تحقيق د/ عيد محمد هندراوي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٢٢ / ٢٠٠١ م .

(٣) ديوان الشاعر ، ج ٥ ص ٤٥١ .

استخدم فعل العون في تلك الصورة ولكنه عون من نوع خاص فهو مدد من الآلام الموجعة المسترة في أثواب المكر والخديعة كما قال^(١) :

أطى لي الدهر خيطاً من حبائله عدت ما عاديها بآ ووثاباً
فالمجاز يكمن في فعل الإدلاء الذي قام به الدهر في خيال الشاعر وكأنه
صياد يرمي بحباله المزودة بالطعم القاتل ، فقد نال الشاعر نصيبه من ذاك الطعم ،
واعتماد على ذلك السم ، فلم يعد يهابه ، ودلالة الصورة تكمن في كثرة المصائب
وتعوّد الشاعر على تجرعها حتى أنه اعتاد سموها ولم يعد يخافها أو يهابها .

د (الكناية :

والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وكُنِيَ عن الأمر بغيره يكنى كناية
وتكنّى تستر من كُنِيَ عنه إذا ورّى أو من الكنية^(٢) . وقال عنها القزويني الكناية
لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ^(٣) .

والتصوير بالكناية له قيمة فنية كأي نوع من أنواع فنون البيان فقيمة الكناية
قد تندرج تحت عدة قيم منها أن « التعبير بالكناية قد يظهر المعقول في صورة
المحسوس مثل قول الرسول ﷺ : لا ترفع العصا على أهلك كناية عن عدم رفع
التأديب عنهم . ومن اللجوء إلى النيل اللطيف من الخصم ، ومن المساس الظاهر

(١) السابق ج ٥ ص ٤٥٠ .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (كنى) ج ١٥ ص ٢٣٣ .

(٣) الإيضاح في البلاغة ، الخطيب القزويني ص ٣٠١ .

المكشوف به مثل قولك عن الخصم (سأقلب له ظهر المجن) ... ومنه ما يكون للتعبير عن المعنى المستهجن .. ومنه ما جاء بالتعبير خفاء أو غموض متى يتطلبه الأدب الإنشائي وكما تكون فيه الكناية تعبير قائم على التخيل الفني شأنها شأن التشبيه والاستعارة ، وقد تعد الكناية سمة من سمات العبارة الأدبية «^(١) .

وقد جاءت أبيات تصف معاناة شكري الذاتية ميزتها الكناية فكانت تعبير قائما على التخيل الفني قال فيها^(٢) :

أما يصطفيني الدهر إلا لحسرة فهلا اصطفى لي عيشه غير ما اصطفى
ويشعل في قلبي جحيماً وناسه شياطين فيه تضرم الهم والجوى

فصورة الجحيم الذي يشتعل في قلب الشاعر ما هو إلا كناية عن آلام الحسرة العظيمة وخيبة الأمل الشديدة ، واحترق الشاعر التي لا يتوانى عن إضرارها شياطين البشر بمكرهم وخداعهم وخيبة أمله فيهم .

وأما القيمة الفنية للصورة التالية فتكمن في قدرة هذا الشاعر الخيالية التي جمعت بين قيمة إظهار المعقول في صورة المحسوس فزادته بياناً ووضوحاً وميزت أدائه التصويري للمعاني التي تضمنها فحقق بذلك تعبيراً نابغاً ووصفاً لمساوية المشاعر وسوداوية الحياة يقول^(٣) :

(١) في البلاغة العربية علم البيان ، د/ حسن النباري ص ١٧٠ بتصرف .

(٢) ديوان الشاعر ج ٥ ص ٤٠٦ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٦ ص ٤٩٢ .

بنيت بيت الحياة أيغى ي ظلّه مسكناً فسيحاً
فارعشت كف من بناه فلم يكن أسه صحيحاً
كمن بنى بالتراب بيتاً فانهار حتى غدا ضريحاً

فقد أراد الشاعر بناء هرم بكفاحه وجهاده في الحياة طالباً به الشرف والرفعة إنساناً وأديباً ومعلماً وقد صور ذلك الهرم في صورة بيت من الرمال تهاوى فتهدم على جسده فكان مقبرة له لأن الأساس لم يكن صحيحاً لكثرة ما تلقى من خيبات وعثرات فكانت تلك نهاية مأساوية اختتم بها الشاعر أبياته الشعرية معبراً بها عن معاني حياته واصفاً دقائق أموره التي عجز عن وصف تفاصيلها ولكن الكناية أوفت التعبير وحقت الغرض من هدف الشاعر .

ولشكري صور تندد بدناءة البشر وقدراتهم العدائية قال عنها^(١) :

أتى ألفت لم أبصر سوى رجل بادي العداوة مخضوب الأظافر
فتشأوم الشاعر يجعله يعمم نظرة العداء إلى كل البشر فأينما ينظر يرى عدواً له . وقوله مخضوب الأظافر كناية عن حبه للدموية ورغبته وتعطشه لسفك الدماء إذ أن الدموية والشر في العداء هنا في هذا الإنسان رمز إلى حيوانيته الذي لا يمكنه العيش دون إيذاء .

والموت معنى احتفى به الشاعر وقد صورت أبياته تلك الحفاوة فظهرت

(١) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢٥٠ .

واضحة في أسلوبه وتألفت في تعبيراته ومن ذلك قوله^(١) :

يا موت يا أمّاً أطالت تصامماً أمالك قلب يرأم الولد حانياً
فيا موت أقبل باسط الوجه فإن جحيم الصحب ما كنت لاقياً^(٢)

فقد أظهرت الكناية الموت في صورة المحسوس حتى يظهر ما في الموت من الرحمة والرفقة لمن هم على شاكلة الشاعر يعانون فهو كالأم التي تمثل الرحمة والعطف والحنان ، فهذه عواطف تمتلكها الأم تجاه أبنائها وتشعر بها نحوهم والموت يمتلك مثلها فهو شبيه الأم لكنه شبيه الأم البخيلة التي لا تبث تلك العواطف أبنائها وتضنّ بها عليهم ، فالموت لم يتخذه حضناً ولم يقبل عليه فكأنه أصم الأذن قاس القلب وقد استثار أسلوب الكناية الرغبة في نفس المتلقي لمعرفة أسباب ذلك الحب وتلك العاطفة المتهللة تجاه الموت .

٢ - الصور الرمزية :

الرمز فن من الفنون الأدبية للتعبير بالصورة عن معنى خفي وقد عُرِفَ « بأنه كل علامة يؤتى بها لتذكّر بشيء كان قد ارتبط بها في أذهان الناس كارتباط الحماسة بالسلام ، والكلب بالوفاء »^(٣) .

ويعدّ الرمز « وسيلة إحياء بالمضمون العاطفي الفكري الكامن خلف اللفظ

(١) السابق ج ٢ ص ٥٤٢ .

(٢) السابق ج ٦ ص ٥٤٢ .

(٣) انظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص ١٠١ ، مجدي وهبة ، كامل المهندس .

المستعمل»^(١) وقد لجأ إليه شكري في شعره العاطفي الفكري يقول^(٢) :

ماذا يفيد تصوبي وتصعدي	في مسلك للعيش غير ممهد
كالبحر في أحواله متغيراً	عشاً يضج بموجه المتجدد
عشاً تعيث الريح في هياتها	كالخاضات إذ تروح وتفتدي
عشاً تضيء الشمس وجه مسالك	للعيش تزخر بالشقاء المزيد

فتجربة الشاعر الشعورية مصدر إحساسه بعلاقات تلك الكائنات وصلاتها المتداخلة بالحياة ، وفوائدها العظيمة للكائن وهذا سبب اختيار الشاعر لها فالبحر ، والريح ، والشمس ، كلها كائنات محسوسة استخدمها وعبر بها عن اللا محسوس تعبير ، فخصه كالبحر والريح والشمس وإحساسه أن قواه و جهده بذل وعطاء دون فائدة فمجتمعه فاسد غير نافع وأن ضياع تلك الجهود المبذولة منه تماثل ضياع المنافع التي سخرت لها الشمس والبحر والريح ، فإحساسه بعظم تلك المنافع قد تساوى بعدمها ، عندما يتخذ من عبثية نفعها رمزاً لعبثية جهاده وكفاحه في مجالات العلم والأدب والشعر ، وكل محاولاته للتجديد والإصلاح قد ذهبت عبثاً رغم سمو هدفه ، وانفتاح فكره ورقي عقله .

« ومهما تكن الرموز التي يستخدمها الشاعر ضاربة بجذورها في التاريخ ... فإنها حين يستخدمها الشاعر لابد أن تكون مرتبطة بالحاضر بالتجربة الحالية وأن

(١) الأدب وفنونه ، محمد مندور ص ٣٩ .

(٢) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢٥١ .

تكون قوتها التعبيرية نابغة منها»^(١) وفي الصورة التالية يصور الشاعر حال شعره
شعره وناس مجتمعة واتخذ من القبر رمزاً يقول^(٢) :

ماذا يفيد الشعر والقلب ميت وهل للنفوس الهامدات نشور
إذا كان يحيا الشعر نفساً مريضة فهيئات تحيا النفوس وهي قبور

فالقبر رمز الموت والفناء والتعفن ونهاية للنفوس وسعيها ونضالها في مراحل
العمر المختلفة ، وهو مصدر السكون الذي لا حراك فيه ، والظلمة التي لا تمور
بعدها والرحلة التي لا عودة منها اتخذها شكري رمزاً لنفوس قومه . وما ذاك إلا
إيحاءٌ إلى حالة الصمم والبكم والعمى وعدم الإحساس والتذوق التي أصابت
ناس مجتمعة تجاه شعره فقلوب الأحياء منهم لم تفهم معانية ولم تتذوق صورته بل
واجهتها بالرفض ، واتهمته بالغموض . ولذا أراد شكري بالنفوس المقبورة
فحوى فقدانه الأمل في تلك النفوس كما يفقد الأموات أمل البعث والرجوع إلى
الدنيا ومعاشها .

وإحساس الشاعر بالموت لا يتوقف عند ذاك بل يتعداه إلى إحساس بالأموات الحق
، وهم في مدافنهم والصمت يخيم على قبورهم يقول عنهم^(٣) :

ألا إن للأموات صوتاً كأنه خرير المياه الجارية على الصلد
ويحكي حفيف الغصن في لين وطوراً كأصداء الطبول على بعد

(١) الشعر العربي المعاصر ، د/ عز الدين إسماعيل ص ١٩٩ ، دار الفكر العربي ط ٣ ، ١٩٧٨ .

(٢) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢٢٧ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١٥١ .

ويعول أحياناً كإعوال تأكل رمتها صروف الدهر في الولد الفرد
يئن أنين الريح عند خفوقها ويعوى عواء الذئب في المهمة القفر^(١)

هذه الأبيات من الصور التعبيرية « التي استطاع فيها شكري تحقيق مسألة تبادل الحواس التي نادى بها الرمزيون إذ يلاحظ أن الموت لديه قد ارتبط بمظاهر الطبيعة كالريح والبحر والأغصان والحيوان وقد عبر بالمحسوس عن اللامحسوس والعكس ، وقد تخيل الشاعر أن ليل أنيناً وأن للفجر صراخاً . وهذا يوسع صورته التخيلية »^(٢) .

يقول^(٣) :

يصرخ أحياناً فيحكي صراخه صراخ العباب الغمر في لحجج البحر
يئن أنين الليل إذ هداً الورى وطوراً له صوت كحشر-جة الصدر

وتعتبر الرمزية «نهاية التطور التي تطمع الصورة دائماً الوصول إليه وهي تمثيل موضوع صوري فردي لمواد النمط من السلوك الإنساني أو تكييف عناصر انفعالية عميقة الارتباط وجدانية معقدة في موضوع قادر على حملها ، ومعبراً عنها بطريقة الإيحاء التي تبتعد عن ذكر أي من تلك العناصر والارتباطات »^(٤) قصيدة الشاعر القادمة أتت معبرة عن ناس عصره ، وقد اختلطت قيم الأخلاق

(١) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١٥١ .

(٢) الأدب العربي الحديث ، د/ سالم محمد الحمداني ، قالك مصطفى أحمد ص ١٥٩ بتصرف .

(٣) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١٥١ .

(٤) الصورة الفنية عند أبي تمام ، عبد القادر الرباعي ص ١٧٢ .

بالأطماع لديهم والرذائل بالطباع والقيم ، فذلّ للعزیز ، وعزّ الذلیل حتی أن
أطماعهم التصقت بأرواحهم وأشلائهم في القبور وعند البعث فصورهم الشاعر
بالطريقة التالية قائلاً^(١) :

رأيت في النوم أني رهن مظلمة	من المقابر ميتاً حوله رمم
ناء عن الناس لا صوت فيزعجني	ولا طموح ولا حلم ولا كلم
مطهر من عيوب العيش قاطبة	فليس يطرقني هم ولا ألم
والموت أطهر من خبث الحياة	راعت مظاهره الأحداث والظلم
حتى بعثت على نفخ الملائك في	أبواقهم وتنادت تلکم الرمم
وقام حولي من الأموات زعنفه	وجاء كالسيل جمّ لجه عرم
فذاك يبحث عن عين له فقدت	وتلك تعوزها الأصداغ واللمم
وذاك يمشي على رجل بلا قدم	وذاك غضبان لا ساق ولا قدم
بـ غاصب رأس ليس	وصاحب رأس يبيكه ويختصم
ويبحثون عن المرأة تخبرهم	عن قبح ما تترك الأحداث والعدم

فمن يقرأ القصيدة لأول وهلة يجد فيها جرأة تكسوها سخرية لكن خيال
الشاعر صور للمتلقي مواقف نابضة بالسوداوية والعفن تتلمس معانيها خلف
السطور ، فقد كان الرمز وسيلة الشاعر في صوره السابقة والتي يطمح بها أن
يوصل مفهوم عميق يعبر فيه بطريقة الإيحاء بصورة البعث وتنادي الرمم ما هي
إلا رمز الاستمرارية لأطماع البشر من المهد إلى اللحد ، وصورة الرمم تبحث عن

(١) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢٤٢ .

أعين وأصداغ رمز لحرص الأموات على ممتلكاتهم وأطماعهم في غيرها ، وصورة اغتصاب الرؤوس والأقدام رمز للسلوك العدواني الذي يجتاح أفراد المجتمعات من اغتصاب لحقوق الإنسان و ممتلكاته حتى صورة البحث عن المرأة تدل على قبح يكمن في آثار الأفعال التي يوازي تعفن الجثث ونتن الرمم. ومن النقاد من يجد أن « قمة البيان أن تتعدد صور التعبير عن المعنى الواحد بحيث نجد مع كل تعبير إضافة وخصوصية»^(١).

« إن ألوان الأشياء وأشكالها ... مثيرات حسية يتفاوت تأثيرها في الناس ... ومن المعروف أن الشاعر يحب هذه الألوان والأشكال ... فالشعر إذن ينبت ويتعرعر في أحضان الأشكال والألوان ... وليست وحدها هي التي تجتذب الشاعر بل أن الملمس والرائحة والطعم تتداخل مع الشكل واللون في الصورة»^(٢). و يحلل د/ عز الدين إسماعيل الفرق بين الصورة المرئية والصورة الحسية فيرى أن كل صورة حسية ليست مرئية غير أن استحضار القارئ لصورة الشيء الذي يدل عليه اللفظ دليلاً على أنه قد بدأ في التفكير بطريقة حسية . وفي الصور الحسية قدرة إبداعية للشاعر إذ « يعبر فيها بالصورة المحسنة المتخيلة

(١) أساليب البيان والصور القرآنية ، محمد إبراهيم شادي ص ١٦ ، دار والي الإسلامية ، ط ١ ، ١٩٩٥ .

(٢) انظر الشعر العربي المعاصر ، د/ عز الدين إسماعيل ١٢٩ - ١٣٠ ، دار الفكر العربي ، ط ٣ ، ١٩٧٨ م .

والحالة النفسية... فإذاً المعنى الذهني هيئة أو حركة.. وإذاً الحالة النفسية لوحة
أو مشهد»^(١).

٣ - الصور الحسية :

أ) الحركية :

ومما جاء في مجال الصور الحسية الحركية والتي عبر بها الشاعر عن حال
النساء في الحياة وبعد الموت في قوله^(٢) :

قمن يرفلن في الليالي السود	بعد أن صرن طعمة للحدود
بعد أن كن للعيون جلاء	فاتنات بأعين وحدود
مائلات وجه الحياة ضياء	عابثات بمسعدات الجودود
يتواقعن كالنسيم ويجنين	لحاظي يثنى تلك القدود
صرن يخطرن في الظلام ويرميـ	من عيون الرائيين منها بداء
ويرجعن في الظلام صراخ اليـ	وم حتى يسقمن وجه الهواء
لابسات أكفانهن حياء	أن ترى قبحهن عين الرائي
هن في الموت والحياة مخبئـ	من عيوناً تزرى بذاك الحياء

فيصف الشاعر حال النساء في الحياة ثم يتخيل صور النساء بعد الموت
بطريقة يلعب فيها الفعل المضارع دور الاستمرارية لتلك الحياة وتلك
الصفات والأفعال .

(١) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص ٣٢ ، دار الشروق ، (ط . ب) .

(٢) ديوان الشاعر ج ص ١٣٢ .

بدأ الشاعر يصور الموت فقال : قمن يرفلن في الليالي السود فطبيعة النساء لا تنفك عنهن حتى بعد الموت ما زلن يتمايسن بأثوابهن بل بأكفانهن بعد أن صرن جثث متآكلة وبعينان كن يوقعن في شباكهن ويخلين اللحاظ صرن بعد الضياء في ظلام الموت يرمين اللحاظ من الأدواء من قبح الحال وتعفن الأجساد وهن يرددن الصراخ والعويل حتى يمتلئ الهواء بالسقام والأمراض حال النساء سواء لدى الشاعر فهن يلبسن أكفانهن في الموت ليخفين قبح الموت والعفن كذا في الحياة لابسات رداء النفاق والرياء ليخفين قبح النفوس .

ومن الحركة إلى السكون الذي يصفه الشاعر سكون مهيب يرى فيه العظة والعبرة يقول^(١) :

أما في سكون الليل يا نفس واعظ أما في هدوء الروض ملهى ومطلب
سكون تطلبه نفس الشاعر وهدوء تتعطش له النفس وترى صورة ذلك
السكون في استفهام الشاعر ومخاطبته لنفسه أن منتهى السكون والراحة المطلوبة
في حضن الليل وروعة الرياض فهلا تجدها نفسه ؟ إن الأسلوب الانشائي
وغرضه التمني ، فهو يتمنى ولو للحظات تنعم فيها نفسه بالهدوء والراحة من
الشقاء والعذاب المستمر ولكن هيهات.

(١) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١٦٩ .

ب) الصورة النفسية :

وعندما تكون الحالة النفسية لوحة أو مشهداً يصوره الشاعر ويبدع فيه يقول^(١) في ذلك :

لنفس في بعض الأحيان ثورة	يكاد لها جسم الفتى يتمزق
نيا نفس كم تبغين ما ليس حادثاً	حتم أُمالي لديك تحرق
هياج كما هاجت قطاة تعلقت	بأحولة الصياد إذ ليس مهرب

يصور الشاعر تمزق النفس وهي في حالة ثورة عارمة في صورة كناية وتشبيه تمثيلي ينبئان عن غضب و ثورة تجتاح النفس نتيجة عدم تحقق الآمال رغم اتساع الأفق مثل القطاة التي تأمل في الحرية لكن شباك الصياد تحرمها على الرغم من اتساع الأفق، فهاجت كالنفس التي ليس لها مخرج تجد و تحاذر.

ج) الصور البصرية :

هذه الصور يصل فيها الشاعر إلى مراده عن طريق وصف ما تقع عليه عينه و يراه بصره ومن ذلك قول الشاعر إذا رأى الإنسان ضوء القمر على الزهور خشع من جلال المنظر ولكنه إذا رآه على القبور امتلكه الفرع من ذلك المنظر يقول في ذلك^(٢) :

أنى رأيت بياض ضوءك موهنا فوق القبور كعارض يتهلل

(١) السابق ج ٢ ص ١٦٩ .

(٢) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١٤٦ .

ففرغت من ذاك البياض كأنه لون المشيب على الذوائب يثقل
ولربما كره الفتى صور الردى وهو الجريء على الحمام المقبل
ولقد رأيتك والقبور كأنها أشباح ساكنة النواظر مثل
نظر البريء إلى القتل مجندلاً والروع في أنفاسه يتعجل

تصف صورة الشاعر ضوء القمر مسترسلاً على القبور وهذا منظر يدرك
بحاسة الإبصار ونتيجة له يدب في النفس الفزع لأن من يراه رغم صفاء ضوئه
يخس^١ بتجهم وظلمة تحف ضوء القمر وهذا الإيحاء يشبه فزع النفس من
شيخوخة الذوائب. كذا أورد الشاعر تشبيه تمثيلاً لمنظر القبور وكأنها وساكنها
أشباح ماثلة في أماكنها تنظر إلى القمر وتلك النظرة ألقت في نفسه الفزع والروع
وهو ينظر إلى أولئك المصروعين في قبورهم .

(د) صور سمعية :

من صوره التي تدرك بحاسة السمع قوله^(١) :

ليت لي نظرة إلى الزمن آ قي البعيد الخطا الغريب الحال
تريح الفؤاد مما يعاني الـ طرق من لؤم هذه الأحوال
أو غيث النفوس بالنبأ الأ عظم اب الوجود تحس المكان
فهني بشرى محمودة أو تعي لمساع مآلهما للنفوات

فتلك صورة استعارية تعتمد على حاسة السمع في التصوير فهي تنتظر سماع نبأ عظيم
إما بشرى بسعادة المنقلب وإما نعي يرثي حال المنقلب .

(١) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١٦٨ .

ز) صور شميمة :

إيحاء الصورة تهديد ووعد بفناء الجمال وتحول الحسن إلى نتن وقبح يقول في ذلك^(١) :

فلا تذعر بالموت غادا ورائحا	وكل جميل فهو لابد غابر
سينفذ فيك الموت أمراً مقدراً	وتلقى الذي قد كنت تحاذرا
ويأكل منك الدود ما شاء حقبة	ووجهك مقبوح وعظمك ناخر
وريحك ريح النتن لا نتن مثله	سد إذا ما شم منه المناخر

فالصورة يلعب فيها الخيال دور المهدد الذي يوضح للحبيب عاقبة التعالي بالجمال، فالجمال فان ورائحة النتن تشم، والقبح سوف يطال الوجه والعظم .

و) صور تذوقية :

هي تلك الصور التي ينقل فيها الشاعر إحساسه عن طريق حاسة التذوق بل ويشعر المتلقي بطعم ذلك الاحساس ، يقول^(٢) :

مغالبة الأخطار سكر ولذة وإن شب فيها من الضلوع
فالإحساس بخضم المعاناة وروحها يغرس في الشاعر لذة كملذة السكر التي
تذهب العقل رغم المخاطر والآلام كذا قوله^(٣) :

(١) ديوان الشاعر ج ٤ ص ٣٦٠

(٢) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢١٣ .

(٣) السابق ج ٩٣ .

وللعيش ناب قاتل وأظافر
وإن سلبت منه النهى والسرائر

وما العيش إلا الذئب
ولكنه كالخمر تحلو

ويقول في معنى الحرية المحرمة التي يختلط طلب نيلها بسفك الدماء^(١) :

وصفوا السيوف مواضع
كالذئب يعوي بادي الأسنان

هلا رأوك وأنت بين معاشر
ظمأى إلى الدم قد أبحث

فالصورة تشبيه تمثيلي يحكي صورة من يطلب الحرية ويدفع دمه لقاء ذلك
وكأنها أصبحت ذئباً يفترس كل من يرغب في الاقتراب منها والظماً يوميء إلى
العطش الذي يرى به الشاعر عطش مجتمعه إلى تلك الحرية وبذله كل غال
ونفيس في سبيل الوصول إليها و الحصول عليها .

هـ) صور لونية :

يغلب السواد والبياض على الصورة اللونية معبراً بهما عن مفهوم التشاؤم ،
لكن مخالطة البياض فيها إيجاء من الشاعر بالحزن والأسى إذ يقول مخاطباً البحر الذي
يرى فيه خلاصاً مما يجد ويعاني^(٢) :

رى كفناً من نسج موجك أبيضاً تمزقه الأرواح وهي توائر

فيتصور موته في حضن أمواج هائجة تنسج له الكفن الأبيض ثم تمزقه ارباً .

(١) السابق ج ٢ ص ١٦٦ .

(٢) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢١٣ .

ويقول في موضع آخر يتحدث فيه عن الروح السوداء^(١) :

لو أطلقت روحك وسط الضحى لألبسته ثوب الظلام
كأنها ينساب منها الدجى يزخر في ديجوره الطامي

وثوب السواد الذي عناه الشاعر دلالة على شناعة تلك الروح وعظم خطاياها إذ أنها من شدة سوادها تحيل نور الضحى بأشعته المضيئة ونهاره الوضاح إلى ظلام دامس فكأنها تلك الروح ليل أقبل فملاً ما حوله بالسواد الشديد .

ويقول في موضع آخر عن آماله الضائعة^(٢) :

أيا فتنة الأحلام قد لاح كذبها محال علينا أن تلذ بك النوما
لقد كنت في عيشي مصابيح حلية فقد صارت الأيام أغربة سحما

فاللون في الصورة نابع من صورة التضاد بين ما كان يأمل ويتمنى وبين ما وجد حقيقة وفعلاً ، فقد كان يرجو أمانيه و أحلامه مصابيح تضيء له طريقه ليصل إلى هدفه فإذا بالأيام تحول دون ذلك فهي "أغربة سحما" والغراب سواده رمز الشؤم ودليل الشر ، فكأنها تخفي الحقد والضغينة وتسترهما خلف سوادها .
وعندما يروي الشاعر حكايته مع ثمار الحياة يقول^(٣) :

(١) السابق ج ٣ ص ٢٥٢ .

(٢) السابق الشاعر ج ٥ ص ٤١٣ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢٢٨ .

قد جنينا من أزاهير الشقاء زهرة سوداء من زهر قضاء
زهرة سوداء لا تعد لها زهرة حمراء من زهر الهوى
كيف نهوى زهرة أوراقها من دموع الصب تندى والدماء

استخدم الشاعر اللون الأسود ليدل به على ما جناه من آمال و طموحات في
هذه الحياة ، فهو لم يجن إلا الأسى و المرارة و السواد ، واستخدم اللون الأحمر في
الحديث عن شدة الوجد و الهوى ، إذ طال سهره و غاب عنه نومه ، فكان احمرار
العينين صفة ملازمة للحالة التي هو عليها .

و في النهاية قد نرى أن الفكر كان مصدراً للصورة الشعرية عند شكري
التي اشتقت عناصرها من الذات والطبيعة والحياة والموت ، كما تميزت الصورة
لديه باستطراد في ألوان البيان على حساب المعنى ، وتضافرت أجزاء الصورة
وتتابعت لتكون صورة كلية تعبر عن تجربة الشاعر الشعرية والشعورية .

المبحث الرابع

البنية الإيقاعية

للإيقاع أهمية في دراسة القصائد الشعرية فكلمة الإيقاع « مشتقة أصلاً من اليونانية ، بمعنى الجريان أو التدفق ، والمقصود به عامة التواتر المتتابع بين حالتي الصمت والصوت أو الحركة والسكون أو القصر والطول أو الإسراع والإبطاء ، أو التواتر والاسترخاء ، فهو يمثل العلاقة بين الجزء والجزء الآخر ، وبين الجزء وكل الأجزاء للأثر الفني ويكون في قالب متحرك ومنتظم في الأسلوب الأدبي أو في الشكل الفني ، ويستطيع الفنان أن يعتمد على الإيقاع بإتباعه طريقة من ثلاث : التكرار أو التعاقب أو الترابط »^(١) ، وأهميته لدى ابن سينا تتمثل في « أن الشعر لا يتم إلا بمقدمات مخيلة ، ووزن ذي إيقاع متناسب ليكون أسرع تأثيراً في النفس بميل النفوس إلى المتزنات والمنتظمات التركيب »^(٢) فتمام الشعر مرتبط باتزان وانتظام إيقاعه الموسيقي الذي له شأن وتأثير في القلوب وميل النفوس ، كما عرف برتيل مالبرج الإيقاع بأنه « تقسيم الحدث اللغوي إلى أزمنة منتظمة ذات علاقة متكررة ، وذات وظيفة وملح جمالي »^(٣) ، فالوزن رافد من روافد الشعر التي أشاد بها الجاحظ « إنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ ،

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ص ٧١ ، مجدي وهبة ، كامل المهندس .

(٢) كتاب المجموع أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر لابن سينا ، تحقيق محمد سليم سالم ص ٢٦ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ١٩٦٩ م .

(٣) علم الأصوات ، برتيل مالبرج ص ١٩٩ ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ،

وسهولة المخرج ، وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة ، وضرب من النسيج وجنس من التصوير»^(١) .
ومن الذين أولو الوزن مكانة رفيعة ابن رشيق إذ قال «الوزن أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية»^(٢) .

فالوزن من العناصر الأولية التي يبنى عليها الإيقاع إذ هو «الحركة والسكون ، ومن هذه الحركات والسكنات تتكون الفواصل المختلفة ، وكل مجموعة من الفواصل تتكون تفعيلة وأوزان الشعر تتكون من مجموعات من التفاعيل المتساوية أو المتجاوبة مع اختلافات تسمى بالزحافات والعلل . وهي الخلافات التي تؤدي إلى تغيير النسق العام بالبيت الشعري ، ومنها ما لا تكاد تدركه الأذان ، وإنما يكتشف بالتقطيع وبالترجيع ، وبعضها الآخر يستدرج بعمليات تعويض عن إنشاد الشعر ، ومن أهم وسائل التعويض الصمت الخفيف في بعض المواضع»^(٣) .

فالإيقاع الموسيقي الذي يتحد مع اللغة الموزونة يهيئ للألفاظ دلالات ذات بعد تؤدي إلى تمام شكل القصيدة لشعرية وتجعلها مقبولة في أذن المتلقي ، فقد استولت عليه بطربها وموسيقاها.

(١) الحيوان ح ١ ص ١٣١ - ١٣٢ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، بيروت ط ٣ ، دار الفكر ، ١٩٨٨ م .

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين ، ح ١ ص ٧٧ ، دارالجيل ، ١٩٨١ م .

(٣) الأدب وفنونه ، محمد مندورة ، ص ٣٢ نقلاً .

وعند النظر في قصائد عبد الرحمن شكري لدراستها عروضيا ،

نلاحظ أنه قد غلب عليها استخدام البحور الصافية مثل الوافر والرمل والرجز عند النظر في قصائد عبد الرحمن شكري لدراستها عروضيا مثل الوافر والرمل والرجز . والبحور الحركية مثل الطويل والبسيط وجاء القليل من قصائده التشاؤمية على أوزان بحر الخفيف ، والمنسرح ، والمديد ، والمتدارك والكامل والمضارع .

ومما عُرِف عن صفات تلك البحور العروضية كما أوضحها العلامة القرطاجني فقال عنها «فالعروض الطويل تجد فيه أبداً بهاء وقوة ، وتجد للبسيط سبابة وطلاوة ، وتجد للكامل جزالة وحسن أطراد ، وللخفيف جزالة ورشاقة ، وللمتقارب بساطة وسهولة ، وللمديد رقة ولين ، مع رشاقة ، وللرمل ليناً وسهولة ، ولما في المديد والرمل من اللين كانا أليق بالرثاء ، وما جرى مجراه منهما بغير ذلك من أغراض الشعر»^(١) .

على أن الصلة بين استخدام شكري لبحور الشعر السالفة وبين موضوع التشاؤم تتضح من خلال عرض آراء بعض النقاد والقدامى والمحدثين حول ما رأوه من ضرورة تناسب موضوع القصيدة والوزن العروضي فيرى حازم القرطاجني أن « من تتبع كلام الشعراء في جميع الأعاريض وجد الامتنان في

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ص ٢٦٩ ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار

بعضها أعم من بعض ، فأعلاها درجة الطويل والبسيط ويتلوها الوافر والكامل .. فأما المديد والرمل ففيهما لين وضعف ... فالمنسرح فيه اضطراب وتقلقل ، فأما السريع والرجز ففيهما كزازة ... فأما المتقارب فالكلام فيه حسن الاطراد .. فأما الهزج ففيه من سذاجته حدة زائدة ، فأما المجتث والمقتضب فالحلاوة فيهما قليلة على طيش فيها ، فأما المضارع ففيه كل قبيحة»^(١) .

وكما يبدو أن لكل بحر صفاته ، فإن لكل كلام طبعه الخاص ، وغرضه الذي يهدف إليه فكان «لكل وزن منها طبعاً يصير نمط الكلام مائلاً إليه»^(٢) .

وقد أشار ابن طباطبا إلى أن «الشاعر إذا أراد بناء قصيدة فخص المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه والقوافي التي توافقه ، والوزن الذي يسلس القول عليه»^(٣) . كما اعتمد المرزوقي في حديثه عن عمود الشعر عن التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير لذيذ الوزن^(٤) . كما اشترط أبو هلال العسكري في عمل الشعر وزناً يتأتى فيه إيرادها^(٥) . واختلاف وجهات النظر في موضوع اتساق الوزن والموضوع لدى نقاد العصر الحديث يتأتى من النظرة التحليلية للعلاقة بينهما

(١) منهاج البلغاء ص ٢٦٨ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٢٦٩ .

(٣) انظر عيار الشعر ص ٣١ .

(٤) مقدمة شرح ديوان الحماسة ص ٩ .

(٥) الصناعتين : الكتابة والشعر ، أبي هلال الحسن العسكري ص ٤٥ ، دار الفكر العربي ، تحقيق محمد

البجاوي ، محمد إبراهيم ، ط ٢ .

فمنهم من رفض الفكرة مثل د/ عز الدين إسماعيل^(١) . ود/ غنيمي هلال^(٢) . ومنهم من انتصر لها مثل د/ عبد الله الطيب^(٣) . كما أخضع العلاقة بين الوزن والموضوع د/ إبراهيم أنيس للجانب العلمي الطبي الذي اتفق فيه الغربيون في بحوثهم التي أثبتت أن عدد نبض القلب في الجسم السليم ٧٦ مرة في الدقيقة ، ونتيجة لعلاقته بالنطق يقدر أن الإنسان يستطيع النطق بثلاثة من الأصوات المقطعية كلما نبض قلبه نبضاً واحداً فإذا عرف أن البحر الطويل يشتمل على ٢٨ صوتاً مقطوعاً أمكننا أن نتصور أن النطق ببيت من الطويل يتم خلال تسع نبضات من نبض القلب على أن نبضات القلب تزيد كثيراً مع الانفعالات النفسية التي يتعرض لها الشاعر أثناء نظمه .

فحالة الشاعر في الفزع غيرها في الحزن واليأس ، ونبضات قلبه سريعة حين يملكها السرور فيكثر عددها في الدقيقة ، ولكنها بطيئة حين يستولي عليها الهم والجزع^(٤) . وعلى هذا يقرر د/ إبراهيم أنيس « أن نستطيع ونحن مطمئنون أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزناً طويلاً كثير المقاطع يصب فيه من انتاجه ما ينفس عنه حزنه وجزعه فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي وتطلب بحراً قصيراً يتلاءم وسرعة التنفس وازياد

(١) التفسير النفسي للأدب / ٧٨ ، دار العودة ، دار الثقافة بيروت .

(٢) النقد الأدبي الحديث ، ٤٧٧ .

(٣) انظر المرشد لفهم أشعار العرب ، ح ١ ص ٩٣ وما بعده ، عبد الله الطيب ، الكويت ١٩٨٩ م ط ٣ .

(٤) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ١٧٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٤ .

النبضات القلبية»^(١).

وقد تبين من خلال تحليل البنية التركيبية والتصويرية لقصائد الشاعر ميوله السوداوي في صوره الفنية ومعانيه الفكرية الفلسفية التأملية مما أدى إلى وضوح الصلة بين موضوع الشاعر وبين اتخاذ بحرّاً طويلاً كثير المقاطع حتى يستطيع أن يصب فيه أشجانه وأحزانه يقول الشاعر من البحر الطويل^(٢) :

نعم للرياح الهوج هول وقوة	وللبحر أمواج تهيج فتحرب
أغرك من هذى الطبيعة أنها	تشور فلا يقوى عليها المقلب
وما أحسب اليم الخضم يتأثر	إذا كان هذا اليم يشقى ويألم

وقد عرف عن البحر الطويل أنه بحر ذو بهاء وقوة يناسب الموضوعات الحادة العميقة « التي تحتاج إلى سر وبسط ، وهو مناسب للحزن والأسى الذين يعبران عن عمق حزن النفس الإنسانية »^(٣) وما أحسب الشاعر بوصفه لتلك الثورة ، والقوة لكائنات الطبيعة إلا نتيجة صلة القرابة التي تربطه بكائنات الكون وإحساسه العميق بشقاء العباد وعناء البلاد فحزن الطبيعة الشائرة تعبير عن حزن النفس الإنسانية وثورة روح الشاعر ونفسه ، إحساس بتلك الثورة .

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٢) ديوان الشاعر ، ح ٢ ص ١٦٩ .

(٣) دراسات في النص الأدبي المعاصر الحديث ، ص ٤٠ ، محمد عارف ، حسين نجار .

كما استخدم شكري بحر الرمل ليصف مشاعر الحب تخالطها مشاعر الخبث
والموت ، وتلك مشاعر مضطربة قلقة لا تواصل بينها يقول^(١) :

إن حبي مثل داء قاتل فاستجيبوا بمغراً ونجاء
أنتم كالزهر تمحو زهوهُ ريح سوء حملت جرثوم داء

ومن صفات بحر الرمل اللين والضعف كما أنه « يوصف عليه الشعر
المضطرب البناء والنقصان »^(٢) وهذا الوصف له صلة باضطراب العاطفة لدى
الشاعر فكيف تشبه عاطفة الحب القاتلة الداء المميت والريح المحملة بالجراثيم
؟، ثم كيف يطلب الإسراع في النجاة والفرار من حبه القاتل ؟ ، ويقول د/ عبد
الله الطيب أن موسيقى الرمل خفيفة رشيقة مناسبة وفيه رنة يصحبها نوع من
المنخوليا^(٣) ، فهل أصابه لوثة عقل الشاعر حتى يصف حبه بهذا الوصف المنفر
كما نظم في الوافر قوله^(٤) :

صحوت من المعيشة بعد سكر فيا لهفتي على نشوات سكري
شربت الحلو من كاسات دهري كذاك المر من كاسات دهري

فقد عرض الشاعر أفكاره في أسلوب تتلاحق فيه المعاني فالصحوة من لذة

(١) ديوان الشاعر ح ٣ ص ٢٣١ .

(٢) موسيقى الشرع ص ٩٤ ، صابر عبد الدايم ، مكتبة الأنجلو القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٩٣ ، نقلاً .

(٣) لفظاً مستعملاً عند القدماء ، يعني الضرب العاطفي الحزين في غير كآبة ومن غير وجع . المرشد

لفهم أشعار العرب ح ١ ص ١٥٨ .

(٤) ديوان الشاعر ح ٣ ص ٢٣٤ .

العيش تتبعها لهفة وحسرة على فقدان تلك الشوّة واللذة ، وتذوق حلو الدهر
يتبعه بل يكاد يرافقه تذوق مرّ الدهر .

ومما وصف به بحر الوافر « أن عجزه سريع اللحاق ب صدره حتى أن السامع
لا يكاد يفرغ من سماع الصدر حتى يهجم عليه العجز »^(١) .

وعلى هذا فمشاعر الشاعر عبرت عنها بحور الشعر العربي خير تعبير .

فمشاعر الثورة جاءت وزن الطويل و مشاعر الوجد القاتل جاءت على
وزن الرمل و مشاعر التأمل الفلسفي عبر عنها بحر الوافر فهذه كلها عواطف
صادقة فيها تناسب بين مواضيعها وبين صفات البحور المترنمة بها . وقد دعانا
د/ عبد الله الطيب للنظر والتأمل في مسألة اتساق الموضوع والبحر يقول « لو
تأمل الناقد ودقق وتعمق باختلاف أوزان البحر نفسه ، معناه أن أغراضاً مختلفة
دعت إلى ذلك وإلا فقد كان أغنى بحراً واحداً ووزن واحد .

وهل يتصور في المعقول أن يصلح بحر الطويل الأول للشعر المعبر عن
الرفض والنقز والخفة »^(٢) وهذا دليل أن لكل بحر موضوع يلائمه ويتناسب
مع تفعيلاته .

(١) المرشد لفهم أشعار العرب ج ١ ص ٤٠٦ عبد الله الطيب .

(٢) السابق ح ١ ص ٩٣ - ٩٤ .

العلاقة بين القافية وحالة الشاعر النفسية :

القافية ركن من أركان موسيقى الشعر لها مدلولها الخاص المؤثر في أبيات القصيد فالقافية بمعنى تابعة^(١) وقد عرفها الخليل بقوله : « هي آخر ساكنين في البيت وما بينهما والمتحرك الذي قبل الساكن الأول منهما »^(٢) .

وقد أقام ابن الرشيقي شركة بين القافية والوزن إذ قال : « القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية »^(٣) ، من أثر هذه الشراكة ينبثق موضوع الصلة بين قافية البيت ومدى تناسبها وموضوع القصيد .

فقد ذهب حازم القرطاجني إلى أن للشعراء في بناء الشعر مذهبين يقول : « فلا يخلو الشاعر من أن يبنى أول البيت على القافية أو القافية على أول البيت . وكلا صاحبي هذين المذهبين لا يخلو أن يكون ممن يعتمد أن يقابل بين المعاني وينظر بينها أو ممن لا يقابل بين شيء منها »^(٤)

وبما أن القافية شريكة للوزن ، من هنا يأتي اهتمام العلماء بها وأهمية انتقاء

(١) لغة : قافية كل شيء آخره . ومنه قافية بيت الشعر والقافية آخر كلمة في البيت وربما سميت القصيدة قافية . لسان العرب ح ١٢ ص ١٦٧ ، ١٦٦ .

(٢) أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية ، محمود مصطفى ص ١٦٤ . شرح نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ .

(٣) العمدة ، ابن الرشيقي ح ١ ص ١٣٥ .

(٤) منهاج البلغاء ، سراج الأدباء ، حازم القرطاجني ص ٢٧٨ نقلاً .

المناسب منها لمعاني البيت وبحره ، وقد نادى بشر بن المعتمر بأن تحل القافية في مركزها وفي نصابها وألا تكون قلقة ولا نافرة في موضعها وأن لا تكره على اغتصاب الأماكن^(١) . كما طلب قدامة بن جعفر أن تكون عذبة الحرف سلسلة المخرج^(٢) . وقد وضع حازم القرطاجني شروطاً للقافية وهي أربعة شروط ، التمكن وصحة الوضع ، والتمام أو عدمه وموضعها في النفس^(٣) . وقد اعتمد حازم في حروف الروي في كل قافية من الشعر حرفاً واحداً بعينه غير متسامح في إيراد ما يقاربه ، ويقول لقد وقع ذلك لبعض من لا يحفل به من العرب الذين كانت بضاعتهم في الشعر مزجاة^(٤) .

والذي ينادي به معظم القدماء توحد حرف الروي في القافية الواحدة حتى أن حازماً عارض أن يأتي الشاعر بحرفين متقاربي الجرس في القافية الواحدة لكن مسألة تعدد القوافي والخروج على القافية الموحدة قد كان لها أصول لكنها نادرة لدى القدماء ومن أمثلتها ، قول أبو عبيدة لامرأة من خثعم^(٥) :

ليست سماكيا بحار وبابه	يقاد إلى أهل الفضاب زمام
في شرب من جحوش ويشمه	بعيني فطاص أعزيماني

(١) البيان والتبيين ، الجاحظ ح ١ ص ١٣٨ .

(٢) نقد الشعر ، ص ٨٦ .

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٢٧١ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٧٢ .

(٥) الموشح ص ١٨ .

كما أورد الباقلاني أبياتاً لم ينسبها لأحد^(١) :

ب أخ كنت به مغتبطاً شدُّ كفي بعرا صحبته
تمسكاً مني بالود ولا أحسبه يزهد في ذي أهل
تمسكاً مني بالود ولا أحسبه يغير العهد ولا

كما سجلت محاولات في العصر العباسي للتمرد على القافية الموحدة وكان من رواد أولئك المتمردين أبي العتاهية في مزدوجة له سماها ذات الأمثال ، وفيه تثنى القافية في كل بيت كما راعى الشاعر أن تكون قافية الشطر الأول هي نفس قافية الشطر الثاني وفي هذا نوع من التيسير وعدم الكلفة والمشقة على الشعراء ، يقول أبو العتاهية^(٢) :

حسبك مما تبغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
هي المقادير فلمنى أو قدر إن كنت أخطأت فما أخطا القدر
إن الشباب حجة التصابي روائح الجنة في الشباب

ويذكر الخليل أن العباسيين قد استحدثوا في القافية نوعاً يسمى المسمط وهو أن يبتدئ الشاعر بيت مصرع ثم يأتي بأربعة أقسمة من غير قافيته ثم يعيد قسماً واحداً من جنس ما ابتداء به^(٣) .

ويذكر د/ يونس بكار أنه ربما كان سبب إهمال النقاد القدامى محاولات

(١) إعجاز القرآن ص ٥٦ .

(٢) أهدى سبيل إلى علمي الخليل ص ٢١٥ .

(٣) أهدى سبيل إلى علمي الخليل ص ٢١٥ .

الخروج على القافية الموحدة أنهم كانوا يضعون في حسابهم موسيقى القصيدة الخارجية ولم يقبلوا من الزحافات إلا القليل في البيت أو البيتين ، وقد أورد ما ذهب إليه العقاد حين قال لا يزال اختلاف القافية بين البيت والبيت يقبض سمعي عن الاسترسال في متعة السماع، ويفقدني لذة القراءة الشعرية^(١) . وقد أرجع العقاد التوسط في المتعة والإيذاء هو في ملاحظة القافية في مقطوعة بعد مقطوعة تتألف من جملة أبيات على استواء في الوزن والعدد ، وهو ملاحظة الازدواج والتسميط وما إليهما والنغمات التي تتطلبها الأذان في مواضعها^(٢) .

ومن يؤيد تعدد القافية أي الرسالة الناقد الدكتور إبراهيم أنيس الذي يرجع التزام قافية واحدة سبب من أسباب الحد من طول القصيدة فلا يجاوز الشاعر سبعين بيتاً إلا وأن تكون القافية قد أجهده ، وألزمته طريقاً من التكلف والتعسف قد يجعله يضحى بشيء من المعاني والأخيلة^(٣) .

ولا بد أن شعراؤنا المعاصرين قد وجدوا لهم طريقاً فعبدوا وسلكوا منه سبلاً فكان ذلك أثر اطلاعهم على الآداب الغربية أن عرفوا أن شعر اللغات القديمة مثل اليونانية لا يعرف القافية . وفي اللغات الحديثة فيها شعر مرسل لا يرتبط

(١) بنية القصيدة العربية ص ٢٤٠ نقلاً .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٢ .

(٣) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ص ٢٩٩ بتصرف .



بالقوافي وشعر تتعانق فيه القوافي متخذة في البيت الأول والثالث والثاني ، ولم يلبث أن تنادى غير شاعر في أوائل القرن العشرين بالتححرر من القافية ، وأسرع توفيق البكري فصنع قصيدة بلا قافية وسماها ذات القوافي ثم تلاه الزهاوي وعبد الرحمن شكري فألفوا غير قصيدة من هذا النمط المرسل^(١) .

ومن رواد الشعر الحديث شعر التجديد خليل مطران الذي قال عنه د/ مختار الوكيل أن خليل مطران قد أحدث في العربية شعراً عربياً عذباً لا يخرج على قواعد اللغة ولا علم النظم العربي المألوف إلا بمقدار ما أثرت فيه مطالعته في الشعر الفرنجي . وقد تنبأ مطران أن تكون لشعراء مسلكه أبناء يحتذوا حذوه فكان من ثمار شعره أولئك الشعراء^(٢) . ومن الأمثلة قول شوقي في كتابه لحسين واصف^(٣) :

إلى حسين حاكم القتال	هناك حسن الخلق في الرجال
هدي سلاماً طيباً كخلقه	مع احترام هو بعض حقه
واحفظ العهد له على النوى	والصدق في الود له وفي الهوى

ولقد كان عبد الرحمن شكري من أوائل من مهدوا لنهضة الشعر الحديث يشهد بذلك د/ مختار الوكيل بل ويؤكد أنه هو الذي أدخل هذا الضرب الجديد

(١) النقد الأدبي ، شوقي ضيف ص ١٠٧ .

(٢) رواد الشعر الحديث في مصر . مختار الوكيل ص ٢٦ .

(٣) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ص ٣٠٢ نقلاً .

من الشعر في هذه اللغة ، ووضع حجر الأساس له^(١) ألا وهو الشعر المرسل ،
وشكري من أوائل من ابتدع القافية المرسلة^(٢) . وهي القافية التي لا التزام فيها
بروي واحد والتي واكبت فيما بعد إنشاء الشعر الحر . وقد عرف عن شكري
الشاعر الرومانسي حبه لكسر القيود والتمرد عليها لذا كان رأي أحمد غراب « أن
شكري رأى في القافية المرسلة نوعاً من التحرر من ضرورات القافية الموحدة
التي تكره الشاعر أحياناً على أن يقول ما لا يريد أو لا يقول كل ما يريد »^(٣) .
وقد نظم من قصائده التشاؤمية على نهج القافية المرسلة قصيدة سم الخسة وسعار
الغرور يقول فيها^(٤) :

وخلقه ووده رفاعـة	فعيشه ونفسه بضاعة
أو غبت عنه طرفه فقـادح	إذا شهدت أمره فـمـادح
مشرداً من ثقل الغرور	طريد أهل الموت والقبور
	وقوله ^(٥) :

مهيـب القول كالهادي النذير	فصوت الليل من صوت الضمير
ويكسو النفس ثوباً من خشوع	يئن صـداه في صـم الضلوع

(١) رواد الشعر الحديث في مصر ، ص ٣٧ مختار الوكيل .

(٢) الشعر المعاصر في ضوء النقد ، عبد اللطيف سحرتي ، ص ١١٨ بتصرف .

(٣) عبد الرحمن شكري ، أحمد غراب ، ص ٢٧٨ .

(٤) ديوان الشاعر ، ح ٧ ص ٥٦١ .

(٥) ديوان الشاعر ، ح ٢ ص ١١٨ .

فيما أوى من عنت الحياة إذا أنا مت لا تهجر رفاتي

كما كانت القافية متنوعة في قصائد شكري فمنها الشائي والمثلث ، منها قوله^(١) :

لنفس في بعض الأحيان ثورة	يكاد لها جسم الفتى يتمزق
نيا نفس كما تبغين ما ليس حادثاً	وحتام آمالي لديك تحرق
هياج كما هاجت قطاة تعلقت	بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب
أما في سكون الليل يا نفس واعظ	أما في هدوء الرمض ملهى ومطلب
كما استخدم المثلثة في قوله ^(٢) :	

كم جنيما من أزاهير القدر	وأفانين وصروف وغير
زهرة سوداء من زهر الضجر	وهي من نبت هموم وكدر
فهي بالليل سهاد وسهر	وهي في الصبح الشقاء المنتظر
هذه الأزهار سوء كالقضاء	في رياض من شقاء وعناء
ليس لي منها مفر أو نجاء	فهي حولي في صباح ومساء
أن هذا العيش داء أي داء	ليس يمحي بشكاة أو بكاء

أما عن استخدام شكري للقافية المقيدة وهي ما كانت ساكنة الروى فقد كان قليلا ويبدو أنه على مستوى الشعر العربي كذلك إذ « أن استعمال القافية من غير أن يسبقها مد غير كثير وفيه عسر شديد في البحور الطوال كما أن البسيط من

(١) ديوان الشاعر ، ح ٢ ص ١٦٩ .

(٢) ديوان الشاعر ، ح ٣ ص ٢٨٨ .

أشق مسالك القافية المقيدة المسبوقة بحرف متحرك»^(١) .

وقد كتب شكري قصيدة ذكرى أمس من البسيط الساكن الروي يقول
فيها^(٢) :

لذكر صلّ لاذع نابيه يا ليته يخلع رث العهود
كالحية الرقطاء تنضوردا ء الأمس كي تكسى الرداء الجديد

كما عُرِف عن شكري استخدامه للبحر الطوال التي يغلب على قصيدها
القافية المطلقة المحركة الروى كقوله^(٣) :

أعاتب دهري أو تهون خطوبه ر أعذل حالي والدموع تشبه
وقوله^(٤) :

حذرت الذي يمني لي الدهر من أذى فيا ويح نفسي من عناء التفزع
والذي يتضح من ذلك هو طبيعة الصلة بين استخدام الشاعر للروي

في قافية القصيدة وبين عواطف النفس وخلجاتها كما قال شوبتهور
(إن للأفكار قوافي باطنة)^(٥) فاستخدام شكري للروى المكسور ظاهرة في

(١) المرشد لفهم أشعار العرب ح ١ ص ٥٤ .

(٢) ديوان الشاعر ، ح ٦ ص ٤٥١ .

(٣) ديوان الشاعر ، ح ١ ص ٥٧ .

(٤) ديوان الشاعر ، ح ٣ ص ٢٨٨ .

(٥) راجع ص ١٤ في البحث .

قصيدة تعبر بدورها عن خيبة الأمل والألم الدفين في نفس الشاعر كما أن للألفاظ والأفكار قوافي ظاهرة فقد كانت القوافي المطلقة دليلاً على تمرد الشاعر ورغبته الأكيدة في التخلص من قيود الحياة كما كان استخدام الشاعر حرف الراء شائعاً ثم الميم والذال والياء والنون والهمزة وحرف الراء دلالة على الانكسار والألم والكسرة (توحى بالانكسار والضممة توحى الفخامة والفتحة توحى الاستعلاء أما الكسرة ففيها انكساراً ألم)^(١) وبما أن للموسيقى الخارجية قيمة فإن للموسيقى الداخلية قيمة أرحب يقول عنها الناقد جريتنج لامبورن في كتابه أصول النقد (إن الموسيقى الخارجية أو داخلية فالعروض يحكم الأولى أما الموسيقى الداخلية فيحكمها قيم صوتية وهي أرحب من الوزن والنظم المجردين)^(٢) .

الإيقاع الداخلي :

التناغم والانسجام الموسيقي بين مقاطع البيت الشعري من خصائص القصيدة المؤثرة التي تطرب لها الأذان وتهفو لها النفوس وقد اعتمد الإيقاع الداخلي للقصيدة لدى القدماء على حسب تعريف لامبورن على (أخبث الكلمات وترتيبها والمواءمة بين الكلمات والمعاني التي تدل عليها)^(٣) فكما أن

(١) موسيقى الشعر بين الثبات والمنظور ، جابر عبد الدايم ص ٣٣ .

(٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مصطفى عبد اللطيف السحرتي ص ٧ نقلاً .

(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف رفث نقلاً .

تلاؤم الكلمات حروفاً وحركات ضرورية للتناغم كذا ضرورة تناغم المحسنات البديعية اللفظية من جناس وطباق وتكرار وغيرها ضروري لموسيقى القصيد (ولما جاء المحدثون ونظروا للشعر في لغات عدة وضعوا له أركاناً ثلاثة)^(١) الركن الثاني منها أن تتوافر في ألفاظ الشاعر صفة التجانس بين اللفظ والمعنى فيكون اللفظ دقيقاً في موضع الرقة قوياً عنيفاً في موضع القوة والعنف وأن تتوفر فيه صفة الجرس الموسيقي وألا يكون اللفظ مبتذلاً وكثير الشيوخ ولا يرتاح إليه الذوق الشعري)^(٢) وبالتالي فالألفاظ البائسة التي تلائم المعاني المتشائمة تلون الجرس الموسيقي بصبغة الحزن والسواد وهي تركز أيضاً على تناغم الحروف في اللفظة الواحدة وتناغم الكلمات والمعاني في المقاطع ليكون الشعر مؤثراً وصادق التعبير كما عدّ مؤلف المرشد لفهم أشعار العرب أن علماء البلاغة قديماً (قد عاجلوا ناحية الجرس الموسيقي باسم الفصاحة والسلاسة والطلاوة)^(٣) .

تناغم الحرف :

التناغم هو التوافق بين حروف الكلمة التي ينطق بها المرء دون كلفة للدلالة على معنى مراد يقول عبد القاهر الجرجاني : (أن اللفظ السليم ليس بعزيز

(١) انظر موسيقى الشعر إبراهيم أنيس ، ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢ ، نقلاً .

(٣) المرشد لفهم أشعار العرب ج ٢ ص ١٦ .

الوجود ولا بالشيء الذي لا يستطيعه إلا الشاعر المفلق والخطيب البديع^(١)، أما
أما عن تباعد الحروف أو تجاوز مخارجها يقول ابن الأثير (كل هذا راجع إلى
حاسة السمع، فإذا استحسن لفظاً أو استقبحته وجد ما تستحسنه متباعد
المخارج وما تستقبحه متقارب المخارج فاستحسنها واستقبحها إنما هو من قبيل
اعتبار المخارج لا بعده).

فكلما تباعد الحرفان المتجاوران في المخرج أو الصفة سهل النطق وتلاءمت
الحروف^(٢) وهذا مما يساعد على تناغم الجرس الموسيقي للحروف أو عدمه،
ومثاله: قول الشاعر^(٣)

ماذا يفيد تصوبي وتصعدي في ملك للعيش غير ممهد
والناس غرقى في الشفاء ولؤمه من ناقم يشكو ومن مثله
ومن البلية أنني بشقائهم وشقاوتي نحو لذيذ تجلدى

فلاحظ تكرار حرف الصاد والقاف والعين وهي من الحروف التي تحتاج إلى
جهد عضلي في النطق^(٤)،^(٥) - كما استخدم الشاعر التكرار في حرف الشين في
الشين في الأبيات التالية:

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ص ٦١.

(٢) موسيقى الشعر. إبراهيم أنيس ص ٢٨.

(٣) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢٥١.

(٤) راجع موسيقى الشعر. إبراهيم أنيس ص ٢٨ بتصرف.

(٥) موسيقى الشعر. إبراهيم أنيس ص ٣٢.

عَبثاً تضيء الشمس وجهه وسالك
والناس غرقى في الشقاء ولؤمه
لو كان يدري المرء قدر شقائه
للعيش تؤخر بالشقاء المزبد
من ناغم يشكو ومن مثلد
في العيش ودلوانه ثم يولد^(١)

فالملاحظ تكرار حرف الشين الذي ورد في كل شطر ومن صفات حرف
الشين أنه رخو مهموس يدل على التفشي^(٢) ودلالة التفشي تدل على ظاهرة
انتشار وتفشي الشقاء واللؤم بين العباد والمعاناة الدائمة الملازمة لكل معترض .
ناغم أو أخ متبلد ، والتكرار فن ذو وجهين له قدرة على إضافة الكمال إلى المعنى في
البيت أو القدرة على ضبط إيقاعه في مزلق التعبير تقول نازك الملائكة (إن في وسعنا أن
نذهب أبعد من ذلك فتشير إلى الطبيعة الخادعة التي يملكها هذا الأسلوب . فهو بسهولة
وقدرته على ملء البيت وأحداث موسيقية ظاهرية فيه ، يستطيع أن يضلل الشاعر ويعرفه
في مزلق التعبير^(٣) ومن التكرار الناجح قول الشاعر^(٤) :

ياليت إني مقعد في دياركم
ويا ليتني متسيء إليك محب
ويا ليت إن القرب ينصف
مقيم على صرف الزمان وكن
وأنت به طول الحياة ظنين
فيحمد عز في هواك وهون

وهذا التكرار من النوع الناجح لأنه لو حذف لأساء إلى المعنى التعبيري في

(١) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢٥١ .

(٢) موسيقى الشعر ، صابر عبد الدايم ص ٣٧ بتصرف .

(٣) قضايا الشعر ، نازك الملائكة ص ٢٩١ .

(٤) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢١٢ .



البيت فتكرار حرف التمنى الذي يمثل أمانى مختلفة لكنها بعيدة المنال يكشف عن اهتمام الشاعر وتعلقه الشديد بالقرب والدنو من الحبيب وتسלט هذه المشاعر على نفسيته وهيمنته على روحه ، كما أن للتكرار المستخدم ميزة الاستقلالية بحيث ترى كل بيت يمكن أن يستقل بمعناه عما حوله ويمكن انتزاعه من سياق القصيدة دون أي مشكلة ^(١) وكذا قول الشاعر ^(٢) :

ياريح رفقا بقلب هجت لوعته	ياريح أفشيت أشجاني وأسراري
ياريح أي زئير منك يفزعني	كما يروع زئير الفاتك الضاري
ياريح أي أنين حن سامعه	فهل يليث بفقد الصحب والجار
ياريح مالك بين الخلق موجه	مثل الغريب غريب الأهل

فتكرار حرف النداء تكرر ناجح استطاع به الشاعر أن يضيف إلى أبيات قصيده دلالة نفسية تعبر عن إحساسه المعتم الحزين بروح الطبيعة ونقل هذا الشعور لمظاهر الطبيعة فالنداء الأول يعبر عن الخيانة وإفشاء الأسرار والثاني يعبر عن الرعب والخوف ، كذا هو الثالث يعبر عن مشاعر الأنين لفقد الأعزاء ، وجاء الرابع معبراً عن مشاعر الغربة بين الأهل وكل تلك المعاني قريبة جداً من نفس الشاعر روحه وملاصقة لكيانه ، فعندما تواكب الألفاظ المعاني وتجانسها فإنها تعطي نغماً موسيقياً يسهم في البنية الداخلية

(١) راجع قضايا الشعر ، نازك الملائكة ص ٢٧٧ .

(٢) ديوان الشاعر ج ٥ ص ٤٠١ .

تناغم الكلمة :

يرجع التناغم في الكلمة إلى سهولة لفظها وكونها مأنوسة أي متعارف عليها :
وقد أشار عبد القاهر في مجال تناغم الكلمة في باب الفصاحة والسلاسة إذ قال :
(هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها
لمعاني جاراتها ومؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا "لفظة متمكنة، ومقبولة" وفي
خلافه : "قلقة نابية، ومستكرهة" إلا وغرضهم أن يعبروا عن التمكن عن حسن
الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما ، وبالقلق والنبوء عن سوء التلاؤم، وأن
الأولى لم تلق بالثانية في معناها ، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لفقاً للتالية في
مؤداها) ^(١) وأن سبب عدم التلاؤم يرجع إلى نقص القدرة التعبيرية للكلمة
الأولى عن الثانية وعدم قدرة الثانية في اللحاق
بالأولى) ^(٢) وقد مال شكري إلى الألفاظ السهلة المأنوسة وفي رأيه أن الكلمة
تكتسب شرحها من خلال استعمالها في موضعها ودلالاتها على المعنى فتأتي في
موضع التقدير والإعجاب مهية مبجلة كقوله : ^(٣)

ملأت الكون من نفس عميق فأسمع كل ذي قلب مفيق
فالليل مخلوق عظيم لدى الشاعر يبجله ويجعل له انفاً عميقة بثها خلال

(١) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ص ٤٢ - ٤٥ .

(٢) المصدر السابق الصفحة نفسها بتصرف .

(٣) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١١٨ .

الهواء لتملاً الكون فتسمعها القلوب النابضة التي أفقت من سكر النوم وبين
لفظة عميق ومفيق تناسب في المعاني التي يرمي إليها الشاعر
وقوله :

يا مادي من عنت الحياة إذا أنامت لا تهجر فأتني
يناجي الشاعر الليل بلفظة مأوى وهي تعبر عن رغبته في طلب الأمان
والالتحاق من عنت الحياة وآلامها، وقوله لا تهجر تعبر عن حبه العميق لظلام
وتفضيله على ضوء النهار ، وألفاظ الشاعر في هذه القصيدة (من ناحية
المضمون تمثل اتجاه الشاعر نحو القتامة وتفضيله صوت الليل على ضوء الفجر
وشروق الشمس) وكذا عندما يستخدم الكلمات قوالب يصوغ من خلالها
صورة وجدانه الذي قاسى أنواع الحسرات والهجران ، يقول (١) :

فواحسرتا لا لي إليك وسيلة ولا أن قرباً في الحياة يحين
عسى مخبر عما أعانيه الهوى فيؤمل خفض في رضاك ولين
فلا تعصفوا بالهجر والبعد والقلي فما لي على هذا الشفاء معين (٢)
فالقرب الرضا والوصل بعد العصف والهجر ألفاظ تعبر عن عما يعصف
بقلب الشاعر وروحه وتلقي به في غياهب الشجن والحزن .

وقد تأتي اللفظة على هيئة المعنى عندما تدل على حركة واضطراب في الأفعال

(١) شاعر الوجدان ، يسري سلامة ص ١٠٠ .

من ذلك قول الشاعر : (١)

وقفت على اليم الخضم عشيهِ وللريح منه والعباب بوادر
وللرعد ضحك رائع الصوت كأن ضجيج الرعد بالناس سافر
يصور خيال الشاعر صوت الرعد قادما من السماء في حركة واضطراب
شديتين يعبر عنها بلفظة ضجيج تصدر عن صوت سافر ينتهي بالفرج على
العباد وأقذارهم المريرة.

ومن براعة الشاعر استخدام اللفظة مجانسة للمعنى بحيث تعطى نغماً
موسيقياً يسهم في البنية الداخلية ومن ذلك استخدام مصدر الفعل ليوضح حال
الزعزعة والتهدم التي آلت إليها نفس الشاعر في قوله (٢).

يا ويح نفسي- كلما جاء كارث ظللت وقلبي كالبناء المضضع
فالمصدر مضضع يصف حاله انهيار كامل وتهتك نفسي- يؤول إلى القاع
وكأن كوارث الأحداث هي كوارث الطبيعة التي تؤول بالبيان إلى الهاوية ثم
ينشد قوله :

حاتم هذا الخوف في كل لحظة يدب إلى قلبي وطرفي ومسمعي
فالخوف يداهم القلب والحواس والدليل تكرار في الفعل دّب مما يجعل
الفعل متكرراً لدرجة تجعل الشاعر يتساءل عن مدى استمرارية هذه المعاناة
ومحاصرتها لكيانه .

(١) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢١١ .

(٢) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢٢١ .

ومن أنواع التكرار في اللفظ تكرار الظرف في قوله : (١)

غداً يكثر الباكون حولي وحولكم وما الناس إلا هالك وحزين
غداً يستدرك الموت منا ومنكم وكل نفيس في الممات يهون
الذي يدل على معنيين مختلفين الأول حقيقة الموت التي ستطال الجميع ،
وغدا الثانية تدل على حقيقة ما بعد الموت و النهاية التي يلاقيها العظيم الحقير .

وعندما يكون التكرار لفظياً (٢) فإنه يأتي للتعبير عن مشاعر الشاعر ، وهنا
يعبر عن مشاعر الجزع والخوف يقول فيها (٣) .

عسى أن يتيح الله صبراً يحوطني فتهدأ أضلاعي وترقأ أدمعي
وينقذني في من مهلك أي مهلك ويخرجني من مجزع أي مجزع
فتكرار كلمتي مهلك ومجزع يريد به بيان ما يتتاب روحه من هلع وجزع
تعرض لها نفس الشاعر ، وهو تكرار محمود لا يمت إلى التكرار المصطنع بصلة
كما يعد التصدير والتوشيح من التكرار المبني على ترديد كلمات في صدور
الآبيات وأعجازها وقوافيها وهي أيضاً بقايا من ذلك الأصل القديم (٤) .

(١) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢١٢ .

(٢) راجع المرشد لفهم أشعار العرب ، ص ٨٩ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٣ ص ٢١٢ .

(٤) المرشد لفهم أشعار العرب ص ٨٨ عبد الله الطيب نقلا .

التصدير أورد العجز على الصدر :

وهو من أنواع البديع التي استخدمها شكري بشكل طبيعي لا تكلف فيه والتصدير يعني (أن يرد إعجاز الكلام على صدوره ، فيدل بعضه على بعض ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك)^(١) ، ومما ورد في ذلك الباب قول قول شكري :

رأيت العظام تعرى من اللحم وقد فارق البهاء الفطاما (٢)
وقوله :

أنت عبد البقاء لو كره العبد دأبا قاصد رق ذلك البقاء (٣)
وقوله :

للرعد ضحك رائع الصوت هائل كأن ضجيج الرعد بالناس ساخر (٤)
وقد أعطى هذا النوع من البديع إيقاع القصيدة الداخلي نوعاً من اللياقة وصحة المعاني فالألفاظ متلاحقة المعاني واستخدام الشاعر لأسلوب رد العجز على الصدر بفن وخفة ، ومن تلك الأبيات التي تشهد بهذا للشاعر قوله :

(١) العمدة لابن الرشيقي ج ٢ ص ٨ .

(٢) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١١٦ .

(٣) السابق ج ٢ ص ١١٠ .

(٤) السابق ج ٣ ص ٢١٣ .

لو كان لي حيلة أفني بها ملي من الحياة لما قصر-ت في الحيل^(١)
وقوله :

فمن مبلغ الأموات عنى تحية سلام عليهم بل على سلاميا^(٢)
تناغم اللفظ والمعنى :

وجمال الأسلوب يعتمد أحياناً على محسنات معنوية مثل المقابلة في المعاني أو التكرار أو الطباق ، وفي أحيان أخرى يعتمد على محسنات لفظية مثل التجنيس ، ورد العجز على الصدر ، والتضمين ، والذي يميز كل تلك المواضع ويظهر سر جمالها هو تناسقها وتناسبها والمعنى ويشترط العالم الجليل عبد القاهر الجرجاني (أن سر جمال تلك المحسنات يكون تابع من مجانستها للمعنى يقول : وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا نسجاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحو حسن ومن هنا كان أحلى تجنيس نسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب الطلبه)^(٣)

التجنيس :

من أنواع البديع اللفظي (له ضروب كثيرة منها المماثلة ، وهي أن تكون

(١) السابق ج ٢ ص ١٦١

(٢) ديوان الشاعر ٦ ص ٥٤٥ .

(٣) أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني ص ١١ .

اللفظة واحدة باختلاف المعنى^(١) .

وعرفه البلاغيون من قبل وتحدثوا عنه ومنهم قدامة الذي تكلم في باب
ائتلاف اللفظ والمعنى على المطابق والمجانس فقال : ومعناها أن تكون في الشعر
معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة فأما المطابق
فهو ما يشترك في لفظة واحدة^(٢) مثل قول شكري^(٣) .

أعيري جناحاً كلما أنال به المنى ونبلاً لكن أرمى به مثلما أرمي
فلفظةً رُمي و أرمي متطابقتان في اللفظ مختلفتان في المعنى أرمى الأولى
تطلب تحقيق أمنية وهي القدرة على تصويب سهام المنى أما أرمى الثانية صادرة
عن حسرة أنه المصاب والمستهدف بالنبال الحاقدة والال السامة التي تصيب
مقتل آماله .

ومن أنواع الجناس تجنيس المعنى وهي (أن يأتي الشاعر بألفاظ يدل بمعناها
على الجناس وإن لم يذكره)^(٤) ومنه قول الشاعر^(٥) .

فياليت أن العيش يخلف ميتة دراكاً كما يطوى النهار الليالي

(١) العمدة ، ابن الرشيقي ج ١ ص ٢٨٣ .

(٢) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ص ١٦٢ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٧ ص ٥٤٢ .

(٤) خزانة الأدب الحموي ، ج ١ ص ٩٥ .

(٥) ديوان الشاعر ج ٧ ص ٥٦٠ .



وهذا البيت جاء خاتمة لقصيدة الموت التي يجعل فيها الشاعر الموت وأعلى من شأنه لكنه حَمَّ أبياته بأمنية أن يخلف الموت الحياة كما يخلف النهار الليل . فلم يذكر الشاعر الجناس لكنه ردد ألفاظ فيها نوع من الجناس و قصد بها الدلالة بالمعنى وهو توالى الليل بالنهار .

المقابلة في المعاني :

وهي أن تأتي في الكلام بجزأين فصاعداً تعطف عليه متضمن أضدادها على الترتيب (^(١)) وهي مما دخل في باب المطابقة فتتركب المقابلة من طباق وملحق به (^(٢)) وقد جاءت المقابلة لدى شكري في الأضداد ، كما تميز شكري بهذا النوع من البديع المعنوي إذا امتاز شعره بظاهرة التقابل الفكري في معان الكون والحياة والموت والجمال والفناء وله نظرة خاصة مميزة تجاه كل معنى . يقول (^(٣)) :

أجن بالعيش طوراً آثم أبغضه ما أضيع المرء بين اليأس والأمل
إني ولعت بعيش كله خدع كما برمت بعيش غير مقبل
جرت المقابلة بين أربع أشياء (أجن ، وأبغض ، اليأس والأمل ، ولعت برمت) ، فالمقابلة تكمن في تعادلية الشاعر في حبه للحياة و بغضه لتلك الحياة

(١) المصباح في المعاني البيان والبديع ابن الناظم ص ٢٢١ .

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة / القزويني ص ٣٢٢ .

(٣) ديوان الشاعر ج ٢ ص ١٦١ .

مشاعر تتقاذفه بين اليأس والأمل تجعله متمسك بالحياة طورا ورافض متمللا منها طور آخر .

فالمقابلة مدعومة لدى شكري بفكره المتأمل في مخلوقات الكون والحياة ؛ مما جعل المقابلة ظاهرة تتصل بشخصيته وأسلوبه

الطباق :

المطابقة : جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر وقال الرماني : المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الخليل طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد ^(١) بمعنى مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان وفي المثال التالي قد خدم الطباق فكر شكري في قصيدة الأزاهير السوداء إذ قال ^(٢)

قد جئنا من أزاهير الشقاء زهرة سوداء من زهر القضاء
يتبدل النفس سواداً من ضياء ليس تنمو في رجاء أو رخاء
لونها المأخوذ من لون الظلم عابس فوق شفاه المتسم
ورد الطباق في سواداً وضياء ، عابس ومتبسم وهو من نوع طباق الجمع بين الأضداد يؤكد المعنى الذي يرمي إليه الشاعر فقد جمع بين سواد النفس وبياضها، كما أن متعته تنبع من الظلمات يظهر هذا من خلال حركة مفتعلة فوق شفاه

(١) العمدة / أين الرشيق ج ٢ ص ١٢ - ١٣ .

(٢) المرشد لفهم أشعار العرب ، ج ، ص ٢٧٥ .



متبسمة وهو تفصيلا لطباق بين التراكيب يسمى بالمقابلة وهو تابع لها ^(١) ومن الملاحظ أن شكري قد استخدم الطباق في أبيات كان مرادها مطابقة اللفظ للمعنى وموافقته، وعندها يكون الطباق من مقومات الجرس اللفظي في البيت الشعري لديه، فعندما تواكب الألفاظ المعاني وتجانسها تعطي نغما موسيقيا يسهم في البنية الداخلية، كذا قد يؤدي التكرار نغما موسيقيا في النفس وإثارة عواطفها

(١) المرشد لفهم أشعار العرب ج ص ٢٧٥ .

الخاتمة

وبعد هذه السياحة بين دروب الشاعر الفكرية التي وسمها بوسمه، وأسبغ عليها من شخصيته ، قد يحسن أن نشير إلى أهم النقاط التي ظفرنا بها من خلال رؤيتنا، على أن نحيل القارئ إلى ما يراه جديرا من فصول البحث.

ومن خلال التمهيد تم الكشف عن التشاؤم كمرض نفسي عقلي، وأسباب الإصابة به، ومظاهر هذا المرض النفسي الخطير .

كما استطاع البحث التوصل من خلال شعر الشعراء إلى صور تشاؤمية لدى شعرائنا العرب منذ العصر الجاهلي متصلا بصدر الإسلام إلى العصر- الأموي والعباسي، ثم عصر- الدويلات إلى العصر- الحديث . فكان للعوامل البيئية والاجتماعية والسياسية والدينية أكبر الأثر في تميز ملامح الشخصيات، وكان التحليل المسلك لفهم لغاتها، وفك رموزها حزينة أم متفائلة ، ثائرة أم متشائمة .

وقد تناول البحث أهم دواعي التشاؤم والمؤثرات النفسية لدى الشاعر اجتماعيا وأديبا ووجدانيا . فكان إحساسه المرهف وتفكيره المتأمل من أهم المؤثرات التي دعت إلى تساوي طعم اللذة والألم ، كذا خيبة الأمل وسوء الظن بالناس والأصدقاء مؤثرا وما كان لها من تأثير كبير . كما كان تعلقه بالشعر الرومانسي مؤثرا وداعيا إلى تشاؤميته، التي واكبتها روح التقصي- والطموح لكشف مغاليق الحياة والبحث في حقيقة الإنسان وتردده بين الخير والشر- . ويأس شكري من تناقضات الحياة جعله سهما ينطلق مستهدفا الموت طلبا

للراحة . لكنه بعد أن أستيقن وحشة الموت ، تردد وتخير بين حب الحياة وتعاستها إلى أن غلب عليه ذلك الحب الذي أشقاه . وقد أستن شكري طريقا للخلاص من عذاب الوجد وغرور المحب ؛ بتوضيح عزمات الموت وقبح ما بعده . فكان اقتران الموت بالحب على وجه سواء ، والجمال بالفناء مظهراً آخر من مظاهر تشاؤمه .

وعبد الرحمن شكري من الناس الذين جمعوا بين التفاؤل والتشاؤم بنسب متفاوتة إذ نحكم على شخصياتهم من خلال الصبغة العامة للحياة والظروف التي مروا بها ، فكانت تجربته الشعرية في قصيدة التشاؤم متشعبة من خلال تجاربه الذاتية ، وتأملاته الفكرية ، ومراقبته لنماذج الطبيعة الكونية التي راقبت بعين تشاؤمية سوداء تندب الحظ وقسوة الأقدار ، وتكشف عن جمال الأشياء وأضدادها ، وقد تميز أسلوبه الشعري بصدق العبارة نتيجة قدرته التأملية الدقيقة للعلاقة بين البشر وأسباب بؤسها . وحتى يتم تحليل القصيد التشاؤمي لدى شاعرنا تناول البحث بالدراسة البنية التركيبية من حيث اهتمام الشاعر بالتركيب اللغوية واستخدامها ، ونوعية العلاقة بين اعتماد الشاعر على أساليب البناء التركيبي للجمل وبين دلالات نفسيته وفكره وإشاراته السوداوية . فقد استخدم الشاعر ضمائر الأنا التي كانت خير دليل على ذاتيته التي ميزت قضاياها الشعرية ، ورسائل معاناته معبرا عنها بأسلوب تعبير يوحى بمجاهدة خطوب الحياة ومعاناة أفراد المجتمع ، كما استخدم النداء كنقطة ارتكاز تبرز إحساسه المفعم بالانفعال تجاه النفس الإنسانية ومعاناتها ، كذا كان أسلوب



الاستفهام بأنواعه التعجبية الاستنكارية معبرا عن تفكير متأمل مركزه العقل ،أما التمني فكان أسلوب يساور نفس الشاعر المسجونة خلف قيود الزمان والمكان ، التي تراقب الآمال الذائبة والباحثة وراء المجهول.

وقد عبر الشاعر بأسلوب القصر الإدعائي والحقيقي عن انفعال صادق خلف تصور جمال الحقائق رغم بؤسها ، وقد كانت البنية التصويرية دراسة متممة لما قبلها فصور الشاعر الفنية متنوعة المزايا هيمن التشبيه بأنواعه وأركانها عليها كما كان استخدام الشاعر لصوره الفنية عميقا وسوداويا في صورته النفسية والبصرية والسمعية والتذوقية . وفكر الشاعر عبد الرحمن شكري هو المصدر الأساسي الذي استقي منه صورته الفنية التي تميزت بالاستطراد في ألوان البيان على حساب المعنى ، كما غلبت الكلية على أجزاء الصورة المعبرة عن تجربة الشاعر الشعرية والشاعرية .

كما تم التوصل في البحث الأخير والختامي في البيئة الإيقاعية التي حاول البحث فيها اكتشاف علاقة الموسيقى بالمعاني الشعرية لدى الشاعر، وكيف خدمت تعبيراً في إظهار معنى التشاؤم . فكان استخدام شكري لبُحور الشعر ذات الوزن الطويل الكثير المقاطع مما سمح له أن يصب أحزانه وأشجانه الناتجة عن تأملاته في أبيات قصيدة التشاؤم والتي تناسب موضوعات شعره ونغماتها ، ويعتبر شكري رائداً في الشعر المرسل المواكب للشعر الحر الحديث ، ومن أعظم ما يميز شعر شكري التوافق الفكري والوجداني واللفظي .

تشاؤم شكري نسبي لم يكن كلياً حيث أن التشاؤم لم يكن طبيعة الشاعر بل



أثر الظروف والقيود من حوله ، وشكري رجل وشاعر قدير كافح في حياته العلمية والعملية والأدبية ، وتذوق طعم الفرح كما اعتاد طعم الألم ، فشاعرنا نافذ البصيرة راقب البدايات وتأمل النهايات وحلل مأساوية الأشياء ثم تغنى بها وبشخصه وبمعاناته بطريقة خاصة تميزت بالسوداوية في أحيان كثيرة جعلت تلك التشاؤمية ظاهرة في شعره.

المصادر والمراجع

- أسعد / يوسف ميخائيل

التفاؤل والتشاؤم ، دار النهضة مصر الفجالة (ط . ب) .

- اسكندر / نجيب

معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنقيض من أسماء وأفعال وأدوات

وتعابير ، دار المعارف ٢٠٠١ م ، ١٤٢١ هـ ، ط ١ .

- أمين / أحمد الشنقيطي

معلقة زهير بن أبي سلمى ، شرح المعلقات العشر- وأخبار شعرائها، مكتبة

النهضة البغدادية .

- أمين / أحمد

فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٣ م ، ط ١٠ .

- أنيس / إبراهيم

* الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو العربية ١٩٨١ م ، ط ٦ .

* المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية في مصر ، ط ١ .

* موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٥ م ، ط ٣ .

- ابن سينا

كتاب المجموع أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر ، تحقيق محمد سليم

سالم ، مركز التحقيق ، الثمرات ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة
١٩٦٩ م .

- ابن قتيبة

الشعر والشعراء ، دار الإحياء للعلوم ، بيروت ، مراجعة محمد العريان ،
١٩٩١ ، ط ٤ .

- ابن المعتز

ديوان ، دار صادر ، بيروت .

- ابن منظور

لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٦ م .

- ابن طباطبا ، أبي الحسن محمد بن أحمد العلوي

عيار الشعر ، تحقيق عبد العزيز المانع ، دار العلوم للطباعة ١٩٨٥ م
(ط . ب) .

- أبي الفرح ، قدامة بن جعفر

نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية بيروت -
لبنان .

- ابن الرشيقي ، القيرواني

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين ، دار الجيل ،

١٩٨١ م ، بيروت (ط ٤) ١٩٧٢ م .

- ابن الناظم

المصباح في المعاني والبيان والبديع ، أبي عبد الله بدر الدين النعمي ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

- أبو طويلة ، دخیل الله

الرؤية الجديدة للنقد في الشعر ، عبد الرحمن شكري ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى .

- أبو موسى ، محمد محمد

* البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ط ٣ .

* دلالات التراكيب ، مكتبة وهبة ، مصر عابدين ١٩٨٧ م ، ط ٢ .

- أبو هلال / العسكري

الصناعتين .

- الاسكندري / أحمد وآخرون

المفضل في تاريخ الأدب العربي ، كلية الآداب ، القاهرة .

- البستاني / أكرم

شارح ديوان عنتره بن شداد .

- البصري / كامل حسن

بناء الصورة الفنية في البيان العربي (ب. ت) ، مصور .

- البغدادي / عبد القادر

خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

- الجاحظ / أبي عثمان عمر بن بحر

* الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٩ م ، ط ٣ .

* البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ن مكتبة الخانجي القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٨٥ م .

- الجرجاني / عبد القاهر

* دلائل الإعجاز ، تعليق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، دار المدني جدة ١٩٩٢ م ، ط ٣ .

* أسرار البلاغة ، تعليق محمود محمد شاكر ، دار المدني جدة ١٩٩١ م ، ط ١ .

- الحصري / إسحاق بن إبراهيم علي

زهر الآداب وثمر الألباب شروح د/ زكي مبارك ، دار الجيل ، بيروت .

- الخضير / صالح بن عبد الله

الصورة الفنية في الشعر الإسلامي عند المرأة العربية في العصر - الحديث دار

التوبة ، الرياض ، السعودية ، ١٩٩٣ م ، ط ١ .

- الحمداني / سالم أحمد ، فائق مصطفى أحمد

الأدب العربي الحديث ، وزارة التعليم العالي للجد العلمي جامعة الموصل .

- الدسوقي / عمر

في الأدب الحديث ، دار الفكر العربي ، القاهرة ط ٨ .

- الرافي / عبد الرحمن

مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ، دار المعارف ، مصر ١٩٩٣ م ، ط ٤ .

- الزمخشري / جار الله محمد بن عمر

أساس البلاغة ، قدم له شوقي الحصري ، د عزيز نعيم ، مكتبة لبنان ، ط ١ .

- الشابي / أبو القاسم

ديوان أغاني في الحياة ، ضبط وشرح اميل كيا ، دار الجليل .

- الشايب / أحمد

الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة

المصرية ، ١٩٩٠ م ، ط ٨ .

- الشوابكة / محمد علي (دكتور)

معجم المصطلحات العروضية ، دار البشير ، الأردن ١٩٩١ م .

- الشطي / عبد الفتاح عبد المحسن

عبد الرحمن شكري شاعراً ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ م .

- الشنقيطي / أحمد أمين

معلقة زهير بن أبي سلمى ، شرح المعلقات العشر- أخبار شعرائها ، مكتبة
النهضة بغداد .

- العقاد / عباس

ابن الرومي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٨ م ، ط ٧ .

- العصفور / جابر

النقد الأدبي ، الصورة الفنية في التراث البلاغي عند العرب ، دار الكتاب
اللبناني ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، ط ١ .

- العلي / جواد

المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ١٩٧٠ م ، ط ١ .

- الغدامي / عبد الله محمد

الخطيئة والتكفير ، النادي الأدبي الثقافي السعودي ، ١٩٨٥ م ، ط ١ .

- الغزالي / الإمام

إحياء علوم الدين

- الفيروزآبادي

القاموس المحيط ، محمد محيي الدين بن يعقوب (٧٢٩ - ٨١٧) ، دار إحياء

التراث العربي .

- القومي / عبد العزيز

أسس الصحة النفسية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٢ م ، (ط . ب .) .

- القرطاجني / حازم

منهاج البلغاء وسراج الأدباء .

- الطيب / د. عبد الله

المرشد لفهم أشعار العرب ، الكويت ، ١٩٨٩ م ، ط ٣ .

- الملائكة / نازك

قضايا الشعر العربي ، دار العلم للملايين ١٩٨٣ م ، ط ٧ .

- الوكيل / مختار

رواد الشعر الحديث في مصر ، دار المعارف ، ١٩٨٢ م ، ط ٢ .

- المعري / أبو العلاء

لزوميات أبي العلاء ، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي ، مكتبة الهلال بيروت ،
مكتبة الخانجي ، القاهرة .

- الآفاق / دار

السيكولوجية المبسطة الخجل والتشاؤم ، ١٩٧٨ م ، ط ١ ، بيروت .

- صادر / دار

* ديوان عروة بن الورد ، بيروت ، دار صادر (ط . ب) .

* ديوان عبيد بن الأبرص ، بيروت ، دار صادر ١٩٧٩ م .

* ديوان ابن المعتز ، بيروت ، دار صادر (ط . ب) .

- صيدرة / عبد الحميد محمد

الهجاء عند ابن الرومي ، رسالة ماجستير في الأدب العربي ، مكتبة العلمي
بيروت ١٩٧٤ م .

- خضر / د. فوزي

عناصر الإبداع الفني ، شعر ابن زيدون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر -
٢٠٠٤ م .

- خليل / خليل أحمد

موسوعة أعلام العربي المبدعين في القرن العشرين ، المؤسسة العربية
للدراسات .

- داوود / أنس

نظرات في شعر عبد الرحمن شكري ، الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٩٧٠ م .

- راجح / أحمد عزت

أصول علم النفس ، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ، ط ٨ .

- زيات أحمد حسن

تاريخ الأدب العربي ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٩٩ ، ط ٥ .

- زهران / حامد

الصحة النفسية للعلاج النفسي ، عالم الكتاب ١٩٩٧ م ، ط ٣ .

- سالم / السيد عبد العزيز

تاريخ العرب قبل الإسلام ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية .

- سلامة / يسري

شاعر الوجدان عبد الرحمن شكري ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ،
الكتاب الأول مكتبة الجامعة .

- سحرتي / عبد اللطيف

الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مطبوعات تهامة ، ١٩٨٤ م المملكة
العربية السعودية ، ط ٢

- سكوت / حمدي + مارتين جونز

أعلام الأدب المعاصر في مصر ، دار الكتاب المصري ، ١٤٠٠ هـ ، ط ١ .

- شادي / محمد إبراهيم

أساليب البيان والصورة القرآنية ، دراسة تحليلية لعلم البيان ، ١٩٩٥ م ، دار
والي الإسلامية المنصورة .

- شكري / عبد الرحمن

* ديوان الشعر ، توزيع دار المعارف ، الاسكندرية ، جمع وتحقيق نقولا يوسف ، ١٩٦٠ م .

* المؤلفات الثرية الكاملة ، تحرير أحمد إبراهيم الهواري ، المجلس الأعلى للثقافة ج ١ ، ج ٢ ، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع ١٩٩٨ م .

* دراسات في الشعر العربي ، جمعها وحققها محمد رجب بيومي ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٤ م ، ط ١ .

- شراره / عبد اللطيف

تغلب على التشاؤم وسلطان الإرادة الموسوعة النفسية ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤١٧ هـ .

- عاشور / محمد طاهر

ديوان النابغة الذبياني ، شركة فوستيه للتوزيع ١٩٩٦ م .

- عباس / عبيد أحمد

مشاهير شعراء العصر ، المكتبة العربية ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ١٩٢٣ م ، ط ١ .

- عباس راجان

فن الشعر ، دار الشروق ، عمان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ط ٦ .

- عبد الدايم / صابر

موسيقى الشعر العربي بين تيار الثبات والتطور ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،
١٩٩٣ م ، ط ٣ .

- عبيد / أحمد

مشاهير شعراء العصر ، المكتبة العربية في دمشق ، مطبعة الترقى ، دمشق ،
١٣٤١ هـ ، ط ١ .

- عبد البديع / لطفي

التركيب اللغوي للأدب ، النهضة المصرية بالقاهرة ، ١٩٧٠ م (ط . ب) .

- عبد الرحمن / عفيف (دكتور)

ظاهرة التشاؤم في الشعر العربي من أبي العتاهية إلى أبي العلاء المعري ، دار
العلوم ، الرياض ١٤٠٣ هـ ، ط ١ .

- عتيق / عبد العزيز

علم العروض والقافية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

- غريبة / روز

تمهيد في النقد الحديث ، دار المكشوف ١٩٧١ م ، بيروت

- غراب / أحمد عبد الحميد

عبد الرحمن شكري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م ، (ط . ب) .

- ضيف / شوقي (دكتور)

* العصر العباسي الأول ، دار المعارف (ط. ب) .

* العصر العباسي الثاني ، دار المعارف ، مصر .

* عصر الدول والأمارات في الجزيرة العربي ، ١٩٩٦ م ، دار المعارف ، ط ٤ .

* دراسات في الشعر العربي المعاصر ، دار المعارف ، ط ٨ .

* الأدب العربي المعاصر في مصر ، دار المعارف ، مصر ، ط ٦ .

* النقد الأدبي ، دار المعارف ، مصر ، ط ٨ .

* العصر الجاهلي ، دار المعارف ، ١٩٦٠ م .

* الفن ومذاهبه .

- فرهود / محمد سعدي

* شعر عبد الرحمن شكري ، دراسة تحليلية ، رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر

١٩٦٧ م .

* لحق ديوان عبد الرحمن شكري ، مطبعة زهران ، القاهرة ١٩٧٠ م .

- فهمي / مصطفى

* التكيف النفسي - مكتبة مصر - الفجالة ، دار الطباعة الحديثة الأردن

(ط. ب) .

* الإنسان وصحته النفسية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، (ط. ب) .

- قطب / سيد



- التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ١٤١٥ - ١٩٩٥ م ، (ط . ب) .
- قليقلة / عبد العزيز
- التجربة الشعرية عند عبد الله المقرب ، النادي الأدبي بالرباط ١٩٨٦ م ، ط ١ .
- مراد / يوسف
- مبادئ علم النفس العام ، دار المعارف ، مصر ، ط ٦ .
- محمود / محمد محمود
- علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام ، دار الشروق في جدة (ط . ب) .
- مصطفى / محمود
- أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية ، شرح بقم زرزوره ، دار الكتب العلمية ، [بيروت ، ط ٣ .
- مطلوب / أحمد
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٦ م ، ط ٢ .
- مندور / محمد
- * النقد والنقاد المعاصرون ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٩٧ م .
- * الأدب وفنونه ، دار نهضة مصر للطباعة ١٩٩٦ م (ط . ب) .
- موسى / عبد الله عبد الحي
- المدخل إلى علم النفس ، حقوق الطبع والنشر - محفوظة للمؤلف ١٩٨٨ م ، ط ٣ .

– ناصف / مصطفى

الصورة الأدبية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٣ م .

– وادي / طه

شعر ناجي الموقف والأداة ، دار المعارف ١٩٩٤ م ، ط ٤ .

– وهبة / مجدي ، كامل المهندس

معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، ١٩٨٤ م ، ط ٢ ، مكتبة لبنان ، بيروت .

– هلال / محمد غنيمي

* الأدب المقارن ، نهضة مصر للطباعة ، ١٩٩٨ م ، ط ٣ .

* النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة ، بيروت ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٣ م
(ط . ب) .

– يوسف / نقولا

أعلام من الاسكندرية ، دار المعارف بالاسكندرية (ط . ب) .

الكتب المترجمة :

- مبادئ النقد الأدبي ، أديتشاردز ، ترجمة مصطفى بدوي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- علم الأصوات ، بريتل مالبرج ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- مرجع الكينكي في الاضطرابات النفسية ، دليل علاجي تفصيلي ، تحرير ديفيد هـ. باولو ، أشرف على الترجمة صفوت فرج ، مكتبة أنجلو المصرية ، ط (بدون) .
- الموجز في التحليل النفسي ، سيجموند فرويد ، ترجمة سامي محمود ، علي عبد السلام القفاس ، مراجعة مصطفى زيور ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ .
- الذات والغرائز ، فرويد ، ترجمة عثمان نجاتي ، مكتبة النهضة بمصر - ، دار المعارف .
- في سبيل الموسوعة النفسية (السلوك) سيجموند فرويد وآخرون ، عرض د. مصطفى غالب ، دار الهلال ، ١٩٨٢ م ، ط ٣ .

المقالات :

- مقال التشاؤم عادة الجاهلية ٢٢ / ٨ / ١٤٢٥ هـ ، الشبكة الإسلامية
www.islamweb.net .

- مقال الفلسفة الغربية بين معاودة الأبحاث والحق إلى نسيانها د. أحمد إبراهيم ،
www.islamonline.net ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٢ م .

- مقال الشعر والثقافة فصل من نشأتي الأدبية ، عبد الرحمن شكري المؤلفات
النثرية والشعرية ، ج ٢ ، تحرير أحمد الهواري ، المجلس الأعلى للثقافة .

- مقال المثل العليا في الشعر عبد الرحمن شكري المؤلفات النثرية ج ٢ .

- مقال تجربة عبد الرحمن شكري مع نهضة التعليم ، د. نادل عبد الهادي ، مجلة
الفصل ، عدد ٢٣٨ ، ص ٧١٧ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

- مقال أنواع النسيب والتشبيب في شعر العرب عبد الرحمن شكري ، المؤلفات
النثرية والشعرية .

- الصورة البلاغية عند أبي الحسن الرماني ، حوليات كلية العلوم ، العدد
الخامس ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ م .

- مقال رائد الشعر الحديث ، محمد رجب بيومي ، مقدمة الديوان ج ١ ص ١٧ .

- حوليات ، الصورة البلاغية عند أبي الحسن الرماني ، كلية العلوم ، العدد
الخامس ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ م .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
المقدمة	١ - ٤
أهداف البحث	٥ - ٦
التمهيد	٧ - ٤٧
المبحث الأول : التشاؤم مرض نفسي - أسبابه ومظاهره	٨ - ٢٩
المبحث الثاني : مظاهر التشاؤم في الموروث الشعري	٣٠ - ٤٧
الفصل الأول	٤٨ - ٩٩
*أولاً : حياة شكري وأدبه	٤٩ - ٦٤
*ثانياً : دواعي التشاؤم وتداعياته عند عبد الرحمن شكري	
أ- إحساس يقوده التفكير	٦٥ - ٦٩
ب- الخيال الخصب	٦٩ - ٧٢
ج- أوضاع الأمة	٧٣ - ٧٦
د- الرومانسية وتأثر شكري بها	٧٧ - ٨٦
و- الإخفاق العلمي الأدبي الوجداني	٨٥ - ٩٩

الفصل الثاني:

مظاهر التشاؤم في شعر عبد الرحمن شكري	١٠٠ - ١٣٥
١ - الخوف من المجهول	١٠١ - ١٠٣
٢ - سوء الظن بالناس	١٠٣ - ١١٣
٣ - حبه للموت وكرهه للحياة	١١٣ - ١٢١
٤ - مشاعر الوجدان	١٢١ - ١٢٨
٥ - عندما تكون الطبيعة مظهراً تشاؤمياً	١٢٧ - ١٣٥
الفصل الثالث : (الدراسة الفنية) :	١٣٦ - ١٤١
المبحث الأول : التجربة الشعرية	١٣٧ - ١٥٧
مدخل	
المبحث الثاني : البنية التركيبية	١٥٧ - ١٧٧
الضمائر	١٥٩ - ١٦٤
النداء	١٦٤ - ١٦٦
الاستفهام	١٦٧ - ١٦٩
التمني	١٧٠ - ١٧٣

القصر	١٧٤ - ١٧٦
المبحث الثالث : البنية التصويرية	١٧٧ - ٢١٠
١ - الصورة الفنية وعناصر البيان	١٧٩
أ) التشبيه	١٧٩ - ١٨٦
ب) الاستعارة	١٨٦ - ١٩١
ج) المرسل والمجاز العقلي	١٩١ - ١٩٤
د) الكناية	١٩٤ - ١٩٧
٢ - الصور الرمزية	١٩٧ - ٢٠٣
٣ - الصورة الحسية	٢٠٣
أ) الحركية	٢٠٣ - ٢٠٤
ب) الصور النفسية	٢٠٥
ج) الصور البصرية	٢٠٥ - ٢٠٦
د) الصور السمعية	٢٠٦
هـ) الصور الشمية	٢٠٧
و) الصور التدوقية	٢٠٧ - ٢٠٨
ز) الصور اللونية	٢٠٨ - ٢١٠

٣٤١ - ٢١١	المبحث الرابع: البنية الإيقاعية
٢١٨	العلاقة بين استخدام شكري لبحور الشعر وحالته النفسية
٢٢٧ - ٢١٩	العلاقة بين القافية وحالة شكري النفسية
٢٢٨ - ٢٢٧	الإيقاع الداخلي
٢٣١ - ٢٢٨	تناغم الحرف
٢٣٥ - ٢٣٢	تناغم الكلمة
٢٣٧ - ٢٣٦	التصدير أو رد العجز على الصدر
٢٣٧	تناغم اللفظ والمعنى
٢٣٩ - ٢٣٧	التجنيس
٢٤٠ - ٢٣٩	المقابلة في المعنى
٢٤١ - ٢٤٠	الطباق
٢٤٥ - ٢٤٢	الخاتمة
٢٦١ - ٢٤٦	المصادر والمراجع
٢٦٥ - ٢٦٢	فهرس الموضوعات